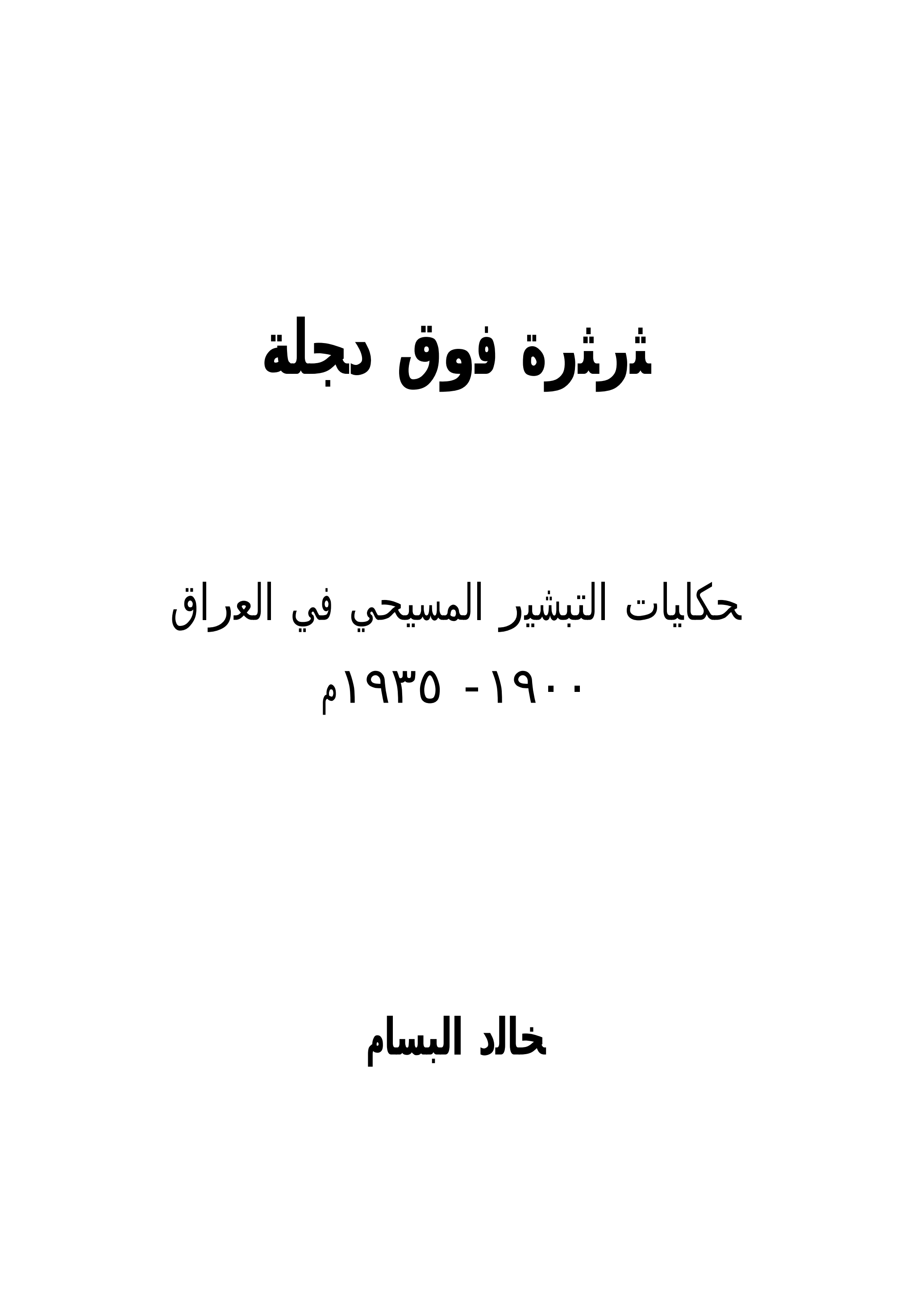


www.kotobarabia.com
دراسة
ثرثرة فوق دجلة
حكايات التبشير المسيحى فى العراق
www.kotobarabia.com
إعداد و ترجمة
خالد البسام



ثرثرة فوق دجلة

حكايات التبشير المسيحي في العراق

١٩٠٠- ١٩٣٥م

خالد البسام

هذه الحكايات

بعد اجتماعات طويلة و مكثفة في بدايـة عـام ١٨٨٩م بإحدى كنائس مدينة "نيو برونزيويـك" بولايـة نوجيرسـي بالولايات المتحدة الأمريكية صادق مجموعة شبان أمريكان متحمسين على تأسيس منظمة تـدعى "الإرسـالية العربيـة الأمريكية" هدفها الرئيسي التبشير بالمسـيحية فـي منطقـة الخليج و الجزيرة العربية.

و لم تكد تنتهي تلك الاجتماعات التي قادهـا الـدكتور لانسنج Dr. Lansing و ثلاثة من مساعديه هـم : جـيمس كـانتين James contine و صـموئيل زويمـر Samuel Zwemer و فيليب فيلبس PhilipPhiplis حتى راح هؤلاء المبشرون في صياغة أهداف الإرسالية ووضع آليات عملها و مصادر تمويلها و تشكيل فرق العمل و غير ذلك.

كان الهدف الرئيسي للإرسالية الأمريكية هـو تحويـل أهالي الخليج والجزيرة العربية إلى المسيحية، أمـا اختيـار

الاسم فكان يهدف إلى إزالة أية شكوك مـن العـرب نحـو أنشطة التبشير.

و يذكر المبشران "زويمر" و "كانتين" أهم الأسباب التي دعت لاختيار المنطقة بقولهما:

"إن من بين الدوافع للعمل في (الجزيرة العربيـة) أولاً الأسباب التاريخية. إن للمسيح حقا في اسـترجاع الجزيـرة العربية. وقد أكدت الدلائل التي تجمعت لدينا في الخمسـين سنة لأخيرة على أن المسيحية كانت منتشرة في هذه البلاد



تلميذات مدرسة البصرة

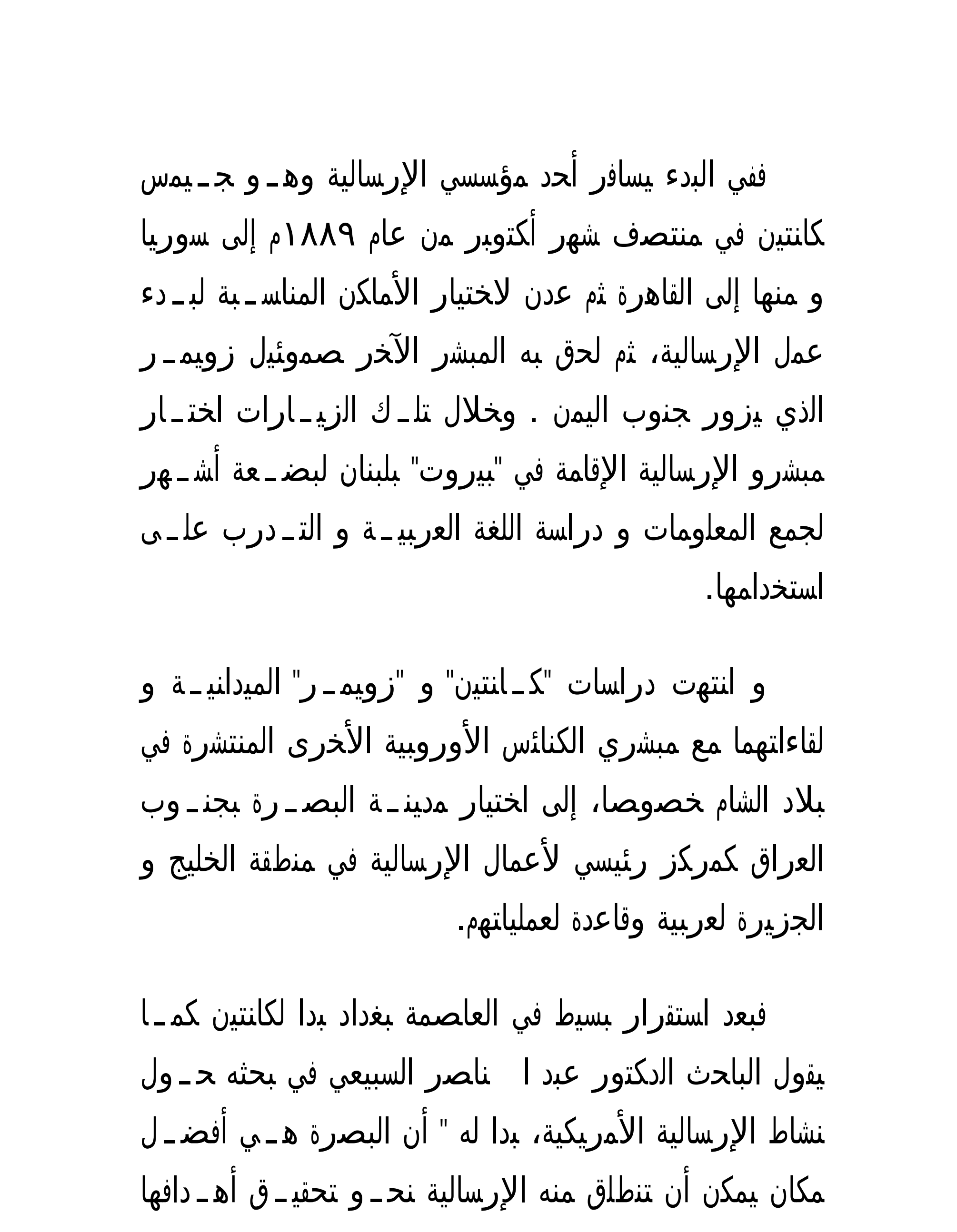
في بداية عهدها. وهناك دلائل أثرية واضحة على وجود الكنيسة المسيحية هناك؛ و لهذا فإن من واجبنا أن نعيد هذه المنطقة إلى أحضان المسيحية".

و بجانب تلك الأسباب النظرية انتهزت الإرسالية وقادتها الأوضاع السيئة لسائدة آنذاك في المنطقة حيث الجهل التخلف و انتشار الفقر و سيطرة البريطانيين على الساحلين الجنوبي والشرقي للجزيرة العربية، لتبدأ خططها و تبحث عن مصادر تمويلها.

و من اجتماعات في كنائس "نيو برونزويك" إلى أخرى، إلى توزيع مهام وجمع تبرعات ودراسة مبادئ اللغة العربية، انتهت كلها بقرار بدء التنفيذ و سفر المبشرين إلى المنطقة.



جسر في البصرة



ففي البدء يسافر أحد مؤسسي الإرسالية وهـو جـيمس كانتين في منتصف شهر أكتوبر من عام ١٨٨٩م إلى سوريا و منها إلى القاهرة ثم عدن لاختيار الأماكن المناسـبة لبـدء عمل الإرسالية، ثم لحق به المبشر الآخر صموئيل زويمـر الذي يزور جنوب اليمن . وخلال تلـك الزيـارات اختـار مبشرو الإرسالية الإقامة في "بيروت" بلبنان لبضـعة أشـهر لجمع المعلومات و دراسة اللغة العربيـة و التـدرب علـى استخدامها.

و انتهت دراسات "كـانتين" و "زويمـر" الميدانيـة و لقاءاتهما مع مبشري الكنائس الأوروبية الأخرى المنتشرة في بلاد الشام خصوصا، إلى اختيار مدينـة البصـرة بجنـوب العراق كمركز رئيسي لأعمال الإرسالية في منطقة الخليج و الجزيرة لعربية وقاعدة لعملياتهم.

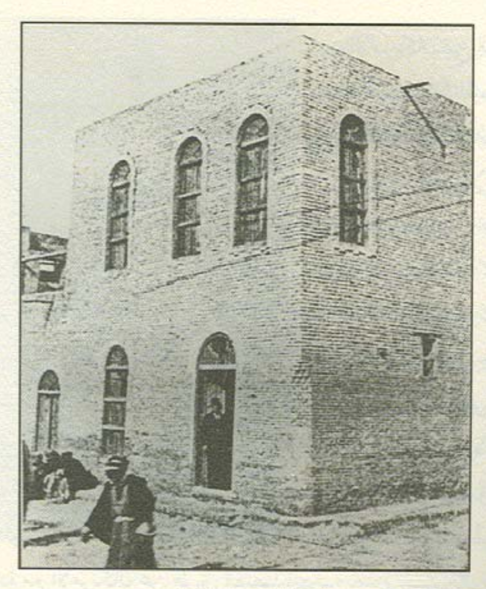
فبعد استقرار بسيط في العاصمة بغداد بدا لكانتين كمـا يقول الباحث الدكتور عبد ا ناصر السبيعي في بحثه حـول نشاط الإرسالية الأمريكية، بدا له " أن البصرة هـي أفضـل مكان يمكن أن تنطلق منه الإرسالية نحـو تحقيـق أهـدافها

التبشيرية، و ذلك لكثافة سكانها و سـهولة الوصـول إليهـا وموقعها الاستراتيجي الذي يميزها عن بقية الأمـاكن التـي زارها خاصة وأنها قد تسهل مهمة النفاذ إلى عمق الجزيـرة العربية، و يتجلى ذلك من رسالة بعث بها كانتين إلى مقـر الإرسالية يبرر فيها اختياره للبصرة بقوله: " يبـدو أن هـذا المكان (البصرة) هو الأنسب لفتح ثغرة نحو الهدف"

و علاوة على ذلك حصلت الإرسـالية و منـذ الأيـام الأولى على تعاون الإرساليات المسيحية الأخرى العاملة في العراق مثل " المجلس المسيحي للشرق الأوسط" و " جمعيـة الكنيسة التبشيرية" وغيرها.

و لم يكن اختيار مدينة البصرة – حسب رأي المـؤرخ الكويتي الدكتور عبد المالك التميمي في كتابه " التبشير فـي منطقة الخليج العربي" قاعدة و محطة أولى لعملياتهم أمـراً اعتباطياً بل " أمراً مدروساً، فقد كان موقع هذه المدينة يتمتع بأهمية استراتيجية في المنطقة كلها لأنها تسيطر على الرأس الشمالي للخليج العربي. و كانت الحكومة الأمريكية قد سبق

لها أن أنشأت قنصلية هناك واستطاع المبشرون الأمريكيون أن يعيشوا و يعملوا تحت حمايتها.



مكتبة التبشير في العمارة

وقد كان في هذا عون كبير لهم خاصة في الوقت الذي كانت فيه تحت سيطر الدولة العثمانيـة ، وكـان صـموئيل زويمر وجيمس كانتين أول رائدين للعمل التبشيري في تلـك المحطة، ولهذا كانا أول من واجـه ردود فعـل المـواطنين وقياداتهم الدينية بالإضافة إلى السلطات التركية".

وقد بدأت نشاطات و فعاليات المبشرين الأمريكان فـي البصرة بالعمل مع أوائل عام ١٨٩١م. ففي تلك الأيام نشـط المبشرون و الذين كان يرافقهم في معظم الأحيان موزعـو كتب مسيحيون عرب من أهل الشام- في توزيع و بيع الكتب و الكراريس مثل الإنجيل و الكتاب المقـدس و غيرهـا، و الدخول كذلك في نقاشات ساخنة مع أهالي البصـرة حـول المسيحية و الإسلام.

غير أن تلك الأيام غير العادية بالنسبة للعراقيين و كذلك للمبشرين الأمريكان لاقت معارضة و عداء شـديدين مـن جانب السلطات التركية التي كانت تحكـم العـراق. فكانـت تفرض على أعضاء الإرسالية شروطاً قاسية للعمل و تصادر في كثير من الأحيان كتبهم و كراريسهم و تضطهد مبشريهم،

و أحياناً تعتقلهم و تقفل مكاتبهم، كما كانت السلطات التركية تدخل في مواجهات سياسية متعددة مع الأمريكان عن طريق القنصليات.

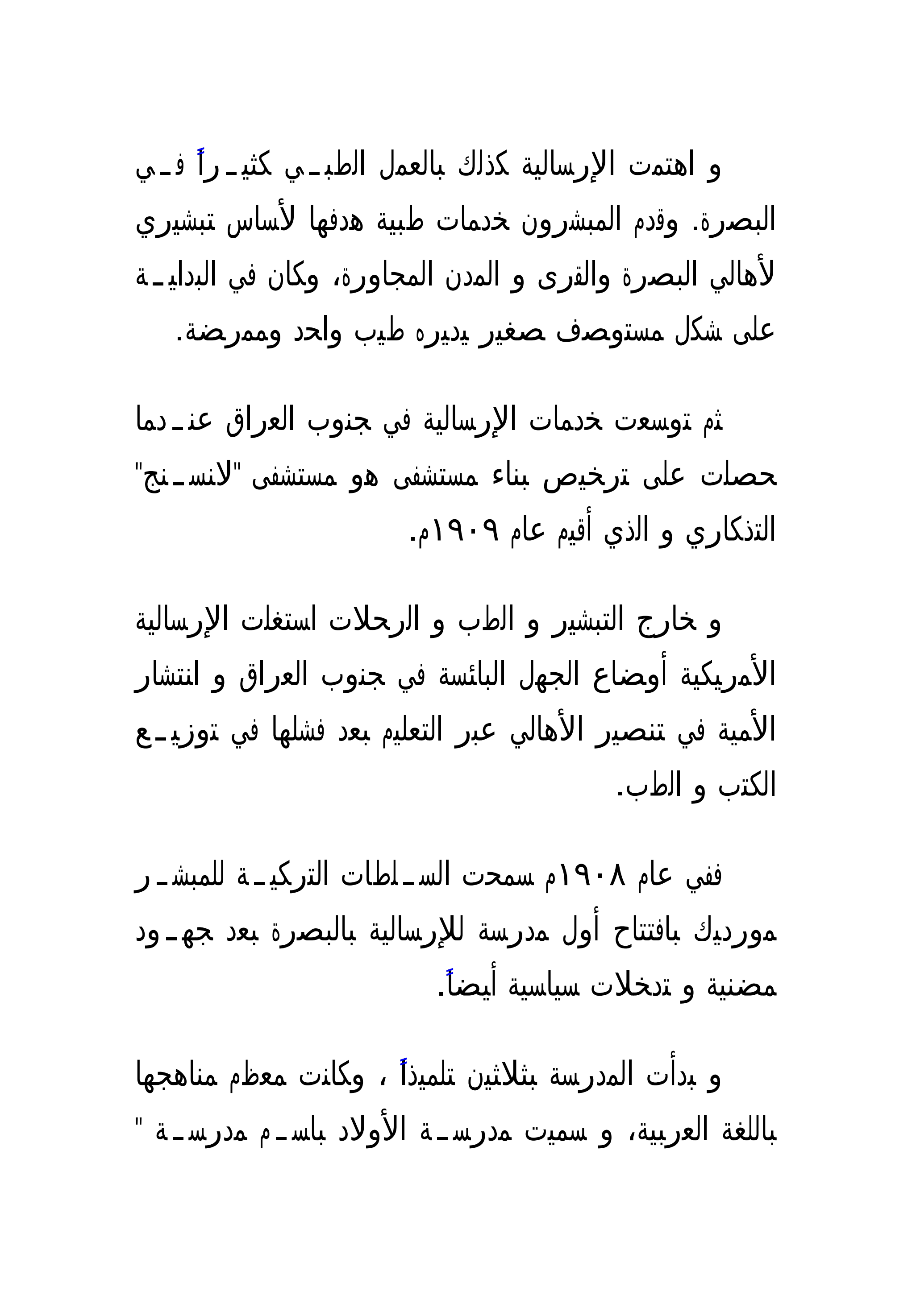
و بالمقابل كان تمتع المبشرين بالجنسية الأمريكية مبرر تدخل حكومتهم و قنصلياتها في أغلب الأحيـان وضـغطها المستمر على الأتراك، مما سهل الكثير من عمـل مبشـري الإرسالية الأمريكية في البصرة وجنوب العراق عموماً.

ورغم تلك الصعوبات إلا أن الإرسالية الأمريكية بدأت عملها بالتبشير ليس وسط البصرة و أهاليها فقط، بـل قـام أعضاؤها بالكثير من الرحلات القصيرة و الطويلة لمـدن و قرى جنوب العراق تحديداً، كانوا يوزعون فيهـا الكتـب و يفتحون المكتبات الصغيرة و يحاولون إقامة العلاقـات مـع الأهالي البسطاء.



المبشر صموئيل زويمر

و بجانب الرحلات و الجولات قامت الإرسـالية ببنـاء بعض الأبنية الضرورية مثل مدرسة البنات و إقامة مسـكن قريب من المدرسة لسكن أعضاء الإرسالية، ثم إنشاء مكتبـة داخل أسوار مجمع مدرسة البنـين بالعشـار وسـط مدينـة البصرة.



و اهتمت الإرسالية كذلك بالعمل الطبـي كثيـراً فـي البصرة. وقدم المبشرون خدمات طبية هدفها لأساس تبشيري لأهالي البصرة والقرى و المدن المجاورة، وكان في البدايـة على شكل مستوصف صغير يديره طيب واحد وممرضة.

ثم توسعت خدمات الإرسالية في جنوب العراق عنـدما حصلت على ترخيص بناء مستشفى هو مستشفى "لانسـنج" التذكاري و الذي أقيم عام ١٩٠٩م.

و خارج التبشير و الطب و الرحلات استغلت الإرسالية الأمريكية أوضاع الجهل البائسة في جنوب العراق و انتشار الأمية في تنصير الأهالي عبر التعليم بعد فشلها في توزيـع الكتب و الطب.

ففي عام ١٩٠٨م سمحت السـلطات التركيـة للمبشـر موردیك بافتتاح أول مدرسة للإرسالية بالبصرة بعد جهـود مضنية و تدخلات سياسية أيضاً.

و بدأت المدرسة بثلاثين تلميذاً ، وكانت معظم مناهجها باللغة العربية، و سميت مدرسـة الأولاد باسـم مدرسـة "

الرجاء العالي"، أما مدرسة البنات التي أنشئت فيما بعد فقد سميت مدرسة " الرجاء للبنات". و من الواضح أن أهداف المدرستين و التعليم عموماً عند مبشري الإرسالية الأمريكية هو تنصير التلاميذ. فقد كان أحد الدروس اليومية للتلاميذ مثلاً هو قراءة الإنجيل و تفسيره، كما أن النشيد اليومي للتلاميذ هو أدعية مسيحية خالصة!

و بعد حوالي أربع سنوات من استقرار عمل الإرسالية الأمريكية في البصرة، انطلق مبشروها إلى المدن العراقية الكبيرة و الصغيرة في الجنوب. ففي نهاية عام ١٨٩٥م بدأ العمل في مدينة العمارة ثم في مدينة الناصرية. وفي عام ١٨٩٧م افتتحوا مكتبة للكتاب المقدس في كلتا المدينتين.

و بجانب بعض مدن جنوب العراق تواجد أعضاء الإرسالية الأمريكية في العاصمة بغداد، غير أن ذلك التواجد لم يكن له نفس النشاط و الخدمات و الحماس مثل فرع البصرة. وقد يكون السبب الأهم في عدم اهتمام الإرسالية ببغداد، رغم كونها العاصمة ، هو وجود إرساليات تبشيرية أوروبية و أمريكي أخرى في بغداد ولها تواجد كبير، علاوة

على أن الإرسالية كانت تعتمد على البصـرة لأنهـا قاعـدة انطلاق لجميع رحلاتها و أعمالها التبشيرية و خدماتها الطبية و التعليمية لجميع بلدان الخليج التي أسست فيها مراكز هامة فيما بعد مثل البحرين عام ١٨٩٢م.

كان هذا المشهد الغريب و المثير في مدن وقرى جنوب العراق تحديداً مع رجال يرتدون بدلات فاخرة و قبعـات و يتجولون بكتب مسـيحية وسـط شـوارع قـذرة و بيـوت متواضعة، كان هذا المشهد هو بداية صراع حضاري متعدد الجوانب و متنوع القوى مع نهاية لقرن التاسع عشر وبدايـة القرن العشرين في العراق.

فقد شهد العراق ومنطقة الخليج و الجزيرة العربية تحدياً حضارياً كبيراً لم تألفه من قبل، وصراعاً فكريـاً ودينيـاً و ثقافياً و اجتماعياً خطيراً بين مبشرين أطباء خريجي أعـرق الجامعات الأمريكية، تقف من ورائهم مؤسسات دينية تدعمهم مادياً و معنوياً، و بين شعوب بسـيطة لـم يكـن معظمهـم يعرفون حتى القراءة و الكتابـة، ولكـنهم كـانوا يقدسـون

معتقداتهم الدينية و يعيشون في تواضع لا يعـرف ضـجيج الآلات الحديثة التي راحت تغزو أوروبا و أمريكا آنذاك.

ورغم عدم التكافؤ في هذا الصراع إلا أن التبشير وجد مقاومة كبيرة غير متوقعة و بأساليب بسيطة، و لذلك عانـت الإرسالية الأمريكية – بـرغم تظاهرهـا بالنجـاح- مـن صعوبات كبيرة و هائلة كتب عنها أحد المبشرين قائلاً: " من أشق المهام و أكثرها صعوبة الانخراط في أعمال التبشـير، خاصة إذا ما كانت تجري وسط جمهور، ليس فقط لا يدرك ما تبشر به، ولكنه يعلم و يؤمن بنقيض ما تبشر به. أمـا إذا كان المبشرون أغراباً وافدين من بلاد أخرى بعيدة ليست لها صلة و لا رابط فالمشكلة أكبر والمشقة أكثر تقعيـداً وريبـة وحذراً"

وفي صفحات هذا الكتاب يجد القارئ بعـض حكايـات قديمة عن العراق تناثرت بين نهري دجلة والفرات معظمهـا صار له في ذمة الروزنامة أكثر من مائة عام.

لكن هذه الحكايات التي قمت بإعدادها وترجمتهـا مـن اللغة الإنكليزية من نصوصها الأصلية- مع بعض التعديلات

و الصياغة- و التي نشرتها المجلـة الدوريـة للإرسـالية الأمريكية "الجزيرة العربية المنسية" (neglected Arabia) ، كانت في الأصل مجرد تقـارير و انطباعـات كتبهـا المبشرون عن أعمالهم و أنشطتهم و رحلاتهم، وأيضاً عـن مغامراتهم والحوادث التي جرت لهم في العراق عموماً فـي الفترة بين عامي ١٩٠٠-١٩٣٥م

ولا تكشف أهمية هذه الحكايات كونها تصور الحياة في بعض المدن و القرى العراقية و ظروف المعيشة و طبـائع الناس و جغرافية المدن ووسائل المواصلات آنذاك فقط، بل إنها أيضاً تتحدث عن بعض العادات الاجتماعية فـي بدايـة القرن العشرين، وتروي مدى تمسـك العـراقيين بـدينهم و رفضهم للمحاولات التبشيرية المحمومة لتنصيرهم و التحول عن دينهم.

****

من فرق تبشير أمريكية لا تملك سوى حماس نشر الديانة المسيحية و الحضارة غربية وسط بسطاء العراق عبر أدوات مثل كتب الإنجيل و مشارط الطب و طباشير التعليم، تغير " الغزاة" بعد عشرات السنين إلى غزاة آخرين من نفس البلاد اليوم جاءوا بجيوش جرارة (لتحرير) العراقيين من "الديكتاتورية" و نشر الحرية.

من فرق التبشير إلى غزاة الجيوش المتطورة مضت الآن أكثر من مائة عام بين غزو و غزو، بين تبشير بديانة إلى غزو عسكري يتملك كل التكنولوجيا و القوة و المال.

و بين تلك "الغزوات" جرت في مياه أنهار العراق حوادث كثيرة و انقلابات لا تحصى وتواريخ لا تعد، و بين تلك " الغزوات" أيضاً تناثرت حكايات و مغامرات و مواجهات، و الكثير من الثرثرة فوق دجلة.

خالد البسام

البحرين

المبشران "فرد بارني" و "شارون توماس" يرويان عن البصرة و بغداد عام ١٩٠٠م

لا مفر من صيف العراق!

بجانب أعمال الطب اشتغل عضوا الإرسالية الأمريكية في العراق المبشر "فرد بارني" و المبشر "شارون توماس" في أعمال التبشير في مدن العراق المختلفة منذ نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

وفي شهر أبريل عام ١٩٠٠ كتب المبشران تقريراً عن أعمال التبشير و الطب في مدينتي البصرة و بغداد و بعض المدن الأخرى. وفي البداية كتب المبشر "بارني" يقول:

بينما أكتب الآن، هناك إزعاج شديد فوق رأسي حيث تمر الأقدام وهي تقرع و تكسر بالمجارف في مبنى الإرسالية. وهذه الأعمال سببها عمال ينقلون ألواح القرميد من الأرض إلى السقف تمهيداً لإصلاح بعض الدعامات المكسورة، مع أن الوعود كانت منذ عام مضى بأن هذه الأعمال سوف تكتمل.

لقد كانت هذه تجربة لنا في الصبر، وخاصة في الشهور القليلة الماضية بالنسبة للإرسالية التي ذهبنا إلى صاحب الأرض عدة مرات في الأسبوع لاستعجاله في البناء. و لكننا

حصلنا على أعذار على نحو قياسي بخصوص الفشل في الإيفاء بتعهداته نحو المستقبل.

و بعض الإصلاحات التي نقوم بها في إرسالية البصرة بالعراق هي من أجل راحتنا كمبشرين و أطباء، وبعضها الآخر نقوم به من أجل سلامة أمننا هنا.



منظر من البصرة

و بناء الإرسالية الذي نسكنه الآن هو مبنى قديم جداً، لكننا نأمل مع الانتهاء من الإصلاحات الحالية أن نقوم بالمزيد من الإصلاحات قريباً.

و منذ حوالي أربعة شهور مضت كانت هناك بدايات للعمل في وسط النساء في البصرة، وقد كانت النتائج لذلك العمل مشجعة جداً.

فقد قامت "حنان"، وهي والدة بائع الكتب المسيحية المتجول "ميشا" و السيدة الورعة، قامت بزيارة إلى بيوت العديد من النساء في البصرة مؤخراً.


جسر في البصرة

واصلت "حنان" عملها هذا بكل نشاط حتى الأسابيع القليلة الماضية عندما اضطرت إلى التوقف لحاجاتها لرعاية إحدى قريباتها المريضة.

وعلى العموم فقد وجدت حنان ثلاث درجات يمكن أن يجدها أي ناشط في هذا الموضوع وفي كل مكان و هي أن الناس إما عدائيون أو غير مبالين أو مرحبون بوجودها.

و لعل المستقبل المرضى المفرح لتلك المحاولات هو أن عدد الطبقات المرحبة نسبياً يكبر و يكبر بصورة لم نتوقعها وهذا يظهر لنا أيضاً بأن الباب لدخول رسالة المسيح أصبحت مفتوحة على مصراعيها.

وكم يبدو العمل بين النساء غريباً عند الناس هنا، فكم مرة قدم البعض لحنان بعض المال بعد مناقشة وقراءة الكتاب المقدس، متصورين أنها تقوم بهذا العمل من أجل الحصول على مقابل مادي! هؤلاء الناس الفقراء الطيبون لا يعرفون بالطبع أي شيء عن سعادة أرواحهم و خيرها، ولم يكونوا يدركون كيف تأتي امرأة إليهم و تتحدث عن ا و كتابه

المقدس، فلقد ظن المساكين أن هذه المرأة لا يمكن تأتي إليهم إلا مقابل المال فقط.

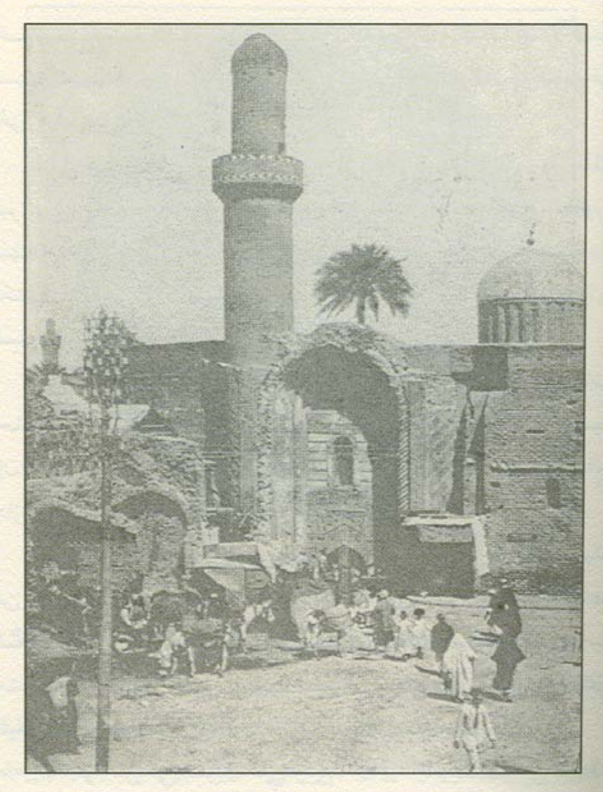
فهم لم يتعلموا حتى الآن أن الكتاب المقدس هو بالمجان يمكن أن يحصلوا عليه. و إننا نعطيهم إياه كي نثبـت لهـم ولأنفسنا كم هو شيء "بدون مال وبدون ثمن".

و لعل هذه البداية أثبتت لنا درساً هاماً وواضحاً وهو أن هناك في البصرة ساحة جيدة بخصوص العمل بين النسـاء، وكسب تأييدهن.

و خلال هذه الفترة قمنا بالعديد من الجـولات خـارج مدينة البصرة و العراق. وقد كانت الجولـة الأولـى هـي للكويت التي يشاع بأنها ستكون المحطة الأولى لخط حديدي جديد. وقد قام بزيارة الكويت كل من مساعد المستوصـف و موزع الكتب.

و أظهرت هذه الرحلة للكويت عدة أشياء هامة تتعلـق بهذا البلد منها أن الكويت و خاصة بالنسبة لبائع الكتب لـن

يوجد مستقبل باهر فيها بسبب الأمية العالية. و لكن الأطبـاء
يستطيعون العمل هنـا رغـم مضايقـ ـة الناس لهـم بأنهم



منظر من بغداد

مشركون، كما أن الأطباء يستطيعون الذهاب إلى نجـد عبرها و إلى أبعد مكان يريدونه في الجزيرة العربية.

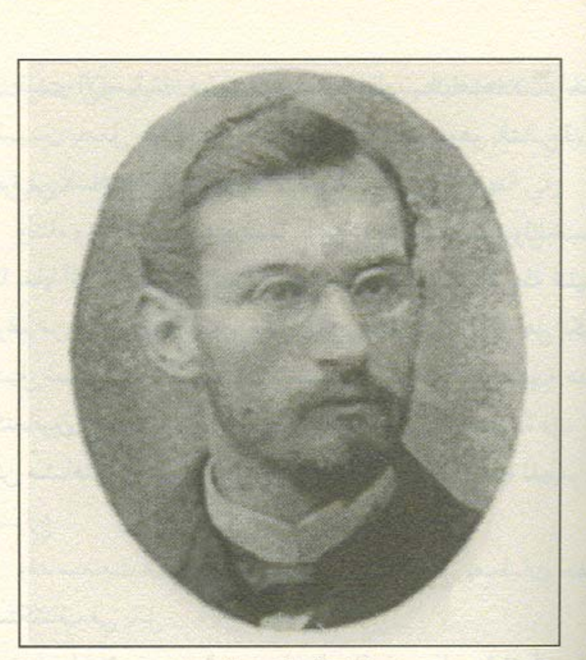
أما المكان الثاني الذي قمنـا بزيارتـه فكـان مدينـة الناصرية و ذلك عبر نهري دجلة و الفرات، وفي هذه جولة حقق موزع الكتب يعقوب فيها نجاحاً جيداً، فقد استطاع فـي هذه الجولة بيع عدد كبير من الكتاب المقدس، و الأهم خاصة هو ما حاوله عبر بيع الكتب زرع بـذور المسـيحية فـي المنطقة لتنتج الثمار في المستقبل.

وفي أماكن أخرى أيضاً كان موزع الكتب يجري مـع الناس أحاديث شيقة حول المسيح عيسى، وخـلال الأسـابيع القليلة الماضية فإن الجولات التي قمنا بها لمدن مثل الزبير و أبو خصيب حققت نتائج ممتازة ونجاحاً جيداً فـي التبشـير وعرض أفكارنا.

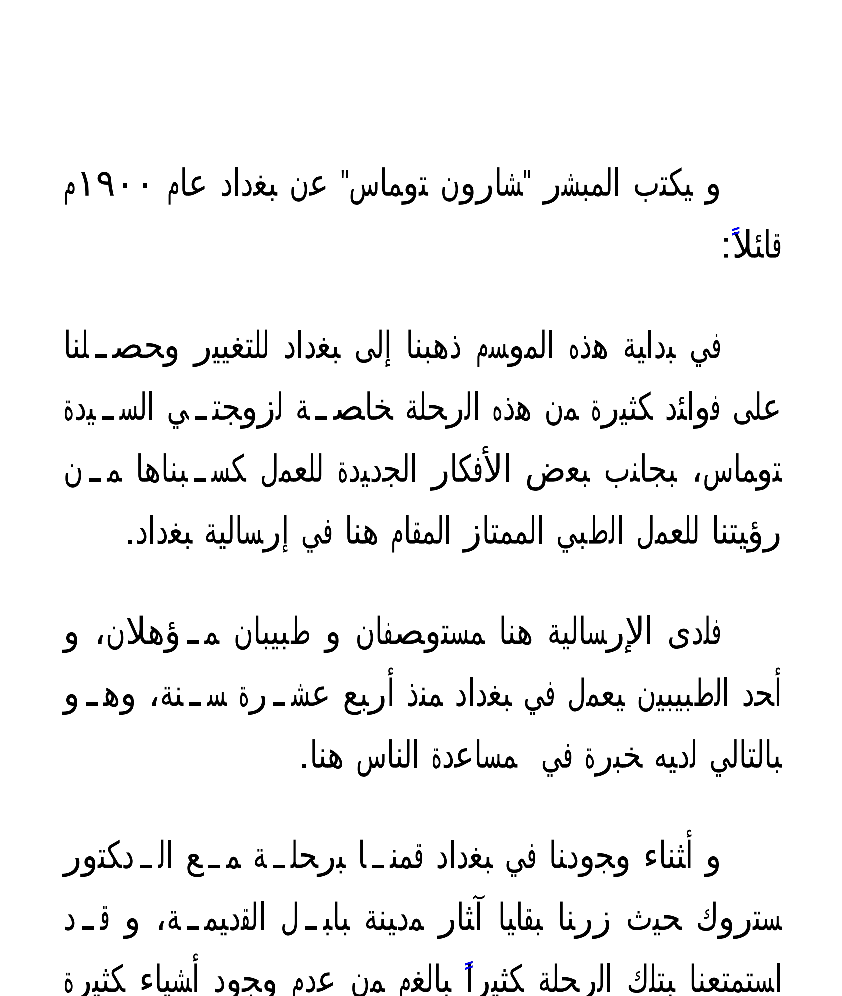
غير أن المدن السابقة روي عنها في تقـارير أخـرى حكايات سيئة عن التعصب بين أهلها و كان من المسـتحيل الدخول إلى بعضها أصلاً. لكنني أستطيع أن أقول بأنه حتى

و لو كانت تلك المدن صعبة و متعصبة، فإنني واثق من أنها ستبقى مفتوحة لمبشرينا و لموزعي كتبنا.

إن الجو الحار في العراق على وشك أن يبـدأ، وهـذا يعرض الرحالة إلى خطر كبير على الصـحة، ولكـن مـع برودة الجو فإننا نأمل في دفع عملنا مرة أخرى.



المبشر الأمريكي «بارني»



و يكتب المبشر "شارون توماس" عن بغداد عام ١٩٠٠م قائلاً:

في بداية هذه الموسم ذهبنا إلى بغداد للتغيير وحصلنا على فوائد كثيرة من هذه الرحلة خاصة لزوجتي السيدة توماس، بجانب بعض الأفكار الجديدة للعمل كسبناها من رؤيتنا للعمل الطبي الممتاز المقام هنا في إرسالية بغداد.

فلدى الإرسالية هنا مستوصفان و طبيبان مؤهلان، و أحد الطبيبين يعمل في بغداد منذ أربع عشرة سنة، وهو بالتالي لديه خبرة في مساعدة الناس هنا.

و أثناء وجودنا في بغداد قمنا برحلة مع الدكتور ستروك حيث زرنا بقايا آثار مدينة بابل القديمة، و قد استمتعنا بتلك الرحلة كثيراً بالغم من عدم وجود أشياء كثيرة يمكن مشاهدتها، لكن هل يمكن تخيل شعوري و أن أقف فوق معبد "بعل" وهو أحد الآلهة عند الكنعانيين والفينيقيين. ووسط دمار المدينة الفارسية العتيقة فإنه لا يمكن مشاهدة أي شيء سوى بقايا الأساسيات المتهدمة للجدران والشوارع.

وقد سمعت أن الحكومة الألمانية قامت مؤخراً بعمليات حفر واستكشاف في بابل.

و طبعاً فلا مفر من الصيف في العراق فهو على وشك أن يبدأ بدرجة حرارة مقدارها ١٠٤ فهرنهيت تحت الظـل. وفي الشهر القادم ستكون الحرارة على الأرجح بمعدل ١١٢ فهرنهيت درجة تقريباً.

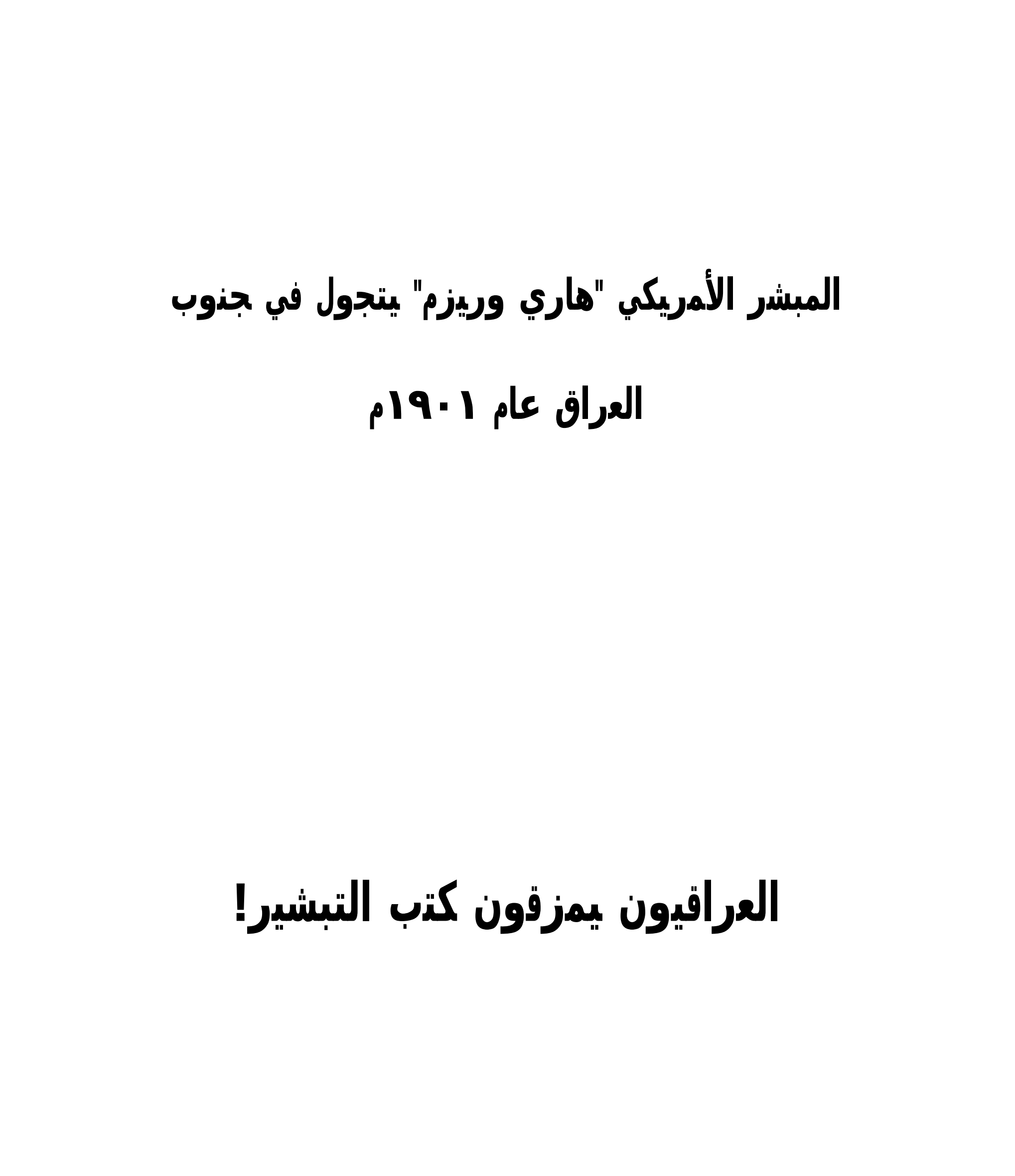
و الجميع في مدينة البصرة سيكونون بخير، باسـتثناء "لسعات الحر" اللاهبة التي جعلت الأطفال من الآن يعـانون من الحر.

و بخصوص مستوصف الإرسالية في البصرة، فقد بـدأ المرضى في التوافد على المستوصف كل صباح بعد شروق الشمس بفترة قصيرة، وفي الأسبوع الماضي قمت بمعالجـة حوالي ٢٠٠ مريض.

وأظن أن عدد المرضى هذا الأسبوع سيحافظ على نفس تلك الأرقام.

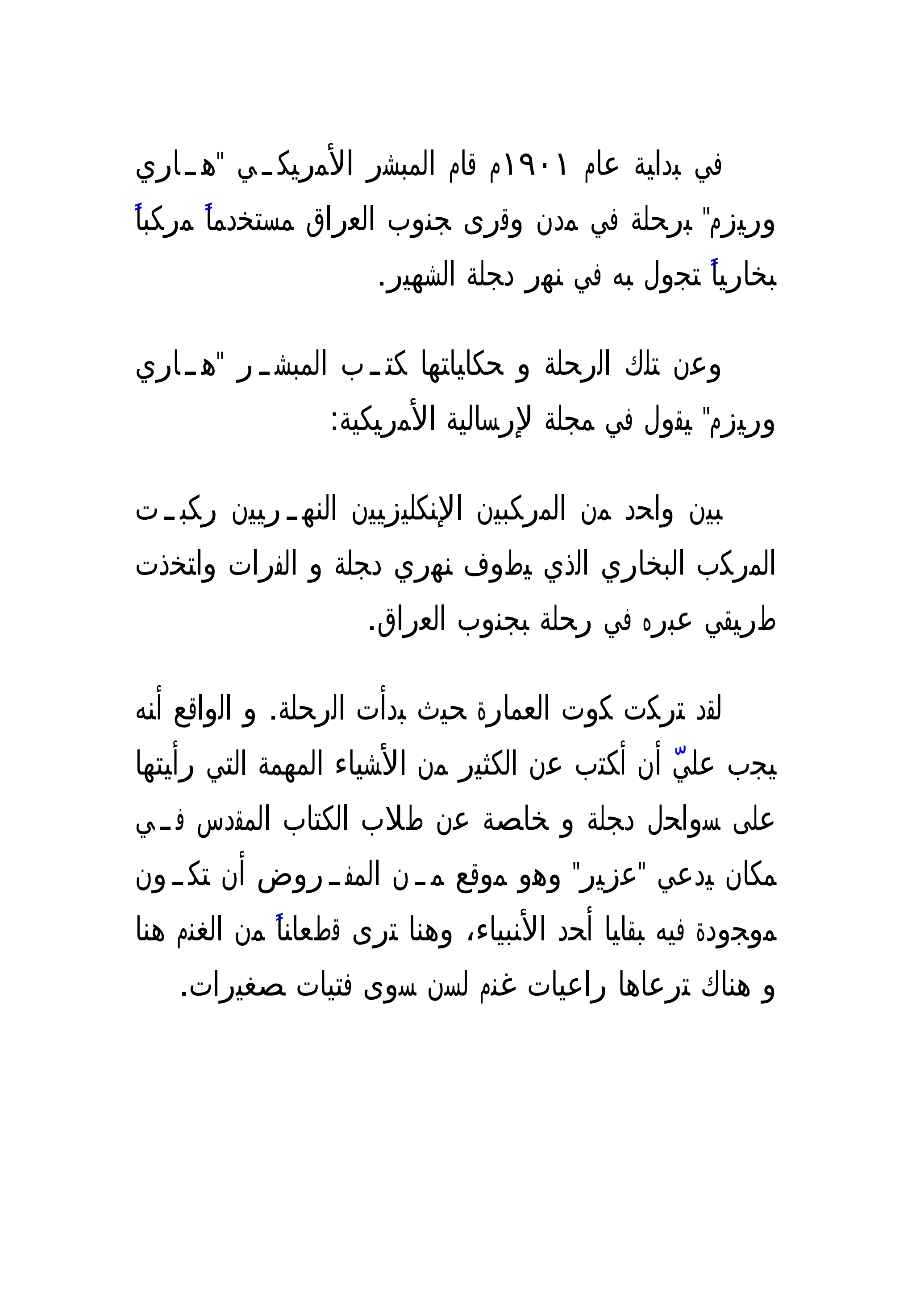


وفي النهاية فإنني أتمنى أن أخبركم عن بعض هـؤلاء المرض في المستقبل.



المبشر الأمريكي "هاري وريزم" يتجول في جنوب العراق عام ١٩٠١م

العراقيون يمزقون كتب التبشير!

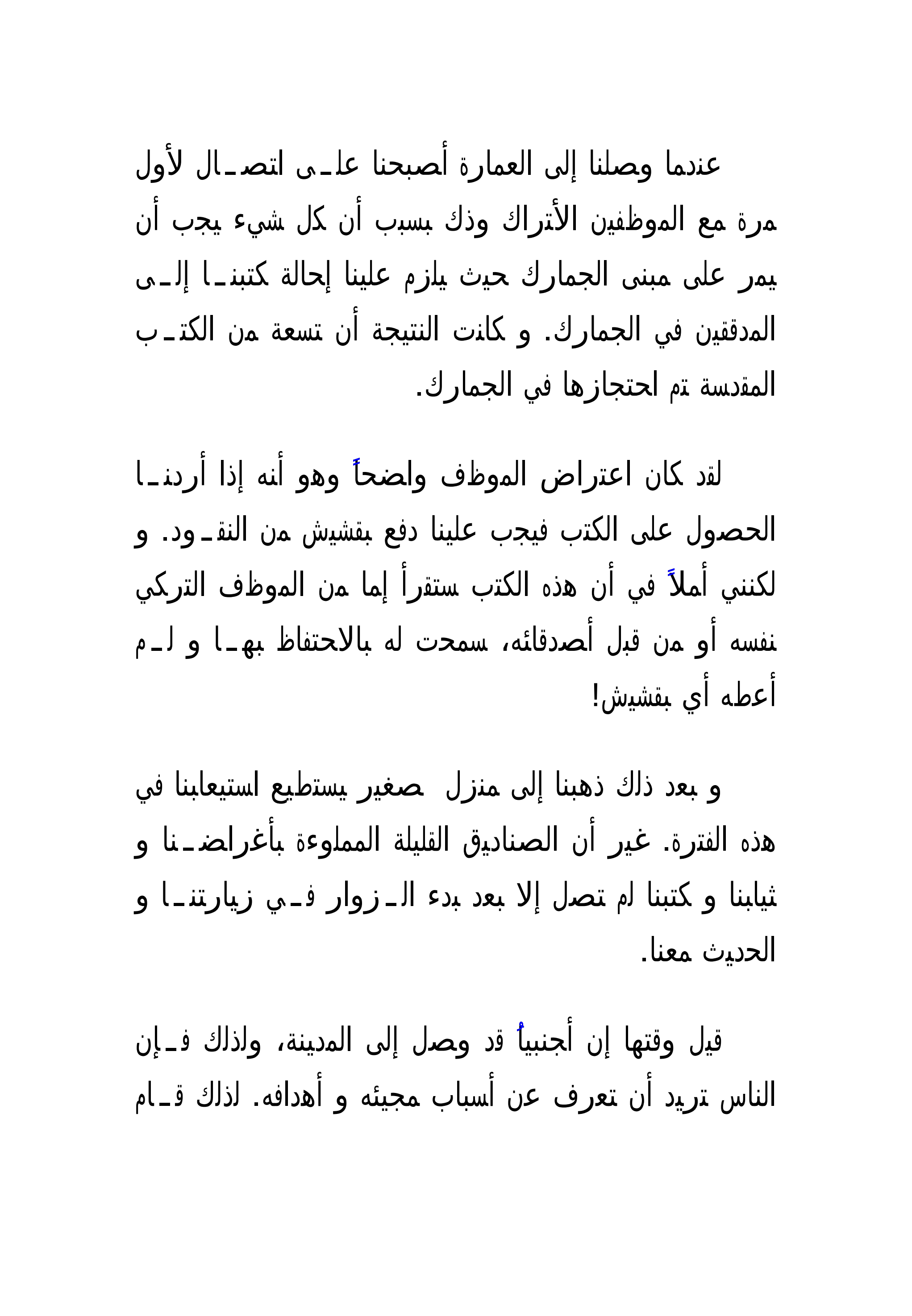


في بداية عام ١٩٠١م قام المبشر الأمريكي "هاري وريزم" برحلة في مدن وقرى جنوب العراق مستخدماً مركباً بخارياً تجول به في نهر دجلة الشهير.

وعن تلك الرحلة و حكاياتها كتب المبشر "هاري وريزم" يقول في مجلة لإرسالية الأمريكية:

بين واحد من المركبين الإنكليزيين النهريين ركبت المركب البخاري الذي يطوف نهري دجلة و الفرات واتخذت طريقي عبره في رحلة بجنوب العراق.

لقد تركت كوت العمارة حيث بدأت الرحلة. و الواقع أنه يجب عليّ أن أكتب عن الكثير من الأشياء المهمة التي رأيتها على سواحل دجلة و خاصة عن طلاب الكتاب المقدس في مكان يدعي "عزير" وهو موقع من المفروض أن تكون موجودة فيه بقايا أحد الأنبياء، وهنا ترى قطعاناً من الغنم هنا و هناك ترعاها راعيات غنم لسن سوى فتيات صغيرات.



عندما وصلنا إلى العمارة أصبحنا علـى اتصـال لأول مرة مع الموظفين الأتراك وذك بسبب أن كل شيء يجب أن يمر على مبنى الجمارك حيث يلزم علينا إحالة كتبنـا إلـى المدققين في الجمارك. و كانت النتيجة أن تسعة من الكتـب المقدسة تم احتجازها في الجمارك.

لقد كان اعتراض الموظف واضحاً وهو أنه إذا أردنـا الحصول على الكتب فيجب علينا دفع بقشيش من النقـود. و لكنني أملاً في أن هذه الكتب ستقرأ إما من الموظف التركي نفسه أو من قبل أصدقائه، سمحت له بالاحتفاظ بهـا و لـم أعطه أي بقشيش!

و بعد ذلك ذهبنا إلى منزل صغير يستطيع استيعابنا في هذه الفترة. غير أن الصناديق القليلة المملوءة بأغراضـنا و ثيابنا و كتبنا لم تصل إلا بعد بدء الـزوار فـي زيارتنـا و الحديث معنا.

قيل وقتها إن أجنبياً قد وصل إلى المدينة، ولذلك فـإن الناس تريد أن تعرف عن أسباب مجيئه و أهدافه. لذلك قـام

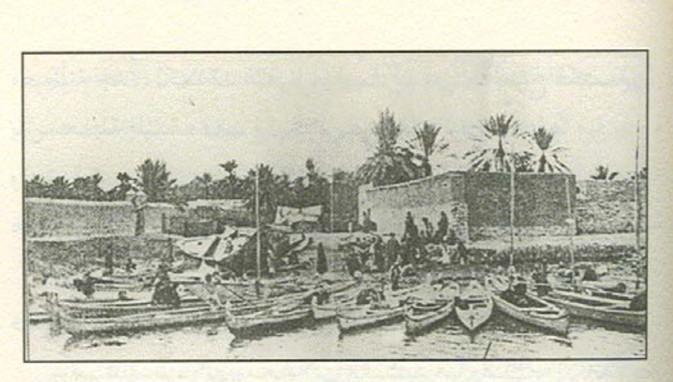
موزع الكتب عندنا "ميشا" بفتح صندوق الكتب وإطلاع الناس على الإنجيل و الكراريس المسيحية.

و تدريجياً فإن الناس أصبحوا أكثر جرأة، بعدما كـان العرب في الماضي يخشون من الأوربيين، خاصة بعـد أن صار المتعلمون منهم يستطيعون القراءة و الاطلاع.

ولعل هذا ما فتح طريق الاعتراضات علينـا. وخـلال بضع ساعات جلس الكثير من العرب فـي الأرض العاريـة بينما جلست أنا فوق الصندوق.

وقد تمت الترجمة بيننا وبين العرب بواسطة مـوظفين أتراك جاءوا لمعرفة ما إذا كانت جوازاتنا تحتوي على إقامة في العراق أم لا.

و بكثير من الصبر تحملنا تدقيق المـوظفين الأتـراك المتواصل مدركين في الوقت نفسه بأنهم جاءوا إلينا لبحـث أية حجة ضدنا لطردنا من العراق.

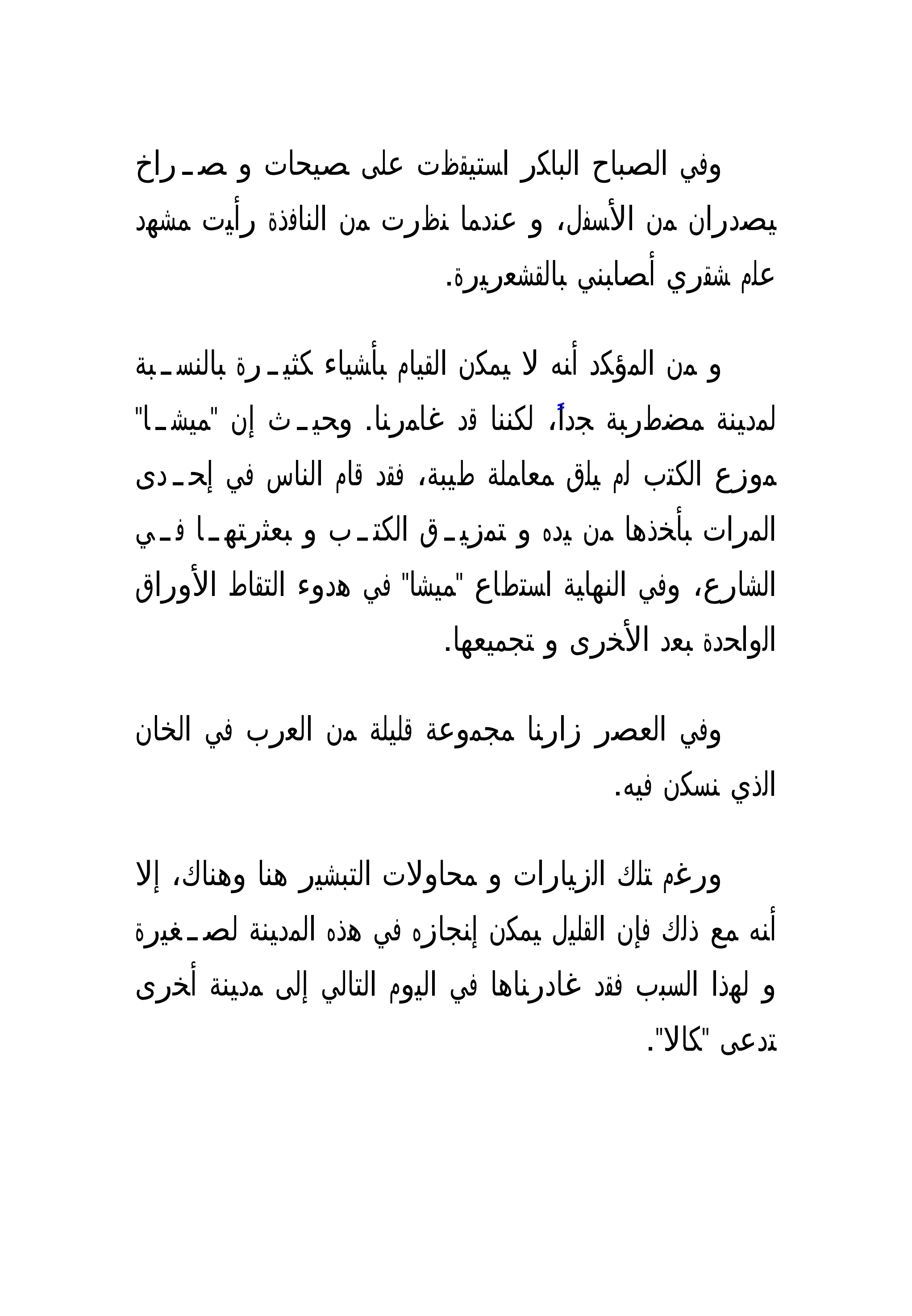


البصرة عام ١٩٠١

ترتبط المنطقة الواقعة بين كوت العمارة على دجلـة و الناصرية على نهر الفرات بمجرى من الماء صالح للملاحة في موسم المد.

و بعد تأخير معتاد من قبل العرب غادرنا كوت لعمارة في قارب صغير يدعى "بيلم" بينما وقـف العشـرات مـن الرجال و النساء و الأطفال يطالعوننا و نحن نغادر المدينة.

لقد كانت المدينة الأولى التـي وصـلناها صـغيرة و متواضعة و نزلنا في أحد الخانات.

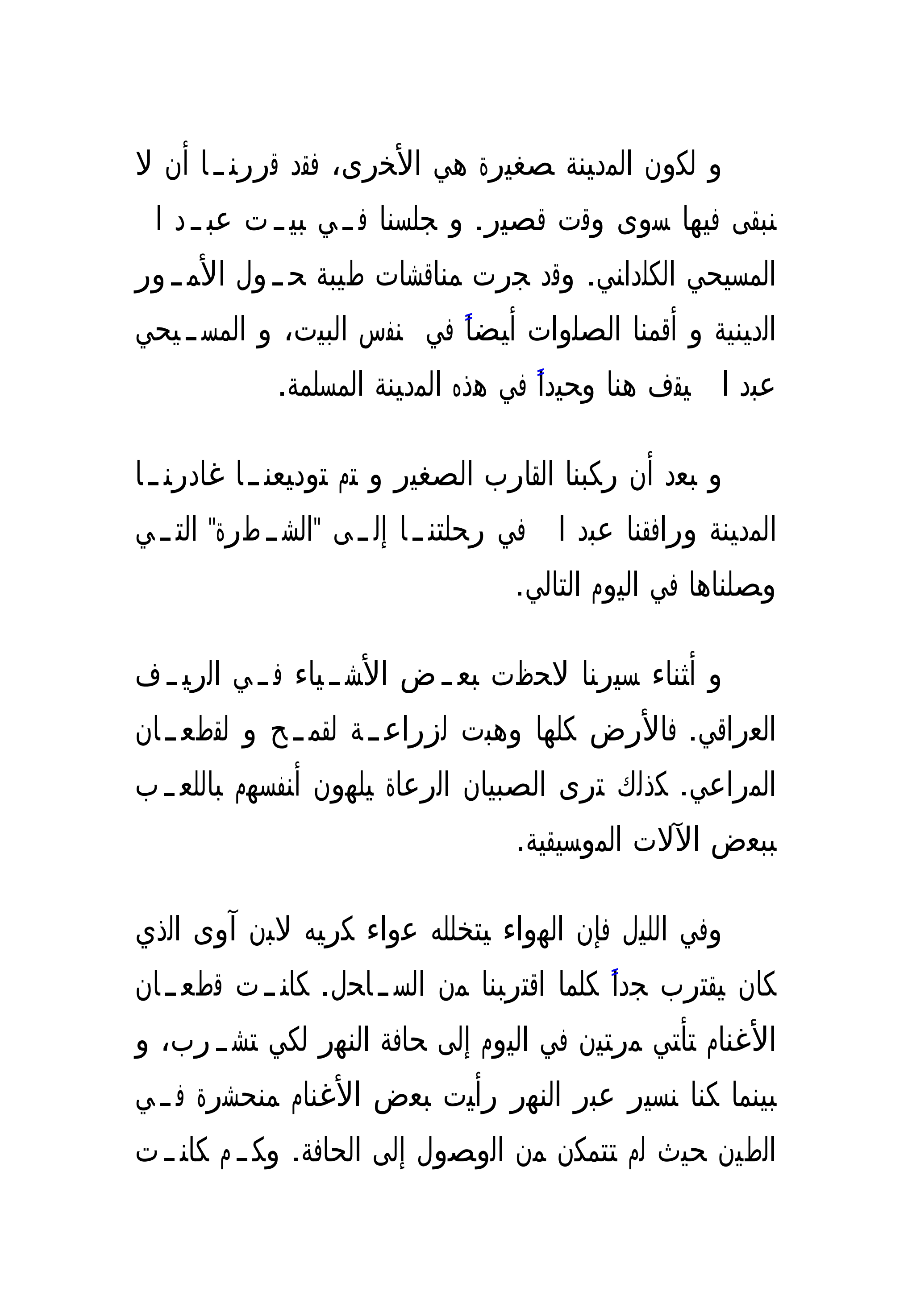


وفي الصباح الباكر استيقظت على صيحات و صـراخ يصدران من الأسفل، و عندما نظرت من النافذة رأيت مشهد علم شقري أصابني بالقشعريرة.

و من المؤكد أنه لا يمكن القيام بأشياء كثيـرة بالنسـبة لمدينة مضطربة جداً، لكننا قد غامرنا. وحيـث إن "ميشـا" موزع الكتب لم يلاق معاملة طيبة، فقد قام الناس في إحـدى المرات بأخذها من يده و تمزيـق الكتـب و بعثرتهـا فـي الشارع، وفي النهاية استطاع "ميشا" في هدوء التقاط الأوراق الواحدة بعد الأخرى و تجميعها.

وفي العصر زارنا مجموعة قليلة من العرب في الخان الذي نسكن فيه.

ورغم تلك الزيارات و محاولات التبشير هنا وهناك، إلا أنه مع ذلك فإن القليل يمكن إنجازه في هذه المدينة لصـغيرة و لهذا السبب فقد غادرناها في اليوم التالي إلى مدينة أخرى تدعى "كالا".



و لكون المدينة صغيرة هي الأخرى، فقد قررنـا أن لا نبقى فيها سوى وقت قصير. و جلسنا فـي بيـت عبـد ا المسيحي الكلداني. وقد جرت مناقشات طيبة حـول الأمـور الدينية و أقمنا الصلوات أيضاً في نفس البيت، و المسـيحي عبد ا يقف هنا وحيداً في هذه المدينة المسلمة.

و بعد أن ركبنا القارب الصغير و تم توديعنـا غادرنـا المدينة ورافقنا عبد ا في رحلتنـا إلـى "الشـطرة" التـي وصلناها في اليوم التالي.

و أثناء سيرنا لاحظت بعـض الأشـياء فـي الريـف العراقي. فالأرض كلها وهبت لزراعـة لقمـح و لقطعـان المراعي. كذلك ترى الصبيان الرعاة يلهون أنفسهم باللعـب ببعض الآلات الموسيقية.

وفي الليل فإن الهواء يتخلله عواء كريه لابن آوى الذي كان يقترب جداً كلما اقتربنا من السـاحل. كانـت قطعـان الأغنام تأتي مرتين في اليوم إلى حافة النهر لكي تشـرب، و بينما كنا نسير عبر النهر رأيت بعض الأغنام منحشرة فـي الطين حيث لم تتمكن من الوصول إلى الحافة. وكـم كانـت

الأغنام بائسة في صياحها، ولكن كم كان الصـبية الرعـاة سريعين في إنقاذها!

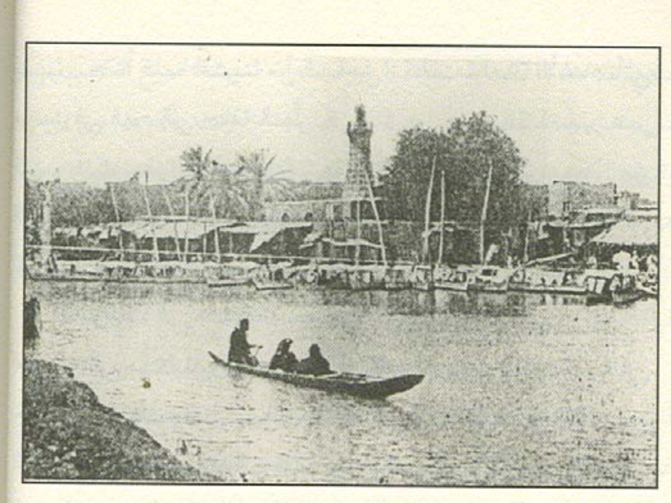
لقد وصلنا إلى "الشطرة" بعد فترة من غروب الشـمس، و كالعادة حصلنا على مكان نأوي فيه في المنزل الموجـود. وهذه المدينة كبيرة في حجمها و لذلك بقينا فيها أربعة أيام. و بسرعة أقمنا صداقات مع الذين جرت معهم مناقشات طيبـة في غرفتي في النزل أو في المقهى.

وقام "ميشا" بمجهودات كبيرة بعرض كتبه للبيع لكنهـا تعرضت للهجوم مثل المدينة السابقة. فقد قام الناس بحذفها و تمزيقها و رميها في الهواء.

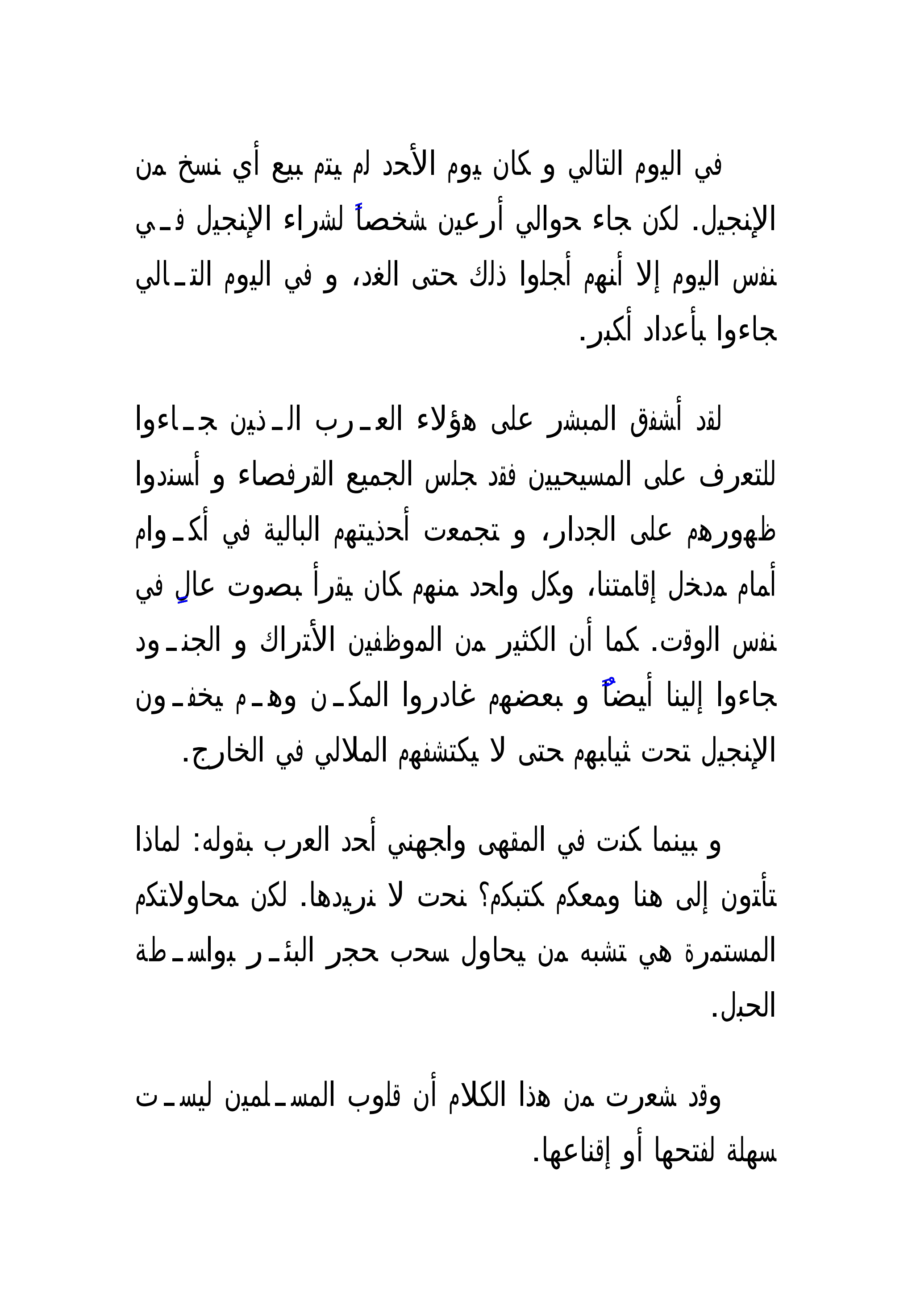
و لكن مرة أخرى استطاع بصبره و إخلاصه الشـرقي جمع أوراق الكتب بعد ذلك حتى استطاع ترتيب صـفحاتها، وبينما كان يجمع الكتب تحولت الريح إلى صالحه، وعنـدها قام رجل جرئ من بين العرب واخذ الكتاب المقدس و بـدأ يقرأه، و شجع تصرف هذا العربي غيره من العرب، ورغم ذلك فإنه تم دعوة العرب بالمدينة إلى تحريم قـراءة كتـب

الإنجيل التي يوزعها "ميشا" وإن كانوا قد عـاملوه معاملـة ألطف هذه المرة.

و بين هؤلاء كان هناك رجل لم تكن لديـه الشـجاعة لشراء الإنجيل علناً، فقد جاء هذا الرجل إلى غرفتـي فـي النزل في ساعة متأخرة من الليل، وبعد قـراءة و أحاديـث لبعض الوقت قام و أخذ نسختين من الإنجيل معه.



مسجد عند مدخل البصرة

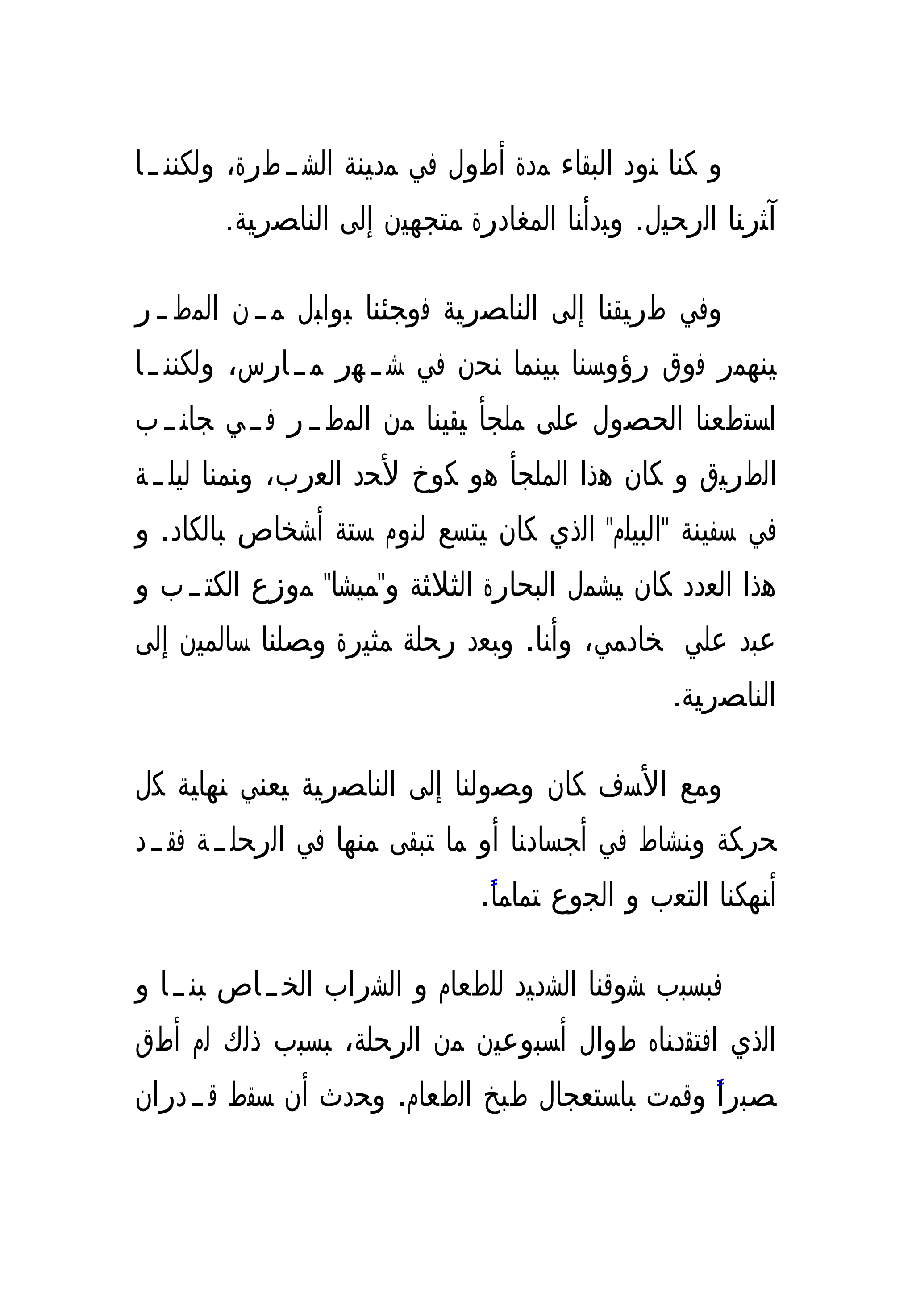


في اليوم التالي و كان يوم الأحد لم يتم بيع أي نسخ من الإنجيل. لكن جاء حوالي أرعين شخصاً لشراء الإنجيل فـي نفس اليوم إلا أنهم أجلوا ذلك حتى الغد، و في اليوم التـالي جاءوا بأعداد أكبر.

لقد أشفق المبشر على هؤلاء العـرب الـذين جـاءوا للتعرف على المسيحيين فقد جلس الجميع القرفصاء و أسندوا ظهورهم على الجدار، و تجمعت أحذيتهم البالية في أكـوام أمام مدخل إقامتنا، وكل واحد منهم كان يقرأ بصوت عالٍ في نفس الوقت. كما أن الكثير من الموظفين الأتراك و الجنـود جاءوا إلينا أيضاً و بعضهم غادروا المكـن وهـم يخفـون الإنجيل تحت ثيابهم حتى لا يكتشفهم الملالي في الخارج.

و بينما كنت في المقهى واجهني أحد العرب بقوله: لماذا تأتون إلى هنا ومعكم كتبكم؟ نحت لا نريدها. لكن محاولاتكم المستمرة هي تشبه من يحاول سحب حجر البئـر بواسـطة الحبل.

وقد شعرت من هذا الكلام أن قلوب المسـلمين ليسـت سهلة لفتحها أو إقناعها.

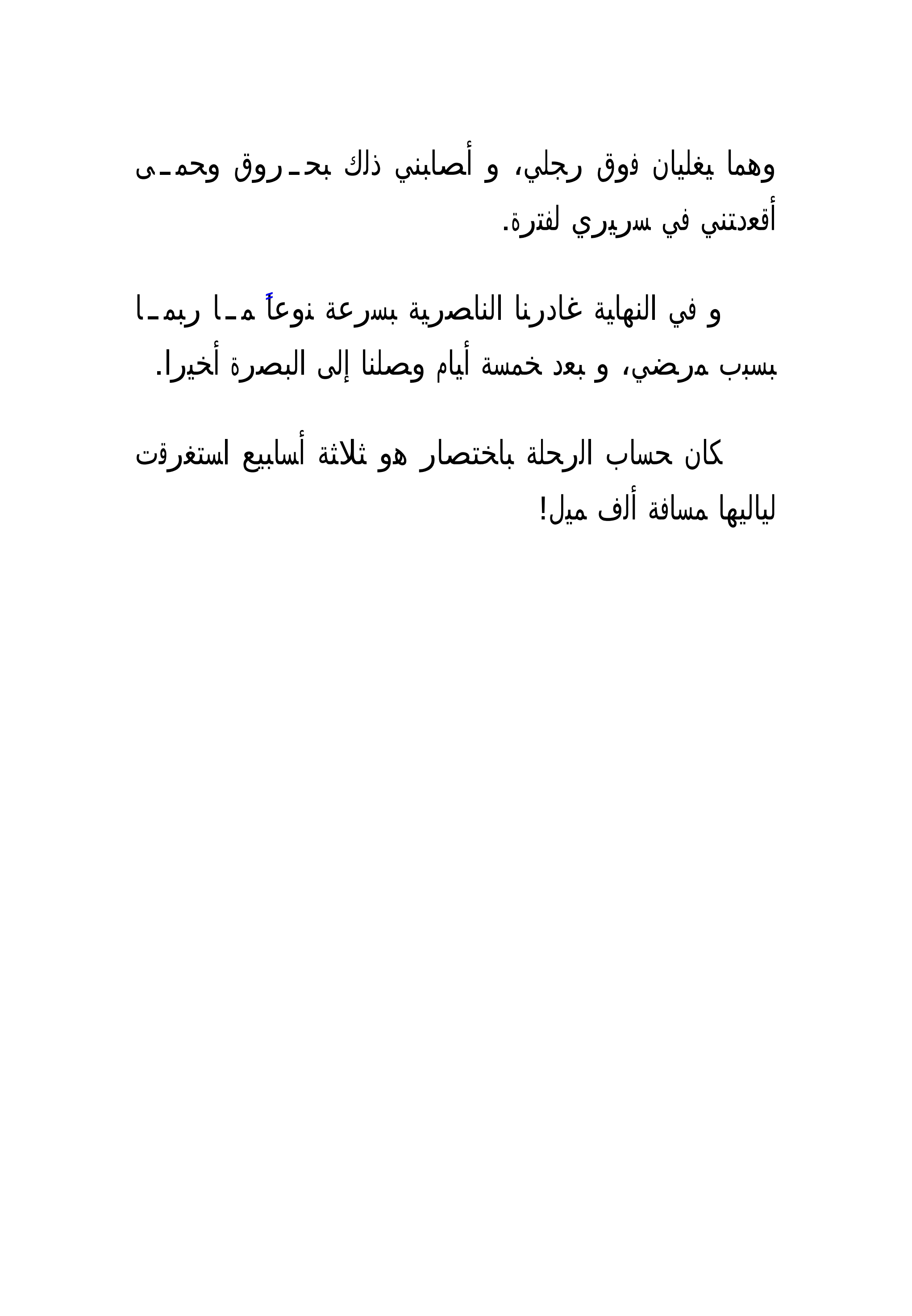


و كنا نود البقاء مدة أطول في مدينة الشـطرة، ولكننـا آثرنا الرحيل. وبدأنا المغادرة متجهين إلى الناصرية.

وفي طريقنا إلى الناصرية فوجئنا بوابل مـن المطـر ينهمر فوق رؤوسنا بينما نحن في شـهر مـارس، ولكننـا استطعنا الحصول على ملجأ يقينا من المطـر فـي جانـب الطريق و كان هذا الملجأ هو كوخ لأحد العرب، ونمنا ليلـة في سفينة "البيلم" الذي كان يتسع لنوم ستة أشخاص بالكاد. و هذا العدد كان يشمل البحارة الثلاثة و"ميشا" موزع الكتـب و عبد علي خادمي، وأنا. وبعد رحلة مثيرة وصلنا سالمين إلى الناصرية.

ومع الأسف كان وصولنا إلى الناصرية يعني نهاية كل حركة ونشاط في أجسادنا أو ما تبقى منها في الرحلـة فقـد أنهكنا التعب و الجوع تماماً.

فبسبب شوقنا الشديد للطعام و الشراب الخـاص بنـا و الذي افتقدناه طوال أسبوعين من الرحلة، بسبب ذلك لم أطق صبراً وقمت باستعجال طبخ الطعام. وحدث أن سقط قـدران



وهما يغليان فوق رجلي، و أصابني ذلك بحـروق وحمـى أقعدتني في سريري لفترة.

و في النهاية غادرنا الناصرية بسرعة نوعاً مـا ربمـا بسبب مرضي، و بعد خمسة أيام وصلنا إلى البصرة أخيرا.

كان حساب الرحلة باختصار هو ثلاثة أسابيع استغرقت لياليها مسافة ألف ميل!

المبشر الأمريكي "إف. بارني" يروي

حكايات التبشير عام ١٩٠١م

كتب ممزقة.... وحوادث خطرة!

قاد المبشر الأمريكي "إف.جي.بـارني" فـرق تبشـير متعددة في العراق أوائل القرن العشرين.

ويروي المبشر "بارني" في تقرير كتبه لمجلة الإرسالية الأمريكية "الجزيرة المنسية" فصولاً من حكايات باعة الكتب ببعض المدن العراقية في شهر أكتوبر عام ١٩٠١م حيـث يقول:

لأول مرة أتخلى عن دور الراوي في هذا التقرير عن حملات التبشير المسيحي في العراق. فسأقوم فـي السـطور التالية بترك باعة و موزعي الكتب المسيحية بالحديث عـن حكاياتهم و تجاربهم في المدن و القرى.

لكن قبل أن أترك المهمة لموزعي الكتب لابد أن أؤكـد علىأن الشهور الثلاثة الماضـية كانـت حافلـة بالإنجـاز. وساعدنا الطقس على أن تكون معكـم أعمالنـا التبشـيرية ناجحة.

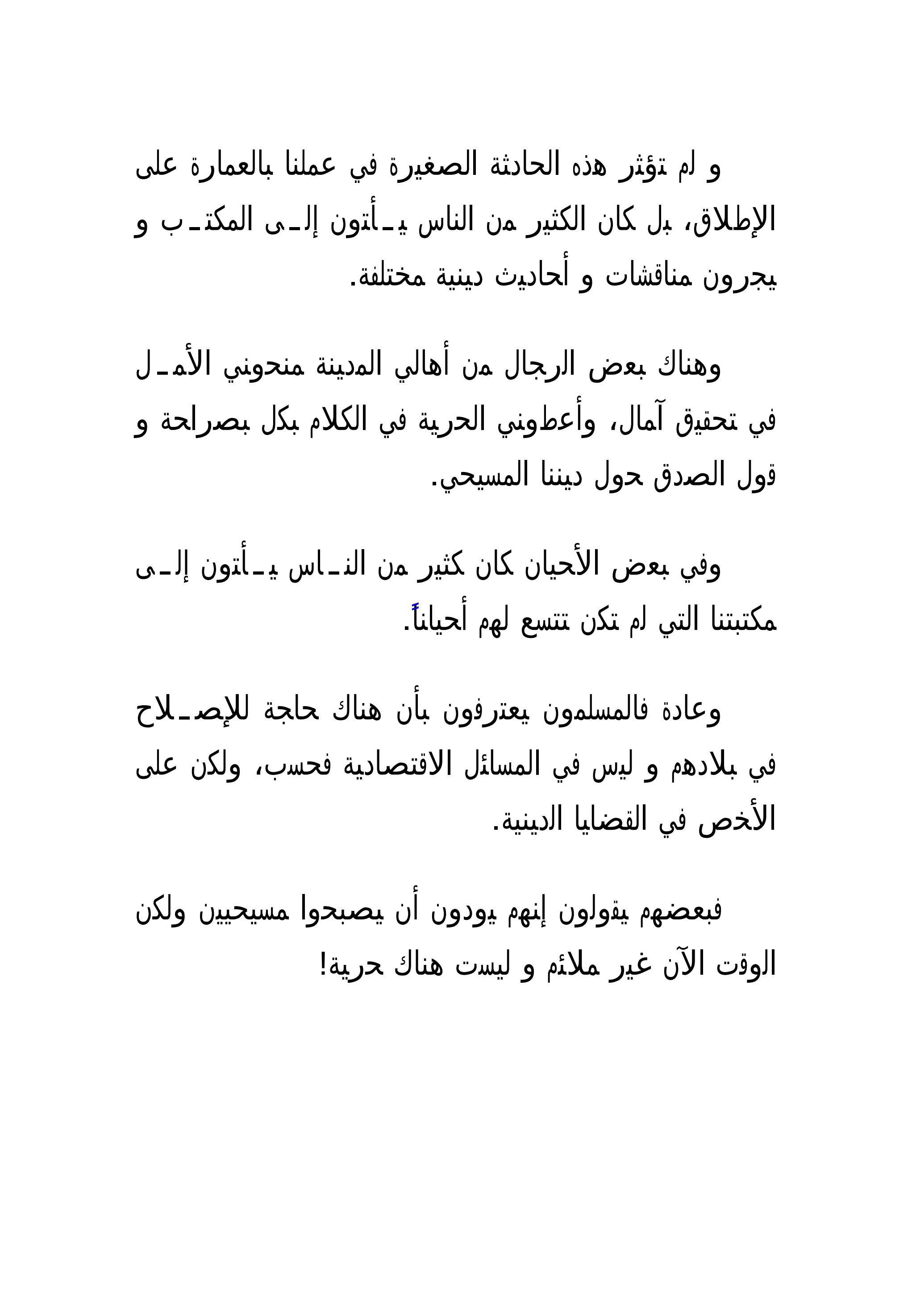
و يمكنني القول إن بيع الكتاب المقدس كان جيداً. وقد قمت مؤخراً بجرد مرتجعات هذا العام. ووجـدت أن العـدد

الإجمالي لبيع الكتاب كان ١٧٤٠ نسخة، وهي تزيد بنسبة ١٧ في المائة عن السنة الماضية، و تزيد بنسبة ٤٤ في المائة عن السنتين الماضيتين.

و من المؤكد أن هذا النجاح يقتضي منا الإقرار بفضل ا عليبنا، خاصة إذا أدركنا الظروف الكثيرة المشاكسة التي سادت هنا خلال العام.

يقول موزع الكتب المسيحية يعقوب عن عمله التبشيري في مدينة العمارة التي مكث فيها لمدة خمسة شهور:

"لقد كنت أفتتح مكتبة بيع الكتب في المدينة يومياً. وخلال بقائي في المكتبة وجدت أن أكثر سكان المدينة يأتون إلينا للزيارة. ولم أجد أية معارضة لعملنا باستثناء الأيام القليلة الأخيرة عندما اعتبر بعض الناس أن الشجار الذي وقع بين إنكليزي و تركي حول الكويت شيء يخص الإرسالية و لتبشير. ولذلك حاول بعض الأهالي مضايقتي اعتقاداً منهم بأن مكتبتنا لديها علاقة خاصة مع هذا الإنكليزي.



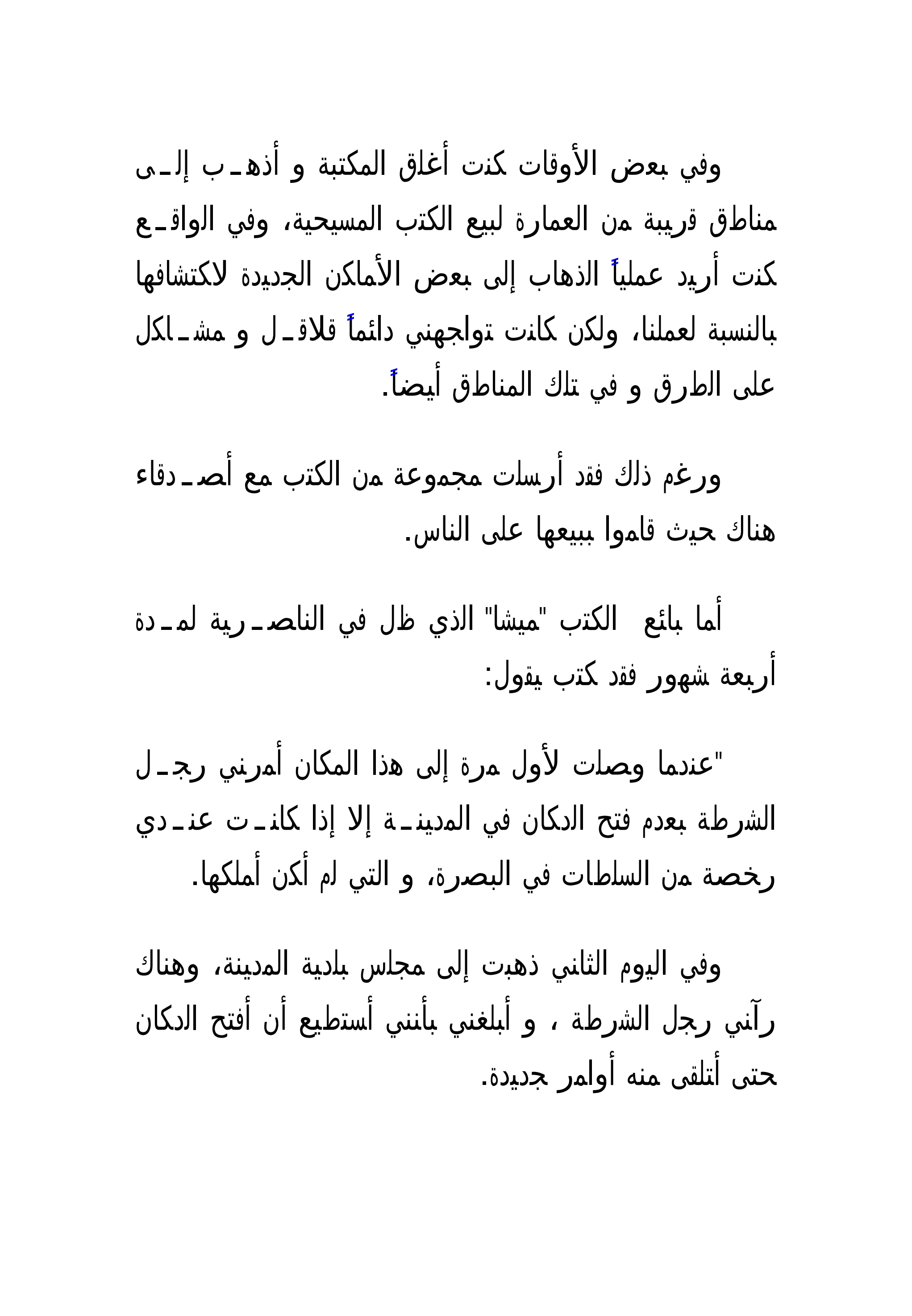
و لم تؤثر هذه الحادثة الصغيرة في عملنا بالعمارة على الإطلاق، بل كان الكثير من الناس يـأتون إلـى المكتـب و يجرون مناقشات و أحاديث دينية مختلفة.

وهناك بعض الرجال من أهالي المدينة منحوني الأمـل في تحقيق آمال، وأعطوني الحرية في الكلام بكل بصراحة و قول الصدق حول ديننا المسيحي.

وفي بعض الأحيان كان كثير من النـاس يـأتون إلـى مكتبتنا التي لم تكن تتسع لهم أحياناً.

وعادة فالمسلمون يعترفون بأن هناك حاجة للإصـلاح في بلادهم و ليس في المسائل الاقتصادية فحسب، ولكن على الأخص في القضايا الدينية.

فبعضهم يقولون إنهم يودون أن يصبحوا مسيحيين ولكن الوقت الآن غير ملائم و ليست هناك حرية!



وفي بعض الأوقات كنت أغلق المكتبة و أذهـب إلـى مناطق قريبة من العمارة لبيع الكتب المسيحية، وفي الواقـع كنت أريد عملياً الذهاب إلى بعض الأماكن الجديدة لاكتشافها بالنسبة لعملنا، ولكن كانت تواجهني دائماً قلاقـل و مشـاكل على الطرق و في تلك المناطق أيضاً.

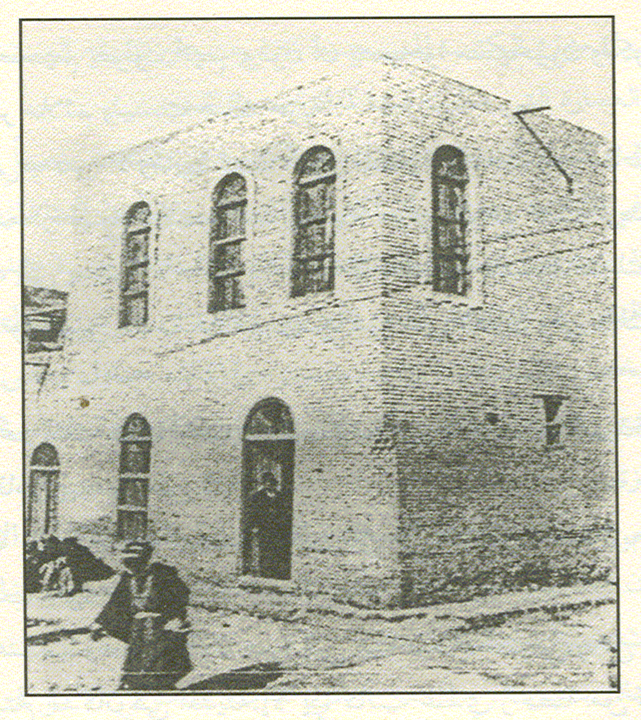
ورغم ذلك فقد أرسلت مجموعة من الكتب مع أصـدقاء هناك حيث قاموا ببيعها على الناس.

أما بائع الكتب "ميشا" الذي ظل في الناصـرية لمـدة أربعة شهور فقد كتب يقول:

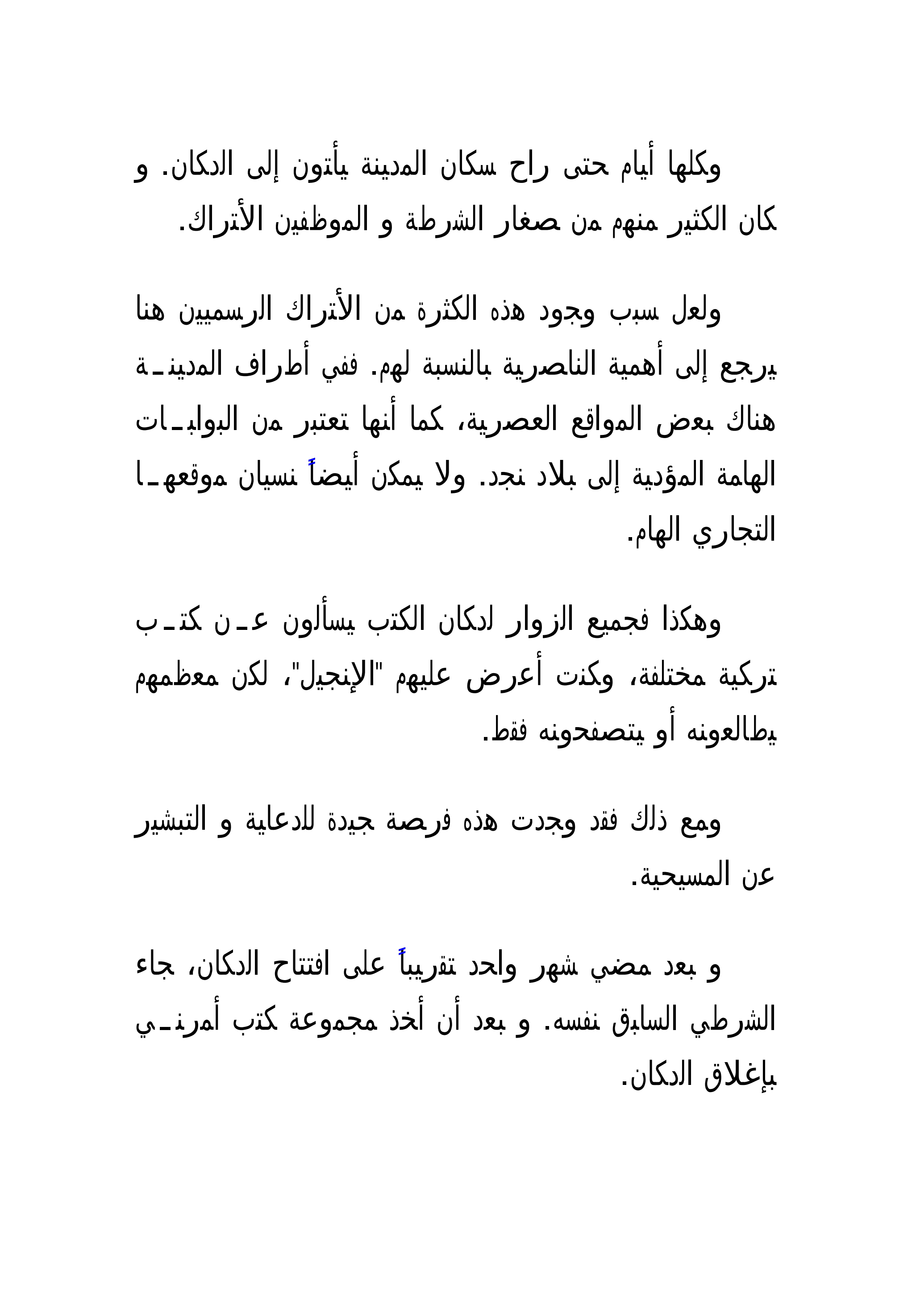
"عندما وصلت لأول مرة إلى هذا المكان أمرني رجـل الشرطة بعدم فتح الدكان في المدينـة إلا إذا كانـت عنـدي رخصة من السلطات في البصرة، و التي لم أكن أملكها.

وفي اليوم الثاني ذهبت إلى مجلس بلدية المدينة، وهناك رآني رجل الشرطة ، و أبلغني بأنني أستطيع أن أفتح الدكان حتى أتلقى منه أوامر جديدة.

و هكذا ذهبت وفتحت الدكان في الحال، و بعد تنظيف الدكان و نفض الغبار عنه و تنظيمه قمت ببيع بعض الكتب اليهودية من النوع الذي يحتاجه الأولاد اليهود لمدارسهم.



مكتبة التبشير في العمارة



وكلها أيام حتى راح سكان المدينة يأتون إلى الدكان. و كان الكثير منهم من صغار الشرطة و الموظفين الأتراك.

ولعل سبب وجود هذه الكثرة من الأتراك الرسميين هنا يرجع إلى أهمية الناصرية بالنسبة لهم. ففي أطراف المدينة هناك بعض المواقع العصرية، كما أنها تعتبر من البوابات الهامة المؤدية إلى بلاد نجد. ولا يمكن أيضاً نسيان موقعها التجاري الهام.

وهكذا فجميع الزوار لدكان الكتب يسألون عن كتب تركية مختلفة، وكنت أعرض عليهم "الإنجيل"، لكن معظمهم يطالعونه أو يتصفحونه فقط.

ومع ذلك فقد وجدت هذه فرصة جيدة للدعاية و التبشير عن المسيحية.

و بعد مضي شهر واحد تقريباً على افتتاح الدكان، جاء الشرطي السابق نفسه. و بعد أن أخذ مجموعة كتب أمرني بإغلاق الدكان.

و بعد محاولات عديدة من قبل القنصلية الأمريكية فـي البصرة استطعنا بجهد بـالغ اسـترجاع مجموعـة الكتـب المصادرة في الدكان المغلق.

وبعد تلك الأحداث ذهبت إلى إحدى القـرى المجـاورة وقمت ببيع بعض النسخ، و بينما كنت ذاهباً نحـو السـوق ناداني أحدهم و طلب مني الحديث حول إيماني بالمسيحية و كيف أنني أصبحت مسيحياً.

و بالطبع قمت بالدفاع عن معتقداتي مع إبداء الحجج و الأسباب و التي كان عرضها مقبولاً بالنسبة للرجـل بينمـا رفض بعضها، لكنه وعد بطلب لقائي مرة أخرى.

وفي اليوم التالي التقاني موظف تركي حكومي وطلـب مني الذهاب إلى بيت قال إنه مكان يجتمع فيه عادة بعـض الرجال في معظم الليالي، ويناقشون المسائل الدينية.



منظر لمدينة الناصرية

كان البيت الذي قصدته بحماس به غرف واسعة، وهـو ملك لأحد التجار الأثرياء في المدينة، وكان الرجال يـأتون إلى البيت و يشربون القهوة و يتحدثون في الأغلـب حـول أمور الدين.

وفي تلك الليلة حضر اللقاء حوالي خمسـة وعشـرين شخصاً، و كانت المناقشات كلها حول المسـائل الدينيـة، و تحدثت أمام هذا التجمع بكل صراحة حول المسيح و مهمتـه و رمزيته، وقد أصغى الجميع إلى كلامي بكل دقة و انتباه.

وكان وسط هؤلاء الرجال شخص واحد وجدت به كـل الصدق، و كان مستعداً للالتحاق بالكنيسة و التنصر، و لم أر في رغبته أي شيء يمنع القيام بتلك الخطوة.

وفي الواقع فقد كنت مسروراً لوجودي في ذلك التجمع، ولهذا بقيت معهم لأكثر من ثلاث ساعات، و عندما أبـديت رغبتي في الرحيل قام صاحب البيت بشكري و طلب منـي قبول دعوته لي في كل مرة تتم فيها مثل هذه اللقاءات.

ومن هذا البيت انتقلت إلى مدينة أخرى كانت في الواقع فظة ومزعجة، و أهلها كانوا لا يحترمـون الغربـاء علـى الإطلاق. بل إنها كانت أقل تحضرا من المدن الأخرى، حتى إنني طردت منها و الناس تقذفني بالحجارة ،و لم يكن أمامي طبعاً سوى العودة إلى الناصرية".

بقيت عندي حكاية واحدة سأرويها لكم.

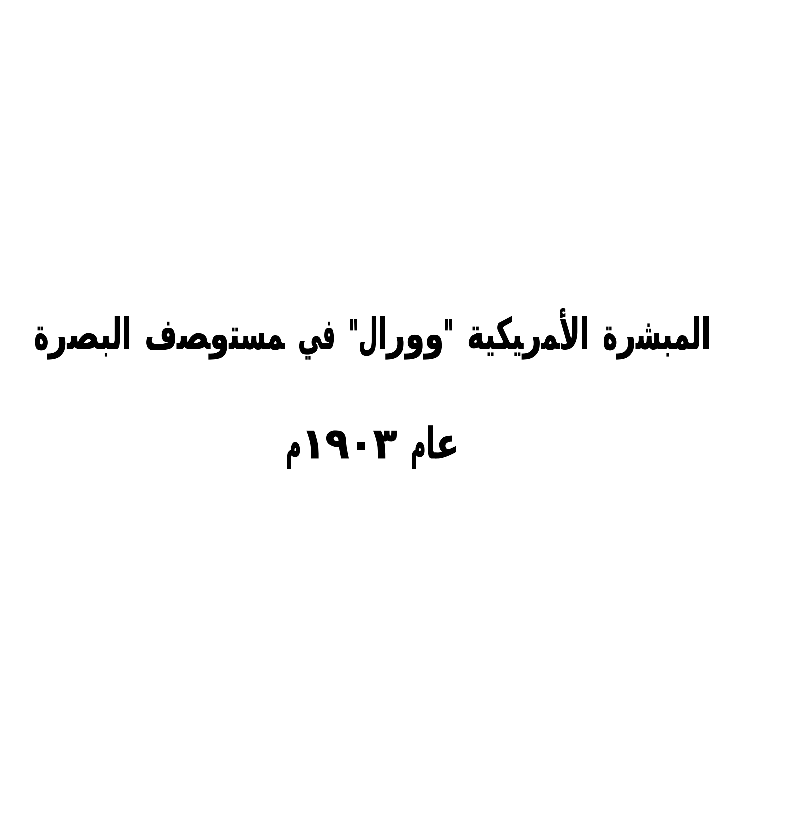
في إحدى المدن قمت ببيع نسخ من الإنجيل إلى جنـدي تركي، غير أن هذا الجندي عاد بعد فتـرة و أراد إعادتـه.

وعندما رفضت السماح بذلك، ذهب وأحضر عدداً من رفاقه الجنود.

وفي وقت قصير حاصرني الجنود في وسـط السـوق. وكان عددهم خمسة عشر جندياً، وأيقنت أنهم كانوا مستعدين لضربي.

وفي تلك اللحظات الحرجة و الخطرة وصل راهب فجأة إلى المكان، ففي البداية قام الراهـب – وهـو قـادم مـن البحرين- بمحاولة إقناعهم بفك الحصار عني، ثـم الـتمس منهم عدم ضربي أو إيقاع أي ضرر بي. و يبدو أنهم اقتنعوا بذلك، ففكوا الحصار لكنهم قاموا في الحال بتمزيق الإنجيل و غادروا المكان.

هذا حادث واحد من عدة حوادث خطرة تقع لنـا فـي الطرقات وشوارع المدن العراقية. غير إنني أستطيع التأكيـد أن بعضها يشكل صعوبات لنا، و بعضـها الآخـر يعطينـا الحافز والتشجيع.



المبشرة الأمريكية "وورال" في مستوصف البصرة

عام ١٩٠٣م

نساء جاهلات..... و مزعجات!

كانت المبشـرة السـيدة "وورال" هـي أهـم وأشـهر شخصيات الإرسالية الأمريكية النسائية في البصـرة خـلال العقود الأولى من القرن العشرين.

وعلاوة على اشتغالها بالتبشير المسيحي وسط العراقيين إلا أنها عملت في مساعدة زوجها الطبيب وورال وفي إدارة مستوصف البصرة و غيرها من الأعمال الهامة.

وفي شهر أكتوبر من عـام ١٩٠٣م كتبـت المبشـرة "وورال" تقريراً عن مستوصف البصرة و حكاياته ومشكلاته لمجلة الإرسالية، كتبت تقول:

أود أن أقول في البداية إننـي أقـوم شخصـياً بمهمـة المساعد و الوحيد لزوجي الدكتور "وورال" في إدارة ورعاية النساء في الفترات القليلة التي يعترض بعضهن فيهـا علـى وجود طبيب من الرجال.

هناك بعض حالات في المستوصف لا يسـتطيع فيهـا الأغنياء دفع أجور المستوصف، فيقومون بدفعها لاحقاً.

و الدكتور وورال يكون مسروراً جداً عنـدما يسـتطيع بهذه الطريقة ممارسة العمل بالمستوصف.

ففي السنة الماضية على سبيل المثال فإن نسبة كبيـرة من تكاليف الأدوية قد تم دفعها من الرسوم الطبية بالبصرة.

وفي مقابل ذلك فإن جميع المرضى الفقـراء يعـالجون مجاناً هنا في المستوصف، و لكننا نحاول أن نجعـل جميـع القادرين على الدفع يدفعون رسوم المستوصف.



مرضى في مستوصف البصرة

ومنذ فترة قصيرة جاء إلينا في المستوصف فتى يبلـغ الخامسة عشرة من العمر. كان الفتى يشتغل عاملاً في واحدة من السفن العاملة في ميناء البصرة عندما انحشرت إحـدى أصابع يده الصغيرة بإحدى الآلات و كادت أن تقطعها نهائياً، وعلاوة على ذلك كانت عظام يده قد كسر جزء كبير منهـا، ووجدنا باليد تمزقاً شديداً.

لم يكن أمامنا سوى نزع الإصبع لكننا قمنا بوضع عدة غرزات للفتى، حتى التأم جرحه وشفي تماماً فيما بعد.

و بالرغم من أن يد الفتى كانت مغطـاة بشـحم أسـود عندما جاء إلينا وقتها أنه من المستحيل تنظيف الجرح كاملاً، إلا أن براعة الدكتور وورال عالجت الموقف الصعب.

غير أن معالجة هذا الفتى جاءت بعد أن قـام الـدكتور وورال بمعالجة شيخ بقرية قريبة من النهر، وكن الصبي جاء من نفس قرية الشيخ. وقتها شـعروا بأهميـة لعـلاج فـي المستوصف و عند الدكتور وورال بالذات. ومؤخراً أرسلت ابنة أخ حاكم البصرة تطلب طبيب الإرسالية أن يأتي إليهـا في البيت ليعالجها. ورغم أنه كان لديها عدد من الأطباء إلا

أنها قالت إنها حلمت قبل ليلة بالـدكتور وورال و أن عليـه الحضور إليها فوراً.

لقد كانت هناك الكثير من العمليـات لإزالـة الحصـى أجريت مؤخراً، وجميع تلك العمليات تمت تشكل جيد.

وقد جاءت إلينا مجموعة من المرضى يعانون من نخر في عظام الفك بسبب علاج سيئ أعطي لهم من أطباء أسنان محليين في البصرة.

و تجيء إلى المستوصف حالات أمراض عيون و لكن معظمها تأتي و هي متأخرة و يصعب علاجهـا أو أننـا لا نستطيع القيام بشيء لها، غير أننا سـاعدنا الحـالات التـي جاءت في بداية مرضها، وقمنا بخدمة عظيمـة للمجـذومين الذين لا يجدون من يعالجهم أو حتى يرعاهم.

كما تأتينا دائماً حالات كثيرة لمرض الحمى. و بالنسبة للبصرة فإن فيها حالات حمى أكثر من المعتاد هذا العام، بل حتى أعضاء الإرسالية أصيبوا بهـذا المـرض و صـاروا يتقاسمونه مع العراقيين.

ورغم هذه الحمى اللعينة فإن موظفي الإرسالية سـواء كانا مرضى أو أصحاء فإنهم يواصلون عملهم كالمعتاد.

كان اليوم الوحيد الذي أغلقنا فيه المستوصف، باستثناء الآحاد طبعاً، هو اليوم الذي توفي فيه طفلنا.

في الأسابيع الستة الماضية كنت أذهب إلى المستوصف كل صباح و أتحدث مع النساء بعد الصلاة الجماعية. وهـذا العمل يعطي الكثير من البهجة، و أتمنى بالمقابـل حصـول الجميع على هذه السعادة.

أستطيع أن أقول إن الناس هنا جهلاء لدرجة أنـه مـن الصعوبة أن يدخِلوا أفكاراً جديدة في عقولهم، فمن بين جميع النساء اللواتي يأتين إلينا هناك ثلاث نسـاء فقـط يسـتطعن القراءة، وواحدة من هؤلاء الثلاث تدعى المعلمة (الملاية). و سألتها مرة إذا كان تستطيع أن تقرأ فقالت: لا. و اعترفـت بعدم إمكانيتها القيام بذلك، ولكن النساء الأخريات أخبرننـي بأن هذه المرأة ما دامت تدعى (الملاية) فإنها يجب أن تكون قادرة على القراءة ، وهكذا عندما جاءت إلى مـرة أخـرى

أصررت عليها لكي تقرأ، و أطاعتني "الملاية" ثـم سـمعتها عدة مرات وهي تقرأ تعاليم الكتاب المقدس!

لقد وجدت هذه المرأة المسلمة أنه سيكون شيئاً جيداً أن تقرأ كتابنا المقدس، وعندما جاءت إلينا في المـرة الأولـى كانت امرأة مزعجة جداً، و كانت تسخر من كل شيء طوال الوقت و تحاول أن تجعل بقية النساء يضحكن على ما أقوله،


نخيل البصرة

و لكن بعد قراءتها للكتاب المقدس لم ألاحظ أية مشاكل معها، وقد جاء عدد من أقاربها للعلاج في مستوصف الإرسـالية ووجدتهم جميعاً يبشرون بنتائج جيدة لتنصيرهم.

وقد قامت الآنسة ميلر التي كانت ضيفتنا في البصـرة خلال شهر سبتمبر الماضي، و المبشـرة المسـتقلة، قامـت بإعطاء أحاديث روحانية إلـى النسـاء اللـواتي يحضـرن المستوصف خلال فترة إقامتها معنا.

و قامت بتعليمهن صلاة: "ا أعطني قلباً جديداً وروحاً" ومنذ رحيلها و أن أقوم بتدريس النساء هنا، و أبدأ الصـلاة بـ"أبعدني عن الشيطان و اغفر لي خطاياي".

وقد علمتهن الآنسة ميلر صلوات مسيحية معروفـة، و تطلب منهن أن يرددن ذلك وراءها.

وعادة ما نسمع عن شجارات في الشارع. ففـي أحـد الأيام كنت أبشر و أتحدث عن موت المسيح، وفجأة قامـت امرأة مسلمة وهتفت:

"المسيح لم يمت" عندها تراجعت إلى الوراء وقت لهـا: أوه.. نعم إن المسيح قد مات و إننا نعرف ذلك عن طريـق الكتاب المقدس.

وكل المسلمين هنا يعتقدون أن المسيح لم يمت، و لكـن شخصاً آخر غيره يشبهه هو الذي مات. غير أن هذه المرأة لم تعد تقاطعني مرة أخرى، لكنني لا أستطيع الجـزم بأنهـا تنتقد ما نقوله أثناء إصغائها لأحاديثنا عـن المسـيح. فهـذه المرأة تبدو ذكية جداً ولـديها اعتقـاد مغـاير حـول هـذا الموضوع.

و بعض النساء الكاثوليكيات اللاتي يأتين إلينا هن يأتين تقريباً مثل النساء المسلمات في جهلهن و عـدم اسـتطاعتهم الإجابة على أسئلة بسيطة حول الكتاب المقدس.

لقد كانت واحدة من هـؤلاء النسـوة العـاملات فـي الإرسالية مثالاً حقيقياً لما أقول فقد عملت ممرضة معي هذا الصيف، وهي في العادة تعمل في غسل الملابس، و لكنهـا عملت كممرضة بسبب بعـض الخبـرة و التجربـة لـديها كممرضة للأطفال، و أيضاً بسبب أنني لم أستطع الحصـول على غيرها.


المبشرة الأمريكية وورال

وفي صباح أحد الأيام كانت هذه الممرضة في المستوصف، وكانت تستمع بوضوح و بيقظة لحديث كنت ألقيه حول "انتصار المسيح في العالم".

وبعد أن ظننت أنني شرحت الدرس بالعربية جيداً بدأت أعلق على انتصار المسيح على الشيطان و غير ذلك. وبعد انتهائي من الدرس التفت إلى تلك المرأة وقلت لها"من انتصر في العالم؟ فردت على حالاً و بجدية قائلة: "الشيطان"!

قلت: أوه... ويل لنا إذا انتصر الشيطان علينا و علـى العالم. لا .... إن المسيح هو الذي انتصـر. و اضـطررت لشرح الدرس مرة أخرى.

إنني أظن أن هذه المرأة تتحدث بدون وعي أو تفكير، و تلك مسألة صعبة و أحياناً مضحكة رغم الجهد الذي بذلته في شرح الدرس.!

و لعل بعض النساء مثل الأطفال الصغار. فالواحدة منا يجب أن تتحدث إليهن ببساطة شديدة، و لكنني حتى الآن أجد صعوبة في القيام بذلك.

و لعل ذكر الحوادث و التوضيحات بالرسوم و غيرهـا تجعلهن يبدين اهتماماً أفضل. وقد كانت إحدى النساء يقظـة جداً في البداية، ولكن بعدها بيوم أو اثنين أصـبحت امـرأة مزعجة تتحدث و تقاطع طوال الوقت، بل وحتى في أوقـات الصلاة تثير الإزعاج. غير أنني استطعت بمساعدة الرب أن أجعل المرضى معها و أن تنشغل معهم دائماً، و بسبب ذلـك شعرت أن الشيطان يحاول أن يبعدها عـن الاسـتماع إلـى دروسي الدينية!

في ذات صباح كانت المرأة الكاثوليكية، التي عادت ما يكون انتباهها للدروس صعباً جداً، استمعت إليّ هذه المـرة بشكل جيد عندما رحت أحكي حكاية بداية الخليقة.

لقد قالت لي المرأة بأن لديها صبياً يستطيع القراءة و أنه قرأ الحكاية لها من قبل، وقد بدت المـرأة مهتمـة جـداً، و فهمت الحكاية بشكل جيد.

ولدينا أيضا امرأتان يهوديتان مزعجتان جداً و تحاولان إزعاج الجميع طوال الوقت.

ورغم كل تلك الصعوبات و المشكلات إلا أنني لازلت أثق بأن العمل الطبي في البصرة لن يتوقف في السنة القادمة بسبب بعض المخاطر التي ربما تحدث.

كما أننا نأمل إرسال طبيب من البحرين لكي نتمكن من مواصلة العمل في مستوصف البصرة.

المبشر الأمريكي "جيمس موردياك"

في جولة تبشيرية عام ١٩٠٣م

العمارة مدينة جميلة ومكان صحي!

بين شهري مايو و يونيو عام ١٩٠٣م تجـول المبشـر الأمريكي المعروف "جيمس موردياك" في مدينتي العمارة و الناصرية بالعراق.

كان هدف الجولات هو كالعادة التبشـير المسـيحي و التعرف على أهالي المـدن و أفكـارهم و نظـرتهم إلـى المسيحية.

و كتب المبشر "مورديياك" عن تلك الجولات قائلاً:

خلال شهري مايو و يونيو قضينا ٣٢ يوماً من الترحال و التجول بين نهري دجلة و الفرات، وقد قمنا بزيارة عشـر مدن مختلفة، ولكن نصف الوقت تقريباً قضيناه في واحدة من محطاتنا النائية.

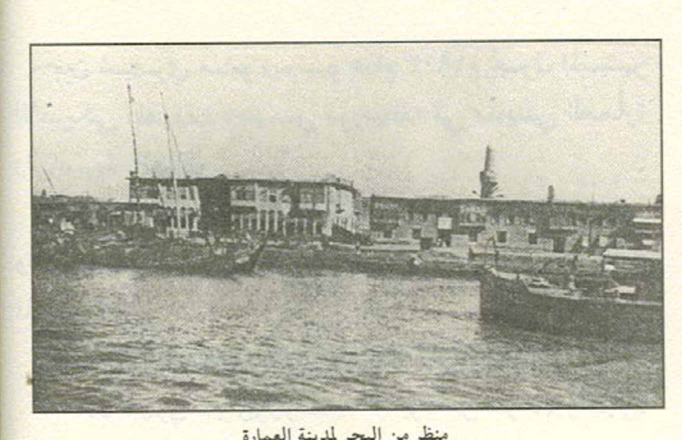
وفي شهر يوليو ذهبنا في رحلة بعيدة و قصيرة أيضـاً لزيارة محطة نائية قرب نهر دجلة.

لكن دعوني الآن أكتب بعض الشيء حول تلك المدينتين "الناصرية" و "العمارة".

فعلى ضفة نهر الفرات تظهر بلاد الكلدان في العراق القديمة.

وهناك توجد مدينة الناصرية.

و لعل الانطباع الأول لهذا المكان كان مشجعاً جداً، فالناصرية هي المدينة الأولى التي رأينا فيها دلائل تحضر. فالشوارع واسعة بما فيه الكفاية، وتسير عليها ثلاث عربات جنباً إلى جنب، كما أن الشوارع مستقيمة حقاً و تقطع كل واحد منها بزاويا صحيحة.



منظر من البحر لمدينة العمارة

ومع أن البيوت المدينة شرقية الطراز، إلا أنها واسعة و مبنية من القرميد. و هناك أكواخ مصنوعة من سعف النخيل، و توجد أيضاً أكواخ من الحصير، و لكنها قليلـة هنـا و لا تتواجد إلا في ضواحي المدينة.

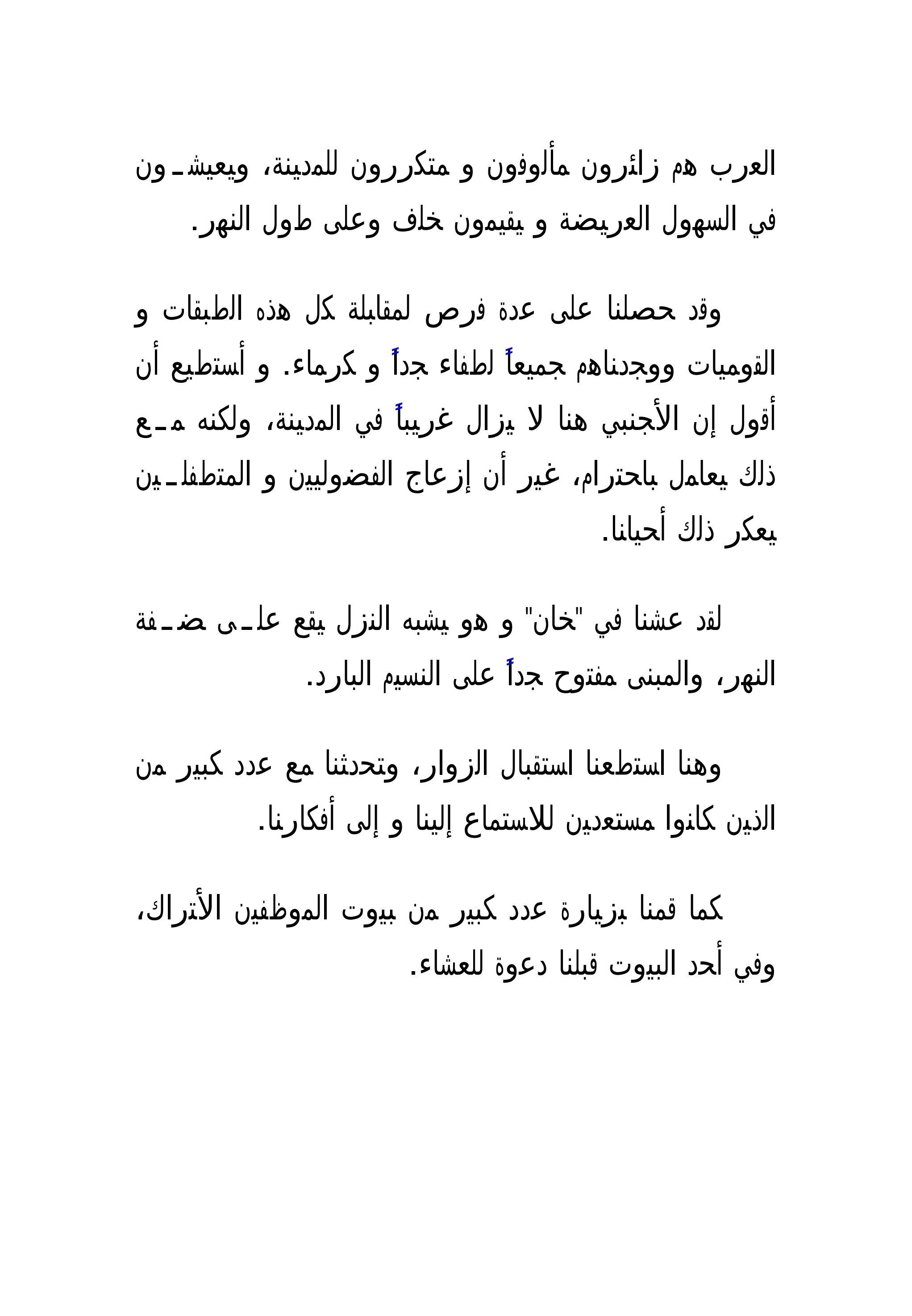
وجدنا السوق أيضاً واسعة جداً و نظيفـة و الفواكـه و الخضروات تُحضر إلى السوق هنا و الأسعار معقولة جداً.

كان مبنى البلدية كبيراً و مستطيلاً و مبيناً من طابقين، كما أن مبنى الحاكم القريب منه هو بيت شرقي من الطـراز الأول، وفي المدينة وجدنا مسجدين.

وقد قيل لنا بأن بعض الأغنياء العرب امتلكوا المدينـة في البداية، ثم قاموا ببناء هذه المباني الضخمة و الفاخرة.

وفيما بعد استولى عليها الأتراك، ولكنهم حافظوا عليها كما هي على أشكالها السابقة.

و يسكن الناصرية في الوقت الحاضر العرب، و اليهود، والصابئة، و الضباط و الموظفون الأتـراك. كمـا أن بـدو



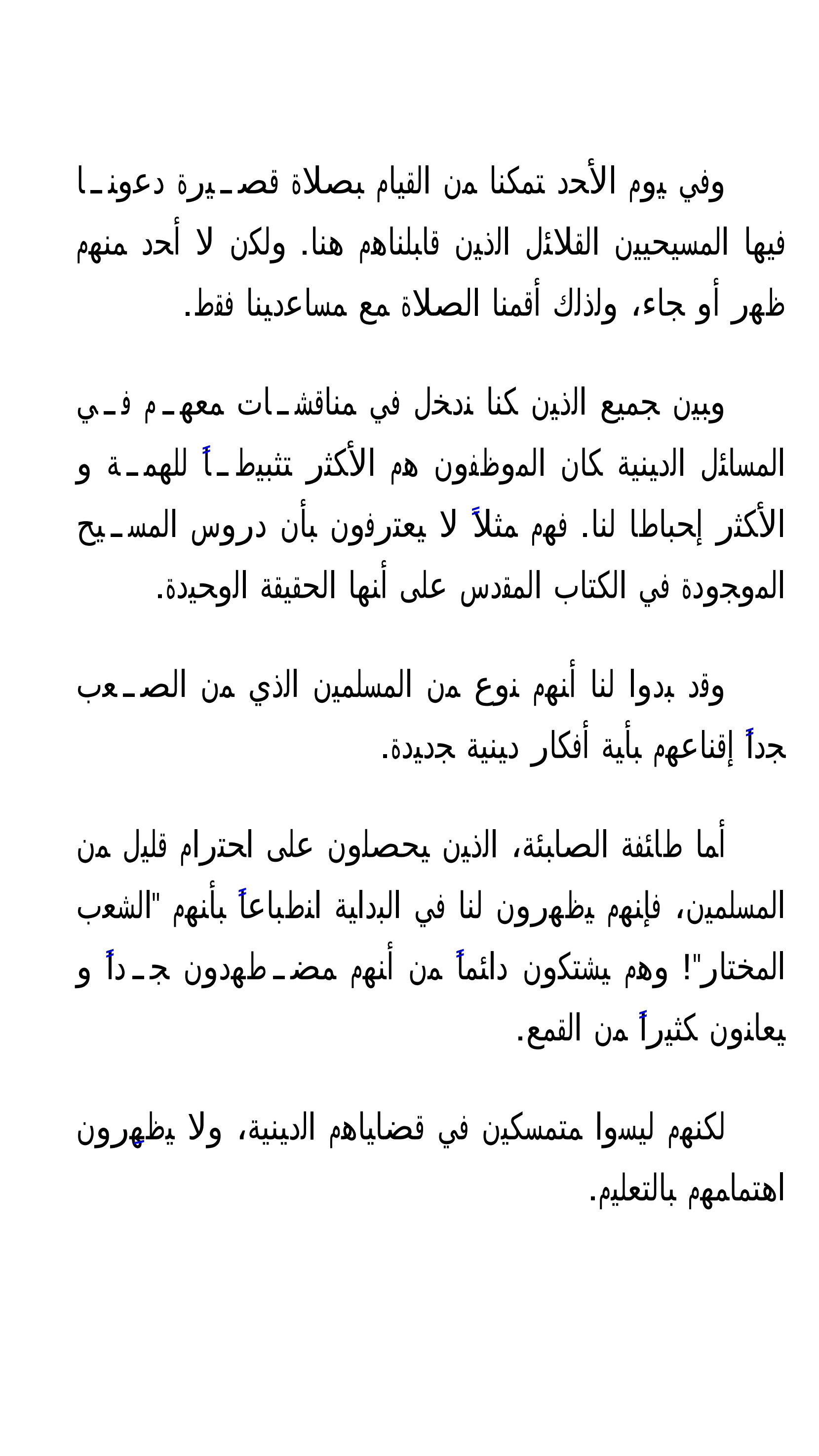
العرب هم زائرون مألوفون و متكررون للمدينة، ويعيشـون في السهول العريضة و يقيمون خلف وعلى طول النهر.

وقد حصلنا على عدة فرص لمقابلة كل هذه الطبقات و القوميات ووجدناهم جميعاً لطفاء جداً و كرماء. و أستطيع أن أقول إن الأجنبي هنا لا يزال غريباً في المدينة، ولكنه مـع ذلك يعامل باحترام، غير أن إزعاج الفضوليين و المتطفلـين يعكر ذلك أحيانا.

لقد عشنا في "خان" و هو يشبه النزل يقع علـى ضـفة النهر، والمبنى مفتوح جداً على النسيم البارد.

وهنا استطعنا استقبال الزوار، وتحدثنا مع عدد كبير من الذين كانوا مستعدين للاستماع إلينا و إلى أفكارنا.

كما قمنا بزيارة عدد كبير من بيوت الموظفين الأتراك، وفي أحد البيوت قبلنا دعوة للعشاء.



وفي يوم الأحد تمكنا من القيام بصلاة قصـيرة دعونـا فيها المسيحيين القلائل الذين قابلناهم هنا. ولكن لا أحد منهم ظهر أو جاء، ولذلك أقمنا الصلاة مع مساعدينا فقط.

وبين جميع الذين كنا ندخل في مناقشـات معهـم فـي المسائل الدينية كان الموظفون هم الأكثر تثبيطـاً للهمـة و الأكثر إحباطا لنا. فهم مثلاً لا يعترفون بأن دروس المسـيح الموجودة في الكتاب المقدس على أنها الحقيقة الوحيدة.

وقد بدوا لنا أنهم نوع من المسلمين الذي من الصـعب جداً إقناعهم بأية أفكار دينية جديدة.

أما طائفة الصابئة، الذين يحصلون على احترام قليل من المسلمين، فإنهم يظهرون لنا في البداية انطباعاً بأنهم "الشعب المختار"! وهم يشتكون دائماً من أنهم مضـطهدون جـداً و يعانون كثيراً من القمع.

لكنهم ليسوا متمسكين في قضاياهم الدينية، ولا يظهرون اهتمامهم بالتعليم.

وقد تعرفنا كذلك على الكثير من الأشخاص في المدينة فواحد منهم كان يهودياً يعمل موظفاً في الحكومة، وقد جـاء إلينا ليروي كيف حاول أن يعيش في المدينة و كيف أنه كان يمقت الإسلام، واكتشف بعد فترة قصيرة عدم وجود أي خير أو مصلحة في اليهودية. و أراد الرجل اليهودي منا مساعدته في الدخول في المسيحية و اعتناقها مثل المسـيحيين، وبعـد إجراء اختبار وجدنا أنه ليست لديه رغبة حقيقية للمسـيحية، باستثناء أنه متأكد من عدم اقتناعه بالدين الإسلامي، كما أنه لا يؤمن بدين آبائه.



منظر لمدينة الناصرية

وعندما تحدثنا مع الرجل بعد ذلك في الإنجيل يظهر لنا ضعف موقفه و خفايا نواياه فقد قال لنا بأنه لم يطب اعتنـاق المسيحية لأنه يريد المال و لكن لارغبته بكتابه رسـالة إلـى المبشرين في بومبي الذين يمكنهم مساعدته و إعطاءه وصية مسيحية.!

أما الشخص الثاني الذي جاء إلينا بعد اليهـودي، فهـو شاب عربي كنا اطلعنا سابقاً على رسائل منه و من مساعدنا الذي كان يدرسه.

جاء إلينا هذا الشاب في المساء و تحدثنا معـه بحريـة حول تخليه عن الإسلام و اعتناقه للمسيحية، و قمنا بمساءلته بشكل واضح حول جديته وإخلاصه حول ذلك.

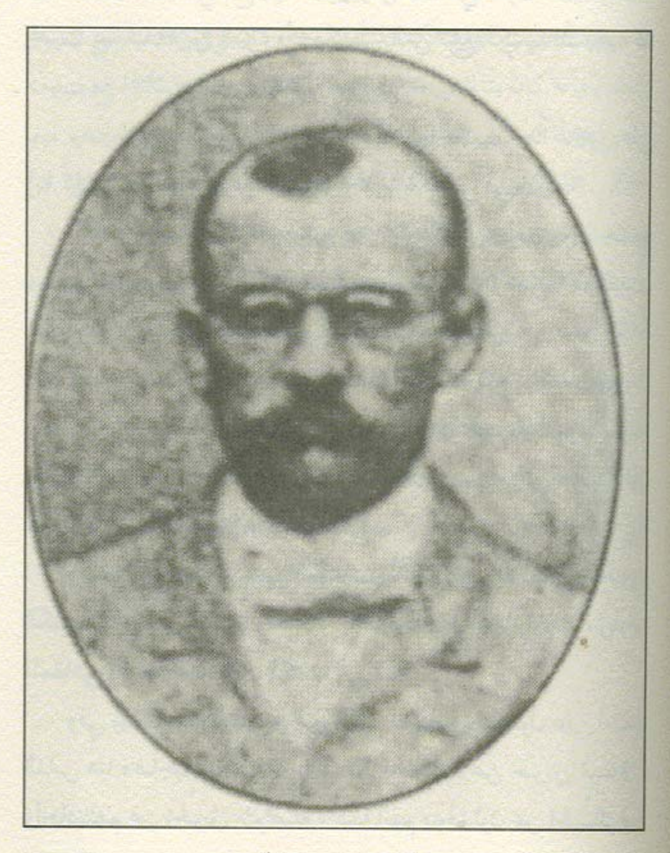
وفي إجابته على سؤالنا حول لماذا هو يؤمن بالمسيح و كيف تعرف أنه الصادق. قال لنا الشاب: "مـن هـو الـذي يناديني ويظهر لي المسيح المنقذ و المخلص؟ بالتأكيـد إنـه ليس إنساناً" وقبل أن نفترق عند حلول الليل قمنا بالصـلاة و طلبنا من مساعدنا الصلاة أيضاً.

كان الشاب يأتي إلينا بقدر ما كان يستطيع رغم أن الحوارات معه لم تكن سهلة بالمقارنة مع الآخرين، فهو قارئ ممتاز و مجتهد في دراسة الكتاب المقدس، فكل جزء نعطيه إياه يقوم بقراءته، ثم يقوم بروابة كل ما قرأه.

من المؤكد أن محل بيع الكتب المسيحية في هذه المدينة هو مكان ضروري حقيقة إذا كنا نريد الوصول إلى الناس، خاصة بالنسبة للذين يرفضون قطعياً الحديث عن الدين في الشوارع و الذين لا يطالعون الكتب المقدسة المعروضة للبيع.

وقد أخبرنا موزع الكتب عن هؤلاء الناس. ووجدنا أن كلامه صحيح، و تأكدنا من كل ذلك بأنفسنا. و لكن الناس هنا لديهم الاستعداد للمجيء إلى محل بيع الكتب، و يجدون أنه المكان المناسب للحديث معهم.

وفي شهر يونيو زار محلنا في الناصرية ٢٩ مسيحياً و ٣٨٧ مسلماً و ١٩٣ يهودياً و ١٩ صابئاً، و دارت معهم جميعاً مناقشات و أسئلة وأجوبة حول المسيحية و قضاياها.



المبشر جيمس مورديك

كانت زيارتنا لمحطتنا النائية الثانية مدينـة "العمـارة" مخططاً لها منذ أسابيع من قبل، ولكن فجأة أصبحت الزيارة ضرورية عندما وصلتنا أنباء بأن جميع الدكاكين و المحلات في سوق الناصرية قد دمرت بسـبب حريـق كبيـر، و أن مكتبتنا التي تبيع الكتب المسيحية قد دمرت مـع المحـلات الأخرى التي احترقت.

وعندما وصلنا إلى هناك وجدنا مساعدنا محبطـاً جـداً علاوة على أنه لا يعرف ماذا عليه القيام به لإعادة العمل في المكتبة.

لقد وجدنا بأن هناك حوالي ١٦٥ محلاً قد دمرت، و أن جميع مخزوناتها وبضائعها تحولت إلى رماد أو سـرقت أو دمرت، وفقدت الإرسالية في هذه المكتبة ما قيمتـه ٥ آلاف دولار تقريباً.

وقبل مغادرتنا للسوق دعانا مالك المكتبة إلى زيارته و الحديث معه، و خلال اللقاء عرفنـا منـه أن السـوق فـي الناصرية سيعاد بناؤه، ولكن المحلات لن تكون جاهزة قبـل

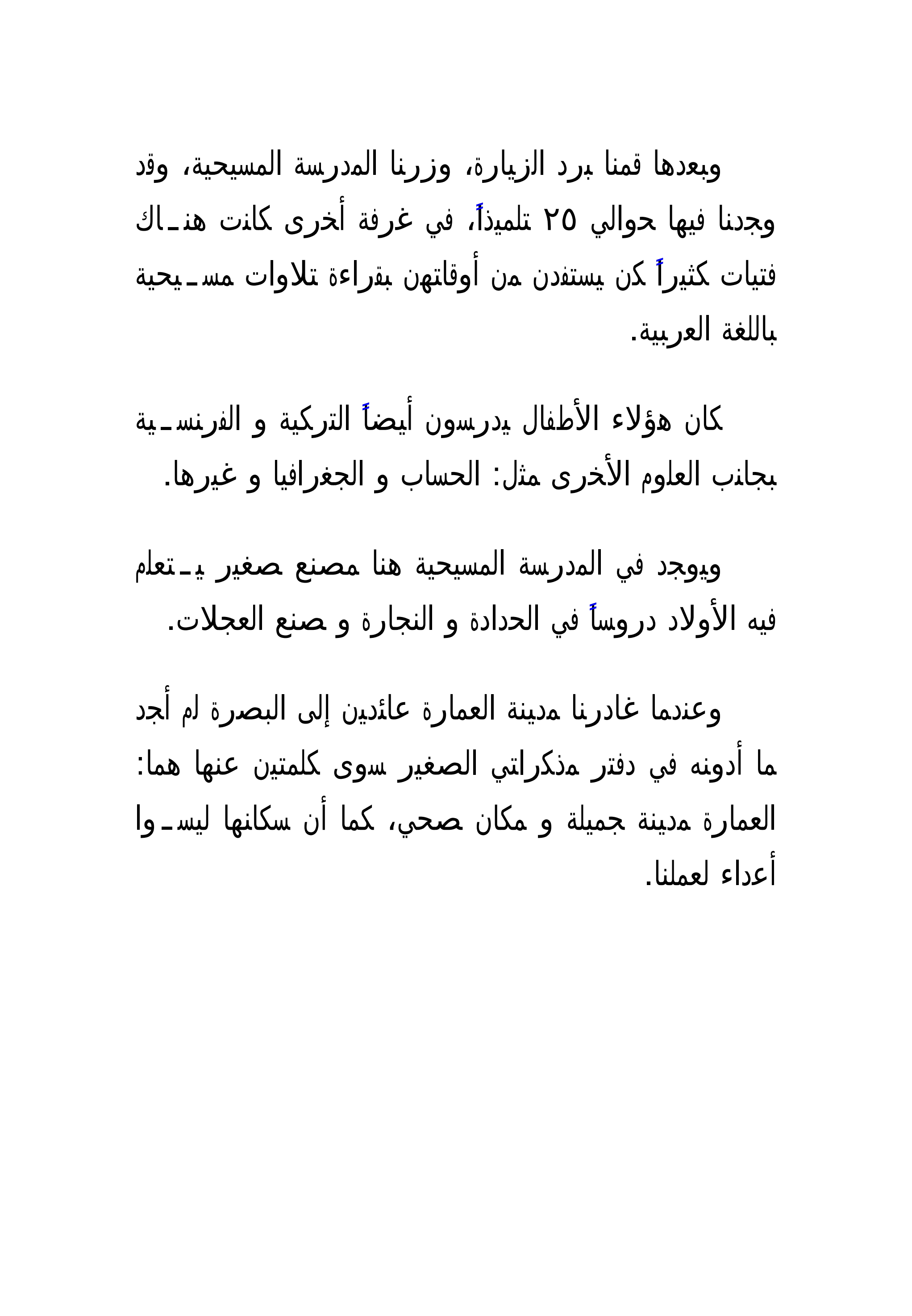
ثلاثة شهور على الأقل، ولهذا فإن عملنا هنا سيتأخر حتـى ذلك الوقت.

وهناك نسخ جديدة من الكتاب المقدس هي الآن في يـد موزع الكتب التابع للإرسالية، و لكنه لا يجد مكاناً لعرضـها باستثناء زياراته للمقاهي وقيامه بإهداءات الكتب إلى الناس.

وفي زياراتنا للمقاهي وغيرها لم نستطع الحصول على انتباه الناس هنا، فالجميع هنا لا يملون من الحديث عن حريق السوق، و أحاديثهم عن الحريق متواصل. كما أنهم يتحدثون عن الخسائر فيه و غير ذلك.

وبعد ثلاثة أيام من وصـولنا المدينـة زارنـا قسـيس الكاثوليك الكلدانيين. لقد كان القسيس طيباً جداً وجـاداً فـي مناقشاته معنا.

وقد أخبرني موزع اكتب أن الرجل كان يزور المكتبـة في السوق بانتظام وأنه كان يتناقش مع المسلمين الزائـرين حول المسائل الدينية.

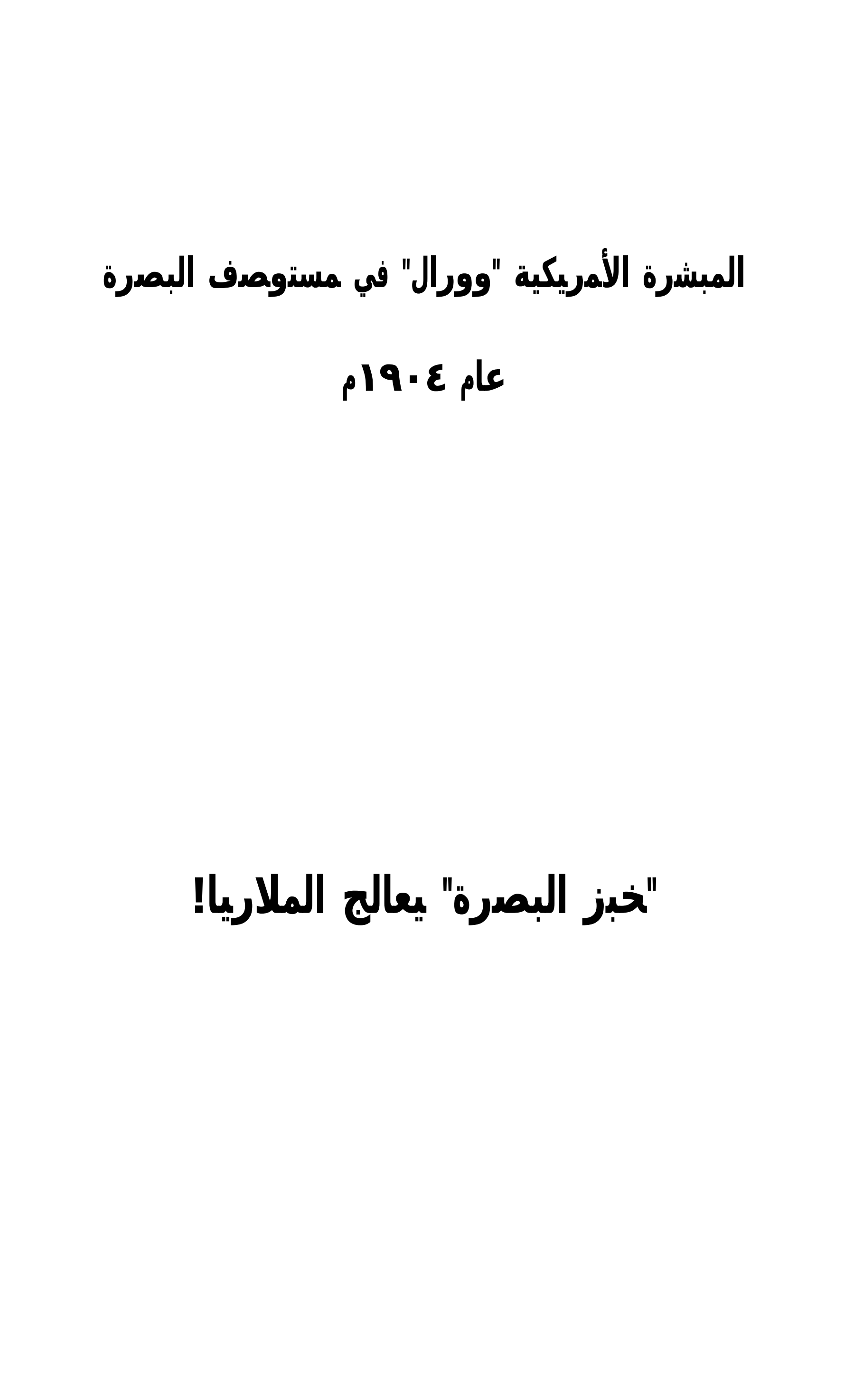


وبعدها قمنا برد الزيارة، وزرنا المدرسة المسيحية، وقد وجدنا فيها حوالي ٢٥ تلميذاً، في غرفة أخرى كانت هنـاك فتيات كثيراً كن يستفدن من أوقاتهن بقراءة تلاوات مسـيحية باللغة العربية.

كان هؤلاء الأطفال يدرسون أيضاً التركية و الفرنسـية بجانب العلوم الأخرى مثل: الحساب و الجغرافيا و غيرها.

ويوجد في المدرسة المسيحية هنا مصنع صغير يـتعلم فيه الأولاد دروساً في الحدادة و النجارة و صنع العجلات.

وعندما غادرنا مدينة العمارة عائدين إلى البصرة لم أجد ما أدونه في دفتر مذكراتي الصغير سوى كلمتين عنها هما: العمارة مدينة جميلة و مكان صحي، كما أن سكانها ليسـوا أعداء لعملنا.



المبشرة الأمريكية "وورال" في مستوصف البصرة

عام ١٩٠٤م

"خبز البصرة" يعالج الملاريا!

مع السنوات الأولى للقرن العشرين بدأت المبشرة الأمريكية السيدة وورال العمل في مستوصف الإرسالية الأمريكية التبشيرية في البصرة.

وعن تلك الأيام الأولى لمستوصف البصرة كتبت المبشرة وورال عام ١٩٠٤تقول:

بداية إننا نشكر ا على هديته التي لا تقدر بثمن وهي الصحة. فمع نعمته هذه و بسبب انتقالنا إلى مكان صحي أفضل في البصرة، وأصبحنا بعيدين تماماً و في مأمن من هجمات الحمى هذا العام.

ولضمان عدم الإصابة بالحمى رغم كل تلك الاحتياطات فقد تناولنا جرعات صغيرة مما يدعى محلياً هنا "خبز البصرة" وهو المادة القلوية التي تعالج الملاريا.

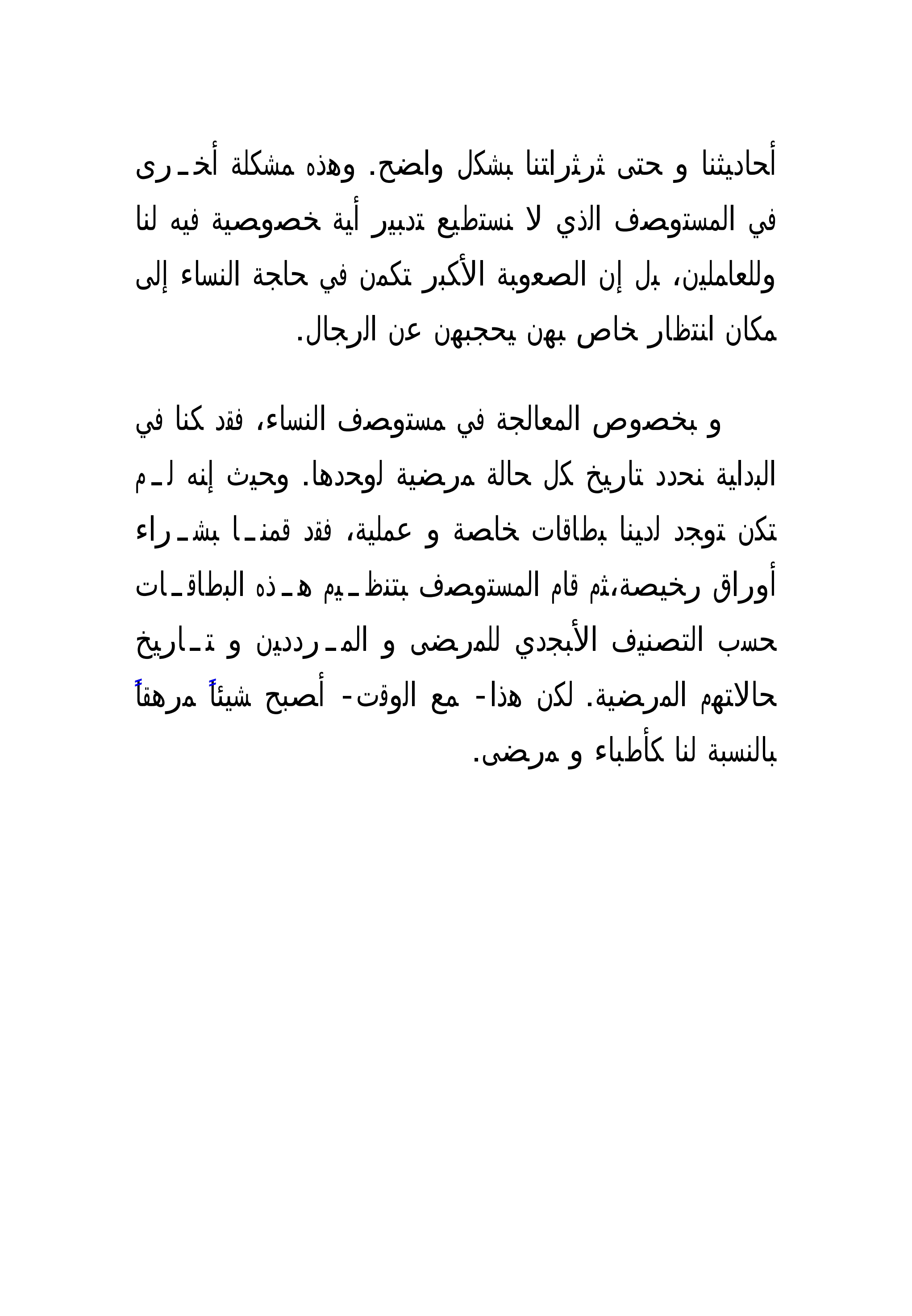
وبعد هذه الضمانات الصحية بدأ العمل في مستوصف النساء عند نهاية شهر فبراير تقريباً، أي بعد عودتنا من اجتماع الإرسالية السنوي.

وفي بداية عمل المستوصف كانت أعـداد المرضـى و المترددين عليه قليلة، ولكن تلك الأعداد سرعان ما ارتفعـت بشكل ملحوظ تدريجياً حتى شـهري يوليـو و أغسـطس. ووصلت أعداد المرضى ما بين ثلاثين إلى أربعين في بعض الأيام.

ورغم النجاح الكبير الذي نلاقيه في عملنا الصحي فـي البصرة، إلا أننا نواجه صعوبات كبيرة. فمثلاً نحن لا نمتلك سوى غرفة صغيرة واحدة للعمل الطبي، وهي طبعـاً غيـر كفاية للقيام بكل المهمات و الخدمات. كما أنها تكفي لتـردد النساء في وقت ما بين فترة غلق المستوصـف للصـلاة و ساعة الغداء.

وأثناء مروري الدائم على النساء لاحظت أنهن يجتمعن مع الرجال في الرواق بين غرفة الطبيب الاستشاري وورال و غرفتي.

و اكتشفت مع الوقت أنه عبر فجوة في الجدار الأسـود الصغير القريب من القاعة الرئيسية التي تطل على المكـان، كان بإمكان جميع المنتظرين مـن رجـال و نسـاء سـماع



أحاديثنا و حتى ثرثراتنا بشكل واضح. وهذه مشكلة أخـرى في المستوصف الذي لا نستطيع تدبير أية خصوصية فيه لنا وللعاملين، بل إن الصعوبة الأكبر تكمن في حاجة النساء إلى مكان انتظار خاص بهن يحجبهن عن الرجال.

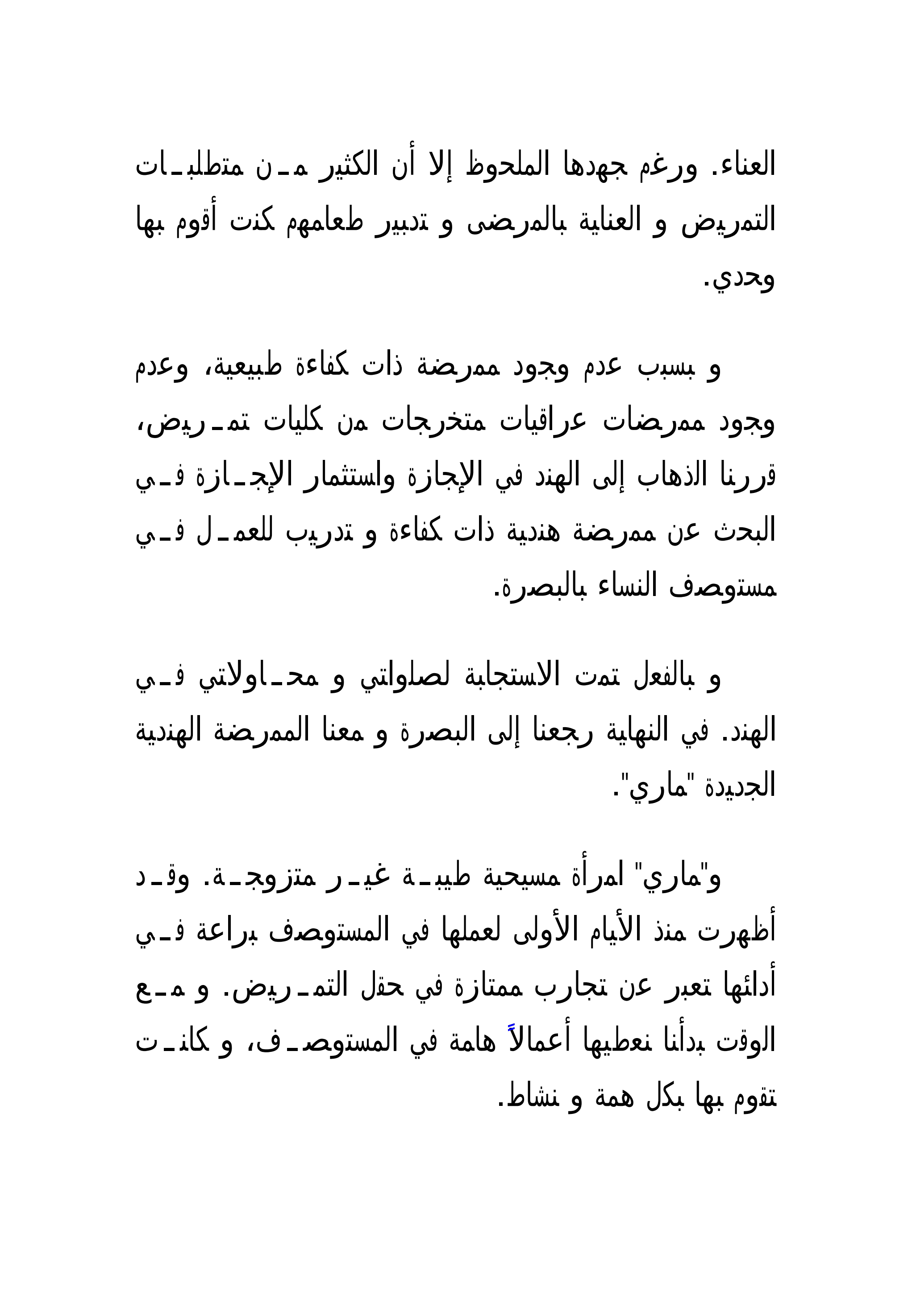
و بخصوص المعالجة في مستوصف النساء، فقد كنا في البداية نحدد تاريخ كل حالة مرضية لوحدها. وحيث إنه لـم تكن توجد لدينا بطاقات خاصة و عملية، فقد قمنـا بشـراء أوراق رخيصة،ثم قام المستوصف بتنظـيم هـذه البطاقـات حسب التصنيف الأبجدي للمرضى و المـرددين و تـاريخ حالاتهم المرضية. لكن هذا- مع الوقت- أصبح شيئاً مرهقاً بالنسبة لنا كأطباء و مرضى.



منظر من البصرة

ولذلك تم إنشاء نظام البطاقات الصحية، ورحنا نسـجل فقط الملاحظات على الحالات و العلاج على تك البطاقـات، ووجدنا أنه من غير الضروري البحث عن تاريخ كل حالـة لكسب الوقت و توفير الجهد.

وفي التمريض فإن الممرضة العراقيـة "جميلـة" هـي مساعدتي القوية في قسم النساء والتي وفرت عليّ الكثير من

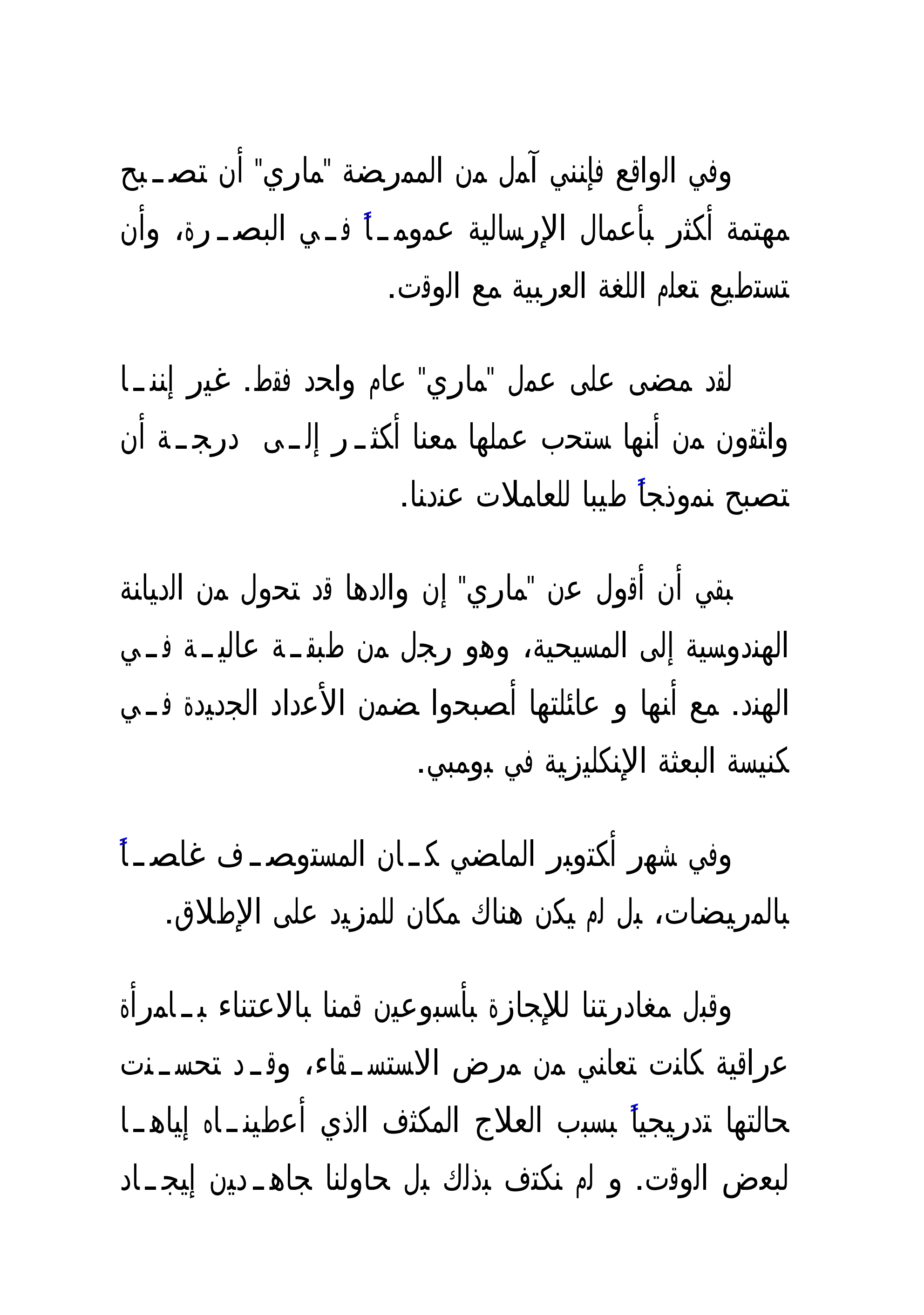


العناء. ورغم جهدها الملحوظ إلا أن الكثير مـن متطلبـات التمريض و العناية بالمرضى و تدبير طعامهم كنت أقوم بها وحدي.

و بسبب عدم وجود ممرضة ذات كفاءة طبيعية، وعدم وجود ممرضات عراقيات متخرجات من كليات تمـريض، قررنا الذهاب إلى الهند في الإجازة واستثمار الإجـازة فـي البحث عن ممرضة هندية ذات كفاءة و تدريب للعمـل فـي مستوصف النساء بالبصرة.

و بالفعل تمت الاستجابة لصلواتي و محـاولاتي فـي الهند. في النهاية رجعنا إلى البصرة و معنا الممرضة الهندية الجديدة "ماري".

و"ماري" امرأة مسيحية طيبـة غيـر متزوجـة. وقـد أظهرت منذ الأيام الأولى لعملها في المستوصف براعة فـي أدائها تعبر عن تجارب ممتازة في حقل التمـريض. و مـع الوقت بدأنا نعطيها أعمالاً هامة في المستوصـف، و كانـت تقوم بها بكل همة و نشاط.



وفي الواقع فإنني آمل من الممرضة "ماري" أن تصـبح مهتمة أكثر بأعمال الإرسالية عمومـاً فـي البصـرة، وأن تستطيع تعلم اللغة العربية مع الوقت.

لقد مضى على عمل "ماري" عام واحد فقط. غير إننـا واثقون من أنها ستحب عملها معنا أكثـر إلـى درجـة أن تصبح نموذجاً طيبا للعاملات عندنا.

بقي أن أقول عن "ماري" إن والدها قد تحول من الديانة الهندوسية إلى المسيحية، وهو رجل من طبقـة عاليـة فـي الهند. مع أنها و عائلتها أصبحوا ضمن الأعداد الجديدة فـي كنيسة البعثة الإنكليزية في بومبي.

وفي شهر أكتوبر الماضي كـان المستوصـف غاصـاً بالمريضات، بل لم يكن هناك مكان للمزيد على الإطلاق.

وقبل مغادرتنا للإجازة بأسبوعين قمنا بالاعتناء بـامرأة عراقية كانت تعاني من مرض الاستسـقاء، وقـد تحسـنت حالتها تدريجياً بسبب العلاج المكثف الذي أعطينـاه إياهـا لبعض الوقت. و لم نكتف بذلك بل حاولنا جاهـدين إيجـاد

شخص يستطيع ترحيلها إلى مستشفى البحرين بالمنامة لكي يعتنوا بها هناك حتى عودتنا من الإجازة. لكن جميع المحاولات كانت مع الأسف بدون جدوى.

وهذه السيدة نفسها جاءت إليها السيدة ليتون إحدى عضوات الإرسالية الأمريكية في البصرة و تحدثت معها لأوقات طويلة، وكانت السيدة العراقية المريضة تقدر ذلك كثيراً. ففي البداية كان تصغي إليها بشكل جيد عندما تتحدث عن المسيح، ولكنها بعد ذلك كانت تحاول أن تصرف الانتباه عن ذلك بواسطة طرحها لبعض الأسئلة عن أشياء أخرى.

واكتشفنا بعد ذلك أن بعض الخدم المسلمين في البيت بعد أن وجدوا المرأة العراقية تصغي باهتمام ووجدوها تأخذ الأمور بجدية، قاموا بتوبيخها و طلبوا منها عدم الاستماع إلى أية أحاديث عن المسيح.

وفي الواقع فإن مسألة مسيحية أو إسلام الخدم هي قضية مهمة بالنسبة لنا.

فالمرأة التي تساعدني في مستوصف البصرة هي مسيحية، ولكن الرجل الذي يساعد الطبيب وورال هو مسلم.



مرضى في مستوصف البصرة

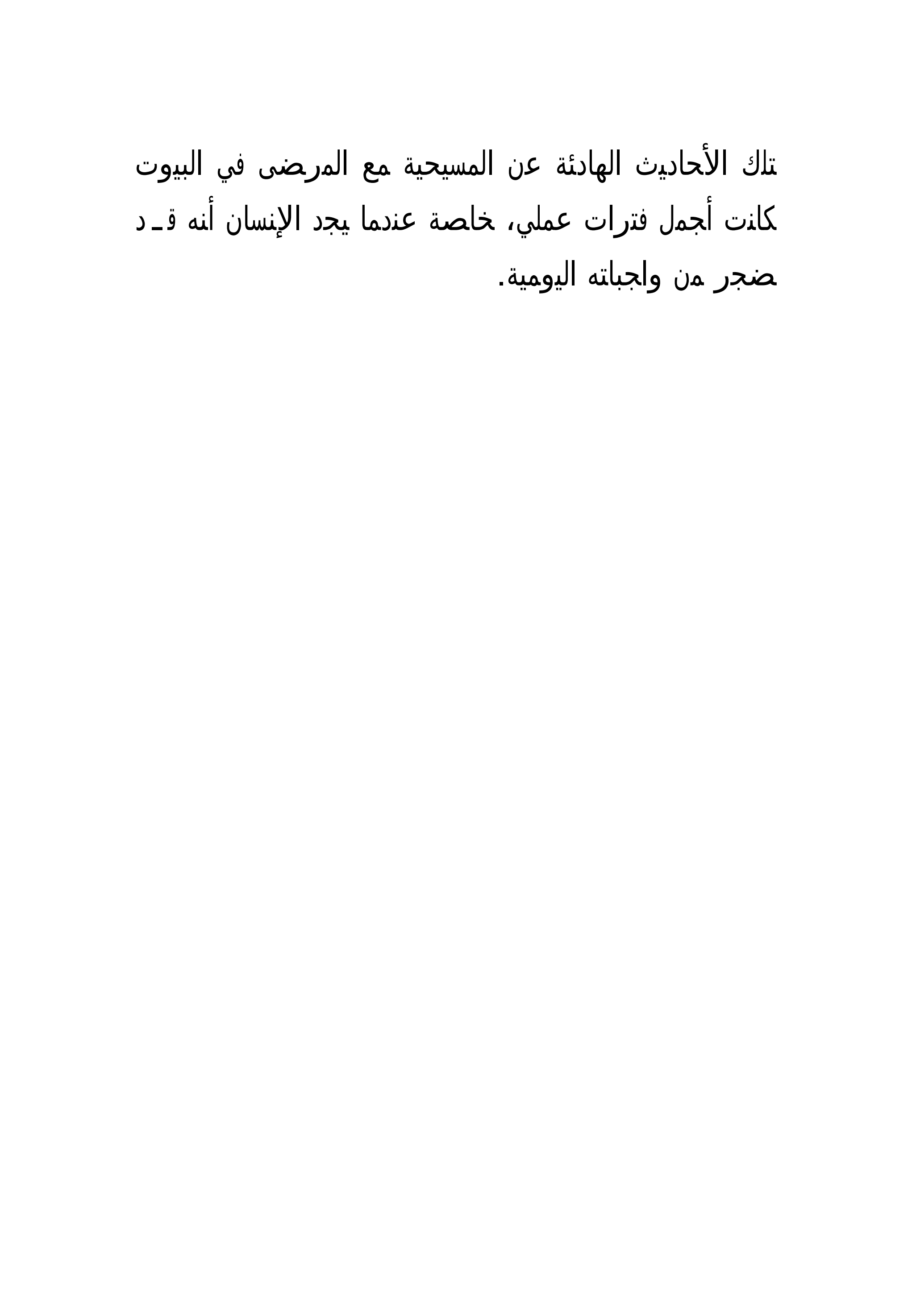
و بالطبع فإننا نشعر بأنه من الأفضل أن يكون جميع العاملين لدينا مسيحيين غير إننا نعترف بأننا لم ننجح حتى الآن في الحصول على عاملين مؤهلين ليحلوا بدل المسلمين الذين كثيراً ما كانوا يخفقون و يعيقون عمليات الوعظ التي نلقيها على المرضى.

بعد وصول السيدة ليتون عضوة الإرسالية إلى البصرة قامت بإعطاء دروس دينية للنساء في المستوصف نفسه بعد نهاية الصلاة الصباحية اليومية.

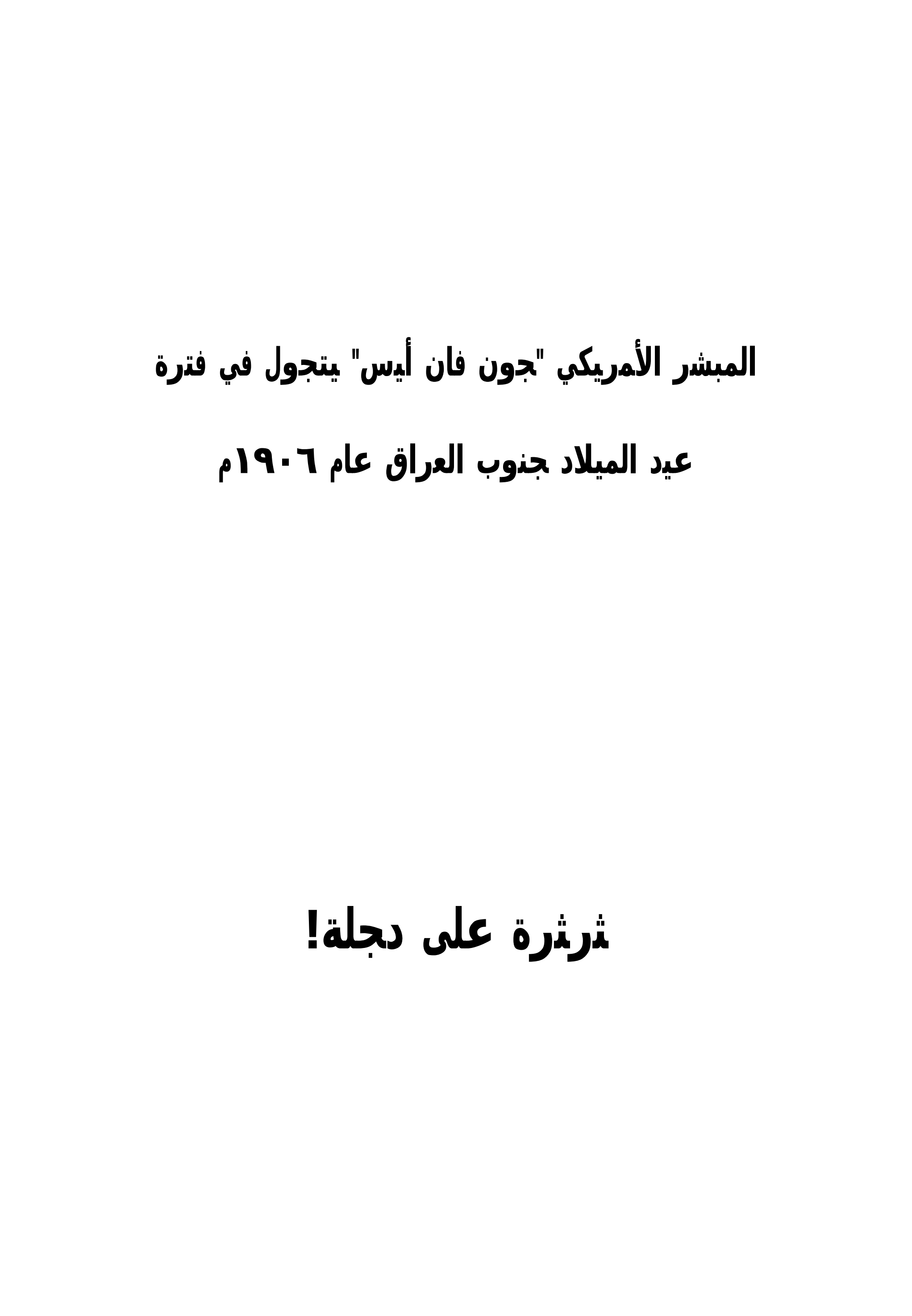
و بعد مرور فترة قصيرة قمت بمد يد المساعدة للسيدة ليتون، حيث قمت بإدارة تلك الاجتماعات و الدروس مرتين في الأسبوع. بعدها كان على السيدة ليتون الذهاب سريعاً إلى البحرين لمساعدة المرضى هناك. و بعد مغادرتها إلى البحرين حاولت إكمال عملها في الدروس و الاجتماعات. غير أن هذا كان عملاً صعباً جداً لتأثيره الواضح على عملي الطبي في المستوصف.

ولم تستمر شكواي طويلاً. فقد استطعت فيما بعد الحصول على إمكانية العمل في الدروس و معالجة المرضى و لكن خارج المستوصف.

فبعد فترة قصيرة طلبت مني إدارة الإرسالية الذهاب إلى بعض البيوت العراقية في البصرة لمعالجة المريضات اللواتي لا يستطعن المجيء إلى المستوصف. و هكذا استطعت معالجة المرضى و التحدث، واعترف في النهاية أن

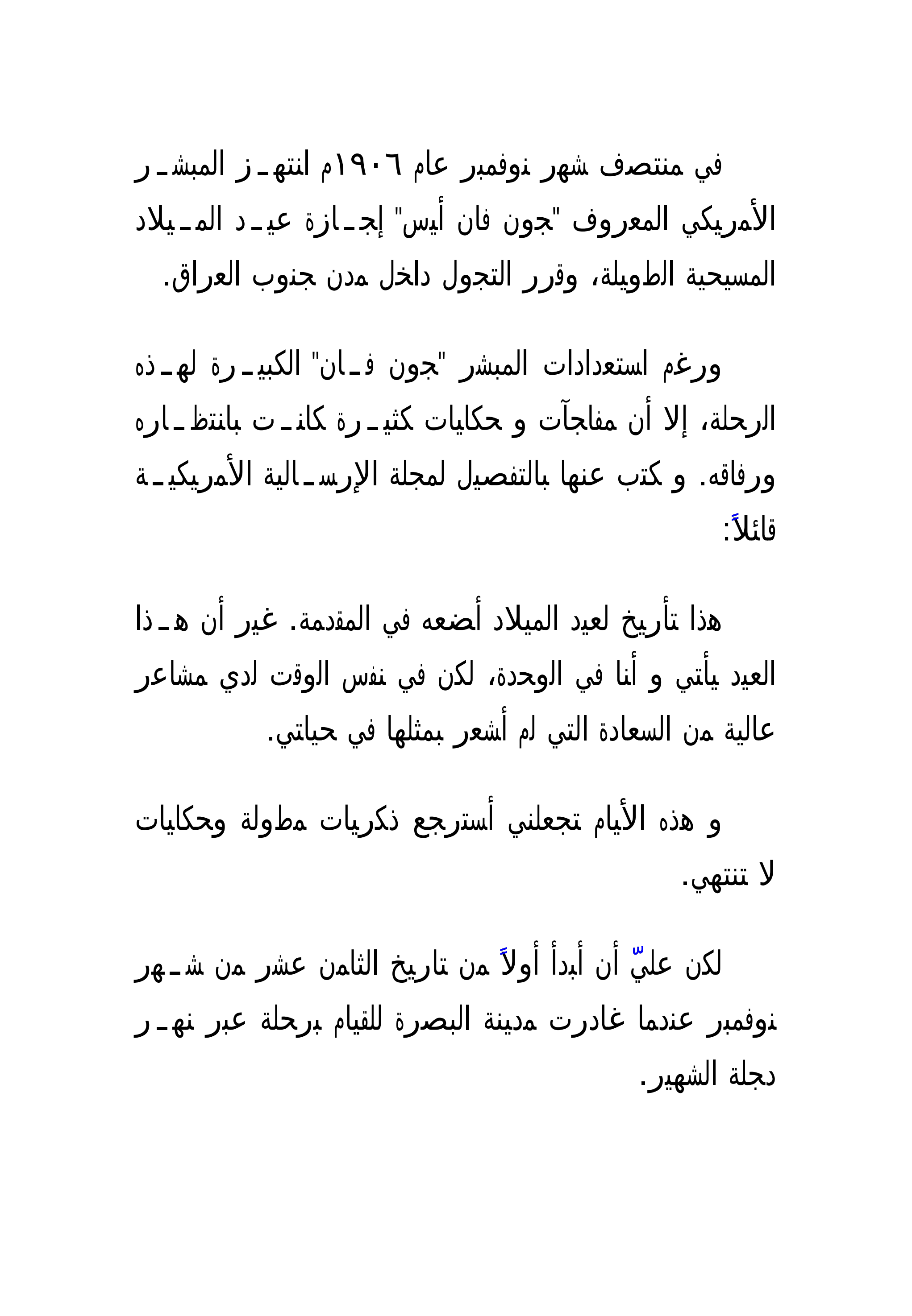


تلك الأحاديث الهادئة عن المسيحية مع المرضى في البيوت كانت أجمل فترات عملي، خاصة عندما يجد الإنسان أنه قـد ضجر من واجباته اليومية.



المبشر الأمريكي "جون فان أيس" يتجول في فترة عيد الميلاد جنوب العراق عام ١٩٠٦م

ثرثرة على دجلة!



في منتصف شهر نوفمبر عام ١٩٠٦م انتهز المبشر الأمريكي المعروف "جون فان أيس" إجازة عيد الميلاد المسيحية الطويلة، وقرر التجول داخل مدن جنوب العراق.

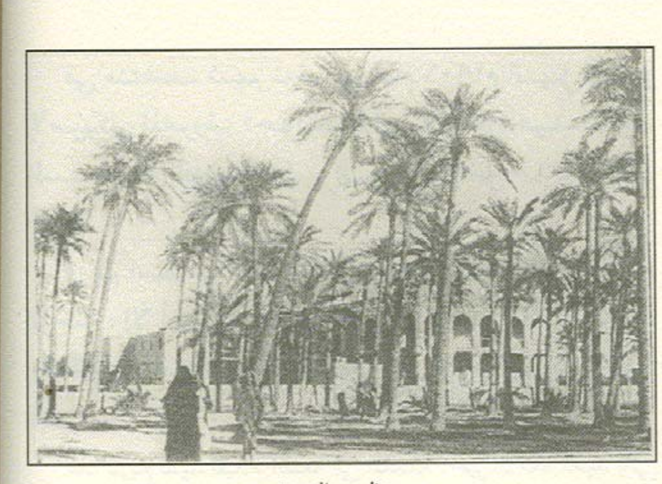
ورغم استعدادات المبشر "جون فان" الكبيرة لهذه الرحلة، إلا أن مفاجآت و حكايات كثيرة كانت بانتظاره ورفاقه. و كتب عنها بالتفصيل لمجلة الإرسالية الأمريكية قائلاً:

هذا تأريخ لعيد الميلاد أضعه في المقدمة. غير أن هذا العيد يأتي و أنا في الوحدة، لكن في نفس الوقت لدي مشاعر عالية من السعادة التي لم أشعر بمثلها في حياتي.

و هذه الأيام تجعلني أسترجع ذكريات مطولة وحكايات لا تنتهي.

لكن عليّ أن أبدأ أولاً من تاريخ الثامن عشر من شهر نوفمبر عندما غادرت مدينة البصرة للقيام برحلة عبر نهر دجلة الشهير.

و قد رافقني في رحلتي كل من الطـاهي "سـولومون" و"إسكندر" بائع الكتب، و الذي كان يعمل سابقاً طاهياً ماهراً لديّ ثم أصبح بعدها يتقن التركية، وصـار عنـده حمـاس استثنائي و الذي آمل أن يستخدمه جيداً في الإقلـيم الجديـد الذي أريد أن ننفذ إليه نحو الحدود الفارسية.


منظر من البصرة

وهذه السطور لا تجعلني أتحدث كثيراً عن "سولومون".

فهو مرافقي الذي يلازمني في جميع الـرحلات و هـو الرفيق و الأمين و الشجاع في كل الأوقات، كما أن المقبلات و فواتح الشهية التي يصنعها من المطبخ تفعل الكثير لترفـع من حالة الإنسان المعنوية في الطريق!

ولهذا فهو يعتبر نفسه مبشـراً أيضـاً ويقـول عـادة: "صاحب، أنت تخدم المسيح بعقلك و لسانك، وأنا أخدمه مـع قدوري و مقلاتي" وهذا الرجل ماهر جداً. فقط أعطه قطعـة من الفحم و قرميدة و فرصة بسيطة، و أنا أؤكد أن العشـاء سيكون منافسا لأفضل مطعم أمريكي.

لقد وصلنا العمارة في يوم التاسع عشر من شهر نوفمبر ووجدنا أن صديقنا "توماس" استأجر غرفتين لنا فـي (بيـت أمينة) وهي امرأة كلدانية.

كان البخور يحترق في وعاء النحـاس عنـدما دخلنـا البيت، كما أعطت السجاجيد و الأرائك في البيت جواً عائلياً دافئاً و حميماً.

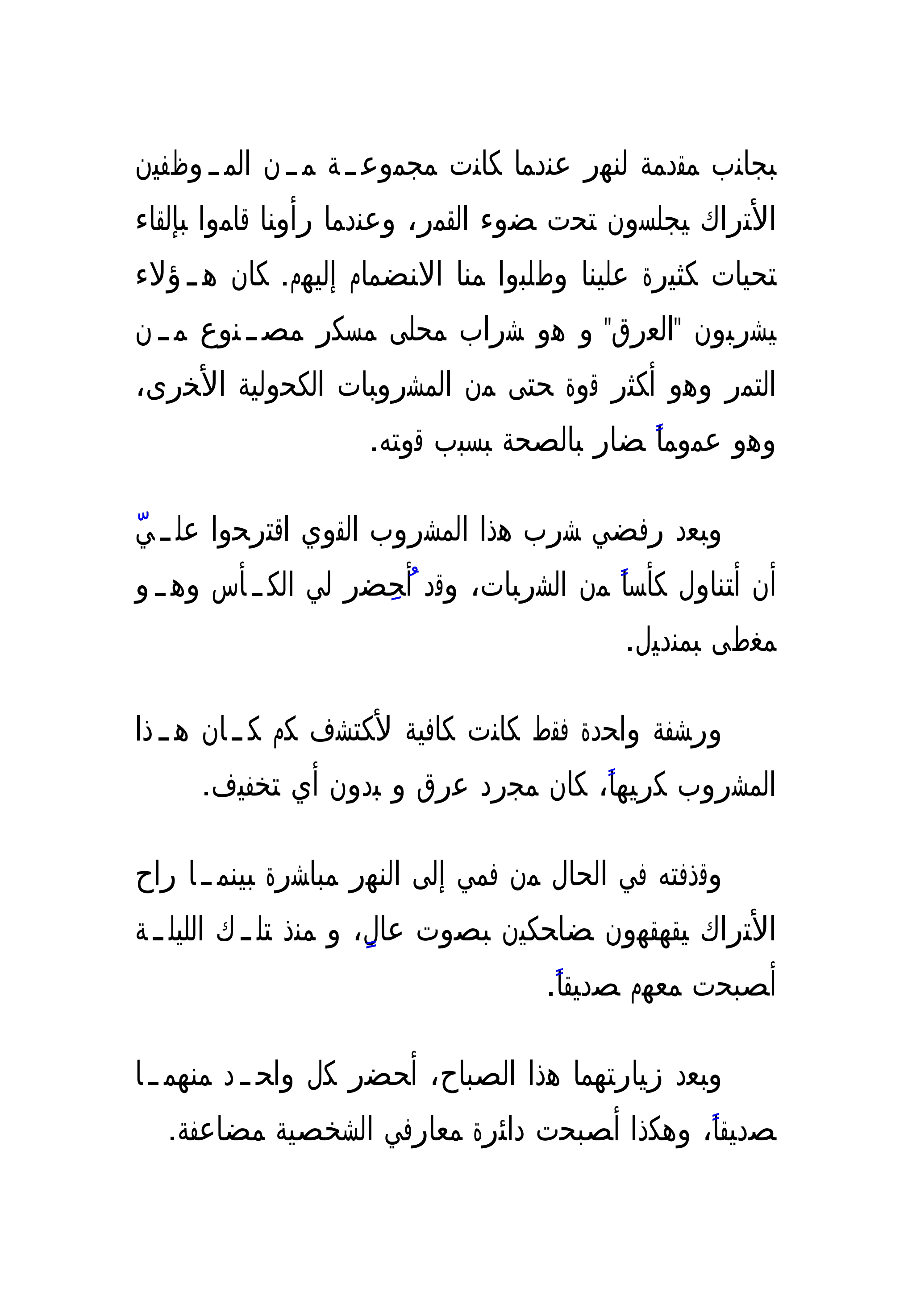
و تم تقديم العشاء لنا و كان يتكون من طبق سمك مقلي بدهن الخروف و طعام شرقي و بطاطا مقليـة مـع الخبـز العربي. و بعدها جاء إلى البيت عدد مـن المسـيحيين فـي المدينة من أمريكيين و سوريين و غيرهم لإلقاء التحية علينا. و تجمعوا كلهم عندنا حتى امتلأت الغرفتان، لمن يكن هناك مجال لقدوم آخرين. واستغلت النساء الفرصة و قمن بتدخين السجائر بينما جلس الرجال يشربون الشاي.

بعد مضيّ بعض الوقت قمنا بغنـاء بعـض التراتيـل المسيحية و قرأنا أجزاء من الإنجيل، قمت بعدها بالصلاة و تضرعت إلى ا بأن يحفظنا جميعاً.

وفي صباح اليوم التالي كان الجـو ممطـراً و كانـت الطرقات غير سالكة.

وفي فترة مبكرة من الصباح قرع الباب موظفان مـن الأتراك قالا لنا بعد فتح الباب إنهما جاءا لزيارتنا.

قد كان الاثنان صديقين قديمين. أتذكر الآن قبل ثـلاث سنوات مضت و بمناسبة زيارتي الأولى للعمارة، كنت أسير



بجانب مقدمة لنهر عندما كانت مجموعـة مـن المـوظفين الأتراك يجلسون تحت ضوء القمر، وعندما رأونا قاموا بإلقاء تحيات كثيرة علينا وطلبوا منا الانضمام إليهم. كان هـؤلاء يشربون "العرق" و هو شراب محلى مسكر مصـنوع مـن التمر وهو أكثر قوة حتى من المشروبات الكحولية الأخرى، وهو عموماً ضار بالصحة بسبب قوته.

وبعد رفضي شرب هذا المشروب القوي اقترحوا علـيّ أن أتناول كأساً من الشربات، وقد أُحِضر لي الكـأس وهـو مغطى بمنديل.

ورشفة واحدة فقط كانت كافية لأكتشف كم كـان هـذا المشروب كريهاً، كان مجرد عرق و بدون أي تخفيف.

وقذفته في الحال من فمي إلى النهر مباشرة بينمـا راح الأتراك يقهقهون ضاحكين بصوت عالٍ، و منذ تلـك الليلـة أصبحت معهم صديقاً.

وبعد زيارتهما هذا الصباح، أحضر كل واحـد منهمـا صديقاً، وهكذا أصبحت دائرة معارفي الشخصية مضاعفة.

لقد كانوا جميعاً يتوقون إلى الأحاديث الدينية. وأظـن إنني سوف أفاجئ الأصدقاء في أمريكا عندما يسـمعون أي مجال من الموضوعات يمكن أن يناقشها الأراك ببراعـة و ذكاء.

فموضوعات مثل: التطور، المنطق، فقـه اللغـة هـي موضوعات مفضلة لديهم، ولكن كالعادة فالمناقشات تتطـور لتصل إلى الأمور الدينية.

وغير ذلك فقد كان أحد الأتراك يظهر معرفة شخصـية جيدة بالآداب الفرنسية وعلم الأساطير اليونانية و غيرها.



قارب الرحلات التابع للإرسالية الأمريكية في جنوب العراق

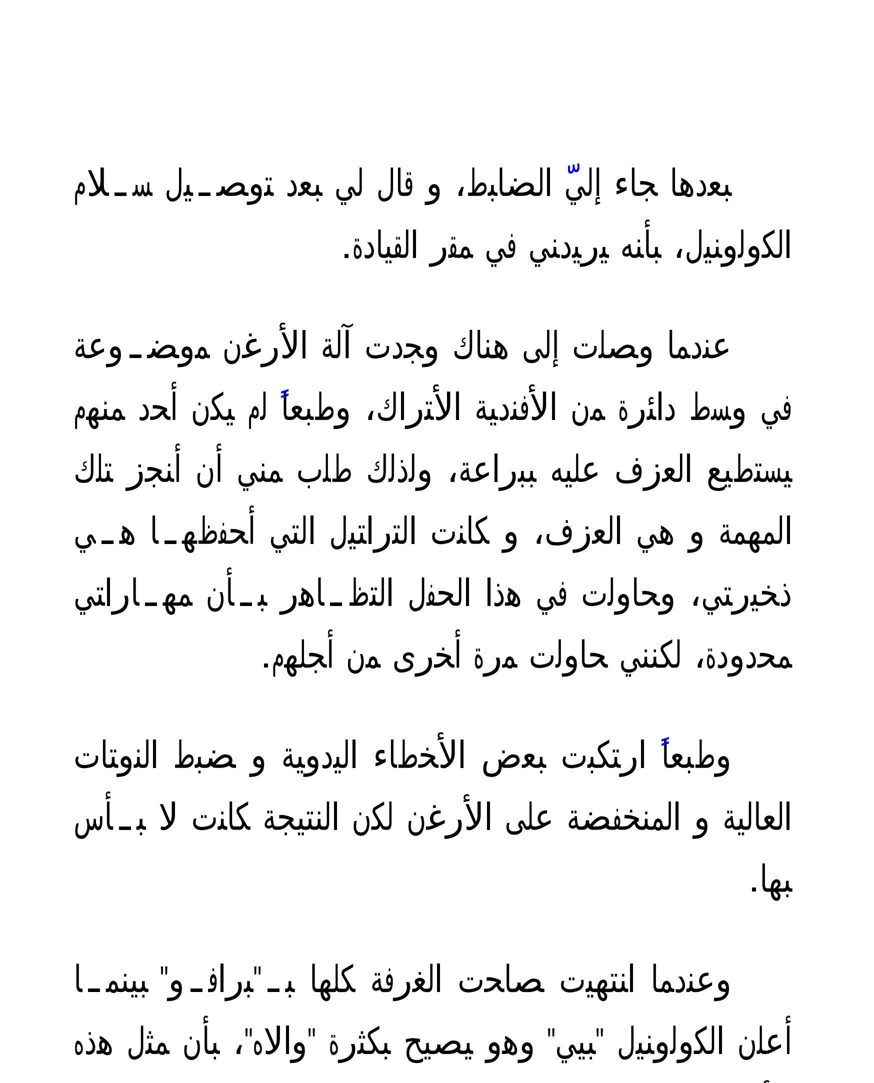
وفي يوم الأحد التالي، و فيما بعد صار كل أحد، رحنـا نقيم الصلوات الدينية و بحضور جمهور لا يقل أحياناً عـن خمسة عشر شخصاً من المسيحيين المحليين. وانضم الطبيب "بينيت" من البصرة إلينا فيما بعد و جلس معنا لمـدة اثنـي عشر يوماً وفي الواقع كانت تلك الصلوات هامة بالنسبة إلينا.

لكن حتى الكلمات لا تستطيع نقل مدى حاجتنا لمثل هذه الصلوات.

و انتهزت فرصة وجود الطبيب "بينيت" و قمنا بزيـارة رسمية للحكومة، و بعدها بأيام قليلة رد قائد القوات التركيـة الزيارة.

و أخذ الكولونيل إسماعيل بيي القائد مـن طفلـي آلـة الأرغن الموسيقية و أخذ يعبث بها.

وعندما عاد إلى الثكنات أرسل ضابطاً و ألقـى تحيـة عسكرية وقال لي إن الكولونيل بيي يود أن يستأجر "البيـانو" لأيام قليلة. وهكذا جاء الحمالون و أخذوا البيانو إلى الثكنات.

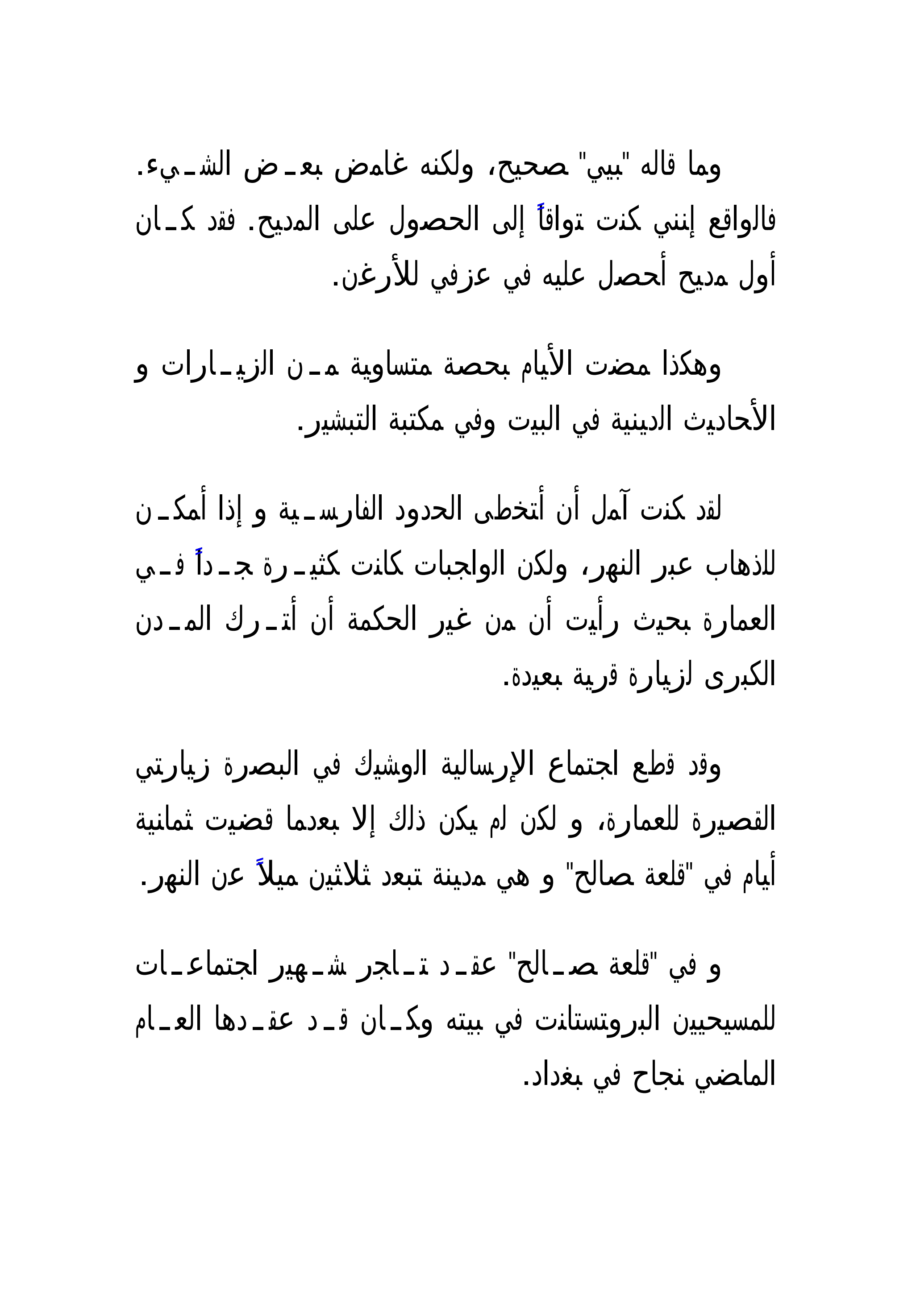


بعدها جاء إليّ الضابط، و قال لي بعد توصـيل سـلام الكولونيل، بأنه يريدني في مقر القيادة.

عندما وصلت إلى هناك وجدت آلة الأرغن موضـوعة في وسط دائرة من الأفندية الأتراك، وطبعاً لم يكن أحد منهم يستطيع العزف عليه ببراعة، ولذلك طلب مني أن أنجز تلك المهمة و هي العزف، و كانت التراتيل التي أحفظهـا هـي ذخيرتي، وحاولت في هذا الحفل التظـاهر بـأن مهـاراتي محدودة، لكنني حاولت مرة أخرى من أجلهم.

وطبعاً ارتكبت بعض الأخطاء اليدوية و ضبط النوتات العالية و المنخفضة على الأرغن لكن النتيجة كانت لا بـأس بها.

وعندما انتهيت صاحت الغرفة كلها بـ"براڤـو" بينمـا أعلن الكولونيل "بيي" وهو يصيح بكثرة "والاه"، بأن مثل هذه الأصابع الرشيقة من النادر رؤيتها في العمارة.



وما قاله "بيي" صحيح، ولكنه غامض بعض الشيء. فالواقع إنني كنت تواقاً إلى الحصول على المديح. فقد كان أول مديح أحصل عليه في عزفي للأرغن.

وهكذا مضت الأيام بحصة متساوية من الزيارات و الأحاديث الدينية في البيت وفي مكتبة التبشير.

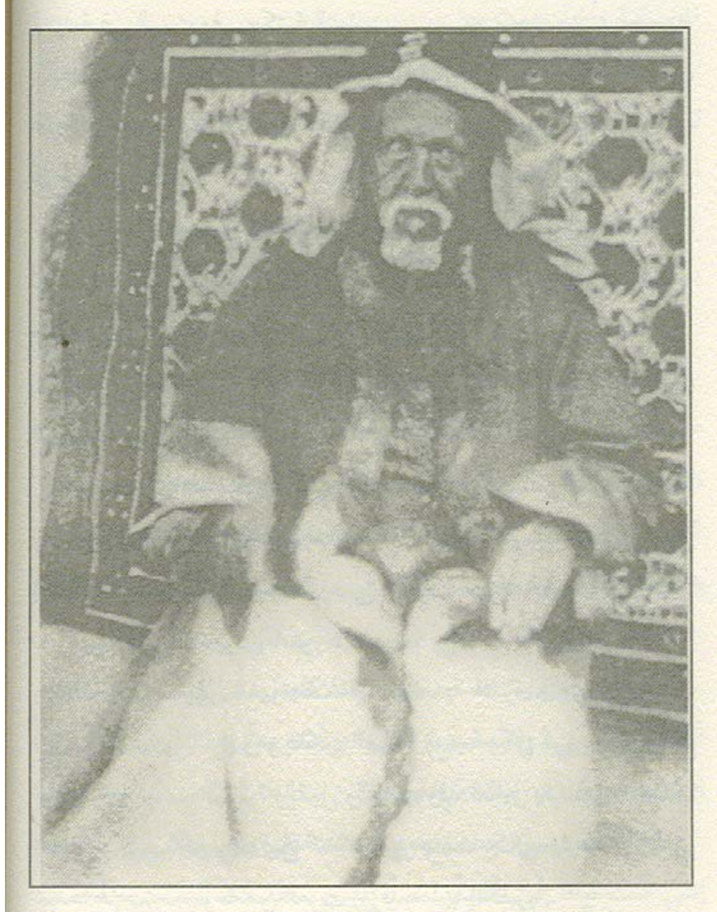
لقد كنت آمل أن أتخطى الحدود الفارسية و إذا أمكن للذهاب عبر النهر، ولكن الواجبات كانت كثيرة جداً في العمارة بحيث رأيت أن من غير الحكمة أن أترك المدن الكبرى لزيارة قرية بعيدة.

وقد قطع اجتماع الإرسالية الوشيك في البصرة زيارتي القصيرة للعمارة، و لكن لم يكن ذلك إلا بعدما قضيت ثمانية أيام في "قلعة صالح" و هي مدينة تبعد ثلاثين ميلاً عن النهر.

و في "قلعة صالح" عقد تاجر شهير اجتماعات للمسيحيين البروتستانت في بيته وكان قد عقدها العام الماضي نجاح في بغداد.

وبدت الأيام الثمانية التي قضيتها في ضـيافة التـاجر كأنها ساعات قليلة. و لم تمر علينا ساعة مملـة أو فارغـة بسبب طيبة الحجي (التاجر) و مضيفيه جميعا حتى صـباب القهوة، فجميعهم كانوا يحرصون على أن تكون إقامتي طيبة.

لقد كان صباب القهوة نفسه ذا شخصية مثيرة للاهتمام. وكنت أجلس معه و أنا أراه و هو يطحن القهوة البنية بكـل قوة. و في الواقع كان الرجل يحب الثرثرة و القيل و القـال، و قد تظاهر بالشجاعة عندما أخبرني كيف أتصرف قبل عدة شهور عندما كان حارساً في النهر. عندما هاجم مجموعة من العرب زورقاً بخارياً إنكليزياً.



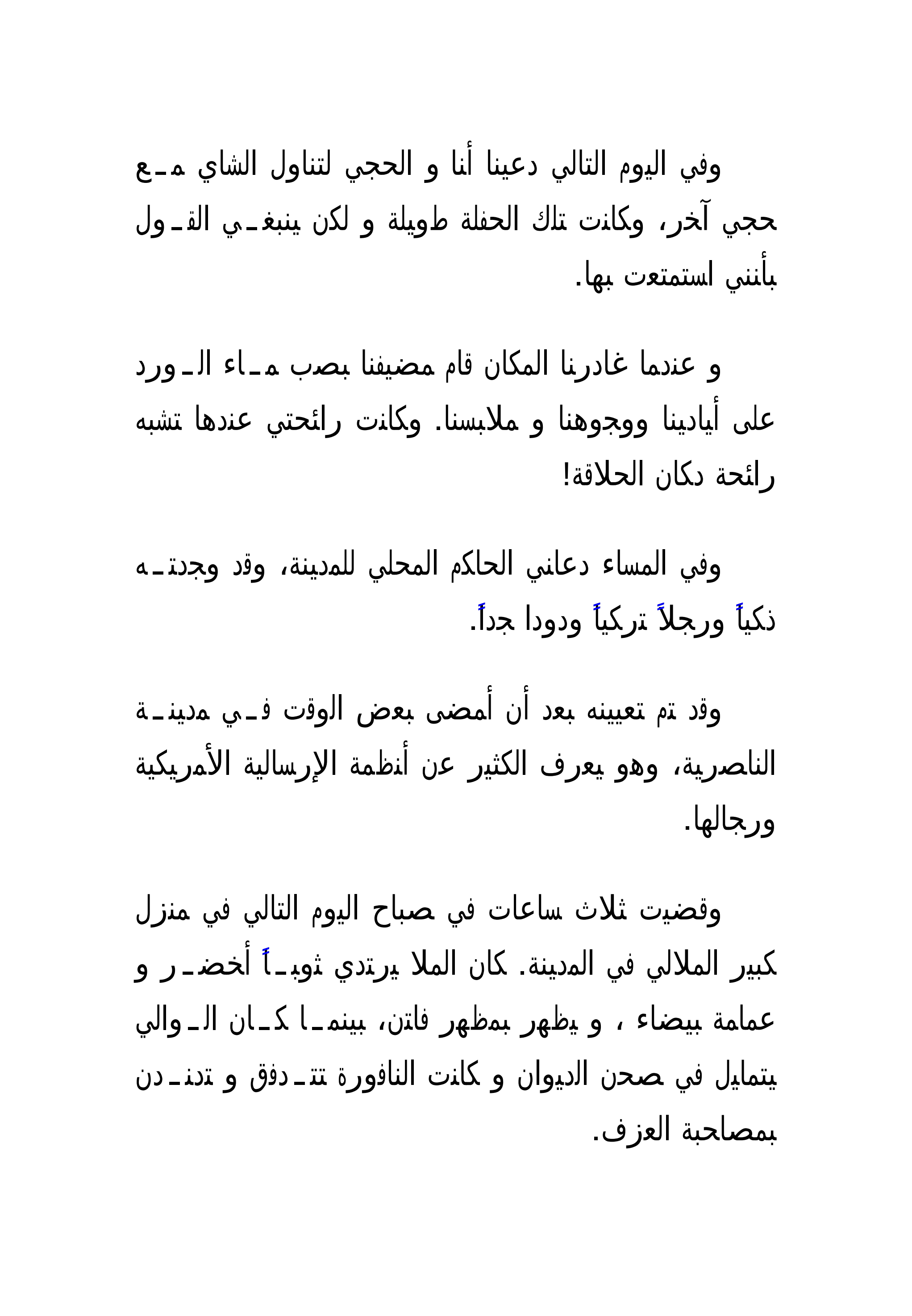
تاجر من البصرة

وفي إحدى الليالي زارني جندي و أحضر معه زوجته و أولاده. وقد كان الرجل يعاني من الربو. وبعد أن أعطيته دواء بسيطاً راح يتحدث لي عن مشاكل عائلته.

وقال إن ابنه ذو العشرين عاماً هو مصدر أذى في حياته. فقبل ثلاث سنوات، عندما كان عمر الابن سبعة عشر عاماً تزوج. ومنذ ذلك الوقت وهو يعيش مع زوجته عند والديها لكن مشكلاته كثيرة، فقبل يوم هدد بكسر أسنان والدته إذا لم تبحث له عن زوجة ثانية.

وحتى في حضوري أنا، قام الولد بسب والدته منادياً عليها باسمها الأول، و لكنه توقف فقط عندما هددته بأن أرميه إلى الطابق الأرضي، عندها فقط قطب الجبين و توقف عن كل شيء.

كانت الأم قبل أن يكون لديها عائلة من المتفائلات بالحياة الزوجية، وقد تفاخرت بمهارات ابنها الصغير في حذف الحجارة على الناس و أنها في نفس اليوم ضربت امرأة بالخيزران!



وفي اليوم التالي دعينا أنا و الحجي لتناول الشاي مـع حجي آخر، وكانت تلك الحفلة طويلة و لكن ينبغـي القـول بأنني استمتعت بها.

و عندما غادرنا المكان قام مضيفنا بصب مـاء الـورد على أيادينا ووجوهنا و ملابسنا. وكانت رائحتي عندها تشبه رائحة دكان الحلاقة!

وفي المساء دعاني الحاكم المحلي للمدينة، وقد وجدتـه ذكياً ورجلاً تركياً ودودا جداً.

وقد تم تعيينه بعد أن أمضى بعض الوقت فـي مدينـة الناصرية، وهو يعرف الكثير عن أنظمة الإرسالية الأمريكية ورجالها.

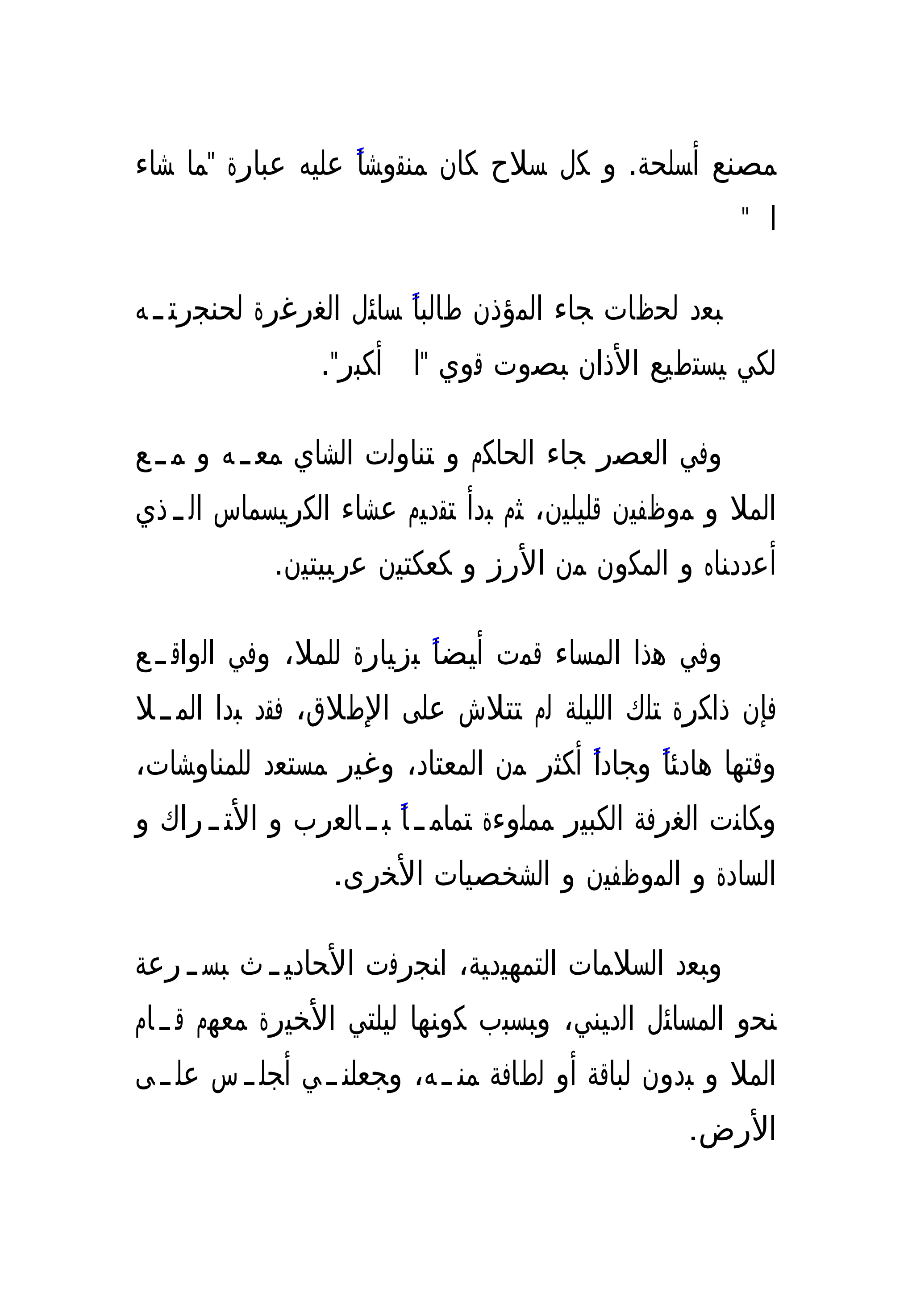
وقضيت ثلاث ساعات في صباح اليوم التالي في منزل كبير الملالي في المدينة. كان الملا يرتدي ثوبـاً أخضـر و عمامة بيضاء ، و يظهر بمظهر فاتن، بينمـا كـان الـوالي يتمايل في صحن الديوان و كانت النافورة تتـدفق و تدنـدن بمصاحبة العزف.

و الليلة التالية قضيتها مع الملا أيضاً و مـع أسـئلته و إجابتي عليها، فقد سألني أسئلة كثيرة حول الكتاب المقـدس، وقام بالهجوم عليه في نفس الوقت. ثم قام بتصيد الأخطـاء هنا وأبرز عدة انتقادات.

وكنت عند الملا أيضاً في الليلة التاليـة، لكـن الآيـة انعكست، فقد كنت أنا الذي يهاجم. فقد وجهـت (انتقـادات) كثيرة للإسلام. وأخيراً جاء يوم عيد الميلاد الزاخر بالأحداث و الحكايات.

لقد كان الترحيب الأول الذي تلقيته من الشيخ فالح و هو وريث زعامة المشايخ في المدينة. وهذا الشيخ سـمع عنـي بأنني كنت في "قلعة صالح" و لذلك قام بزيارتي و معه عدد كبير من أتباعه لتقديم السلام. وقد بدوا جمـيعهم محمسـين علاوة على كونهم مسلحين، و يلف كل واحد منهم حزاماً من الرصاص على صدره.

وبعد أن شربنا القهوة و تحدثنا معهم لمـدة سـاعتين، ذهب الشيخ للمشي، ولكن قبل ذهابه ترك الجميع أسلحتهم في غرفتي مكدسة و بدت الغرفة حينها و كأنهـا مسـتودع أو



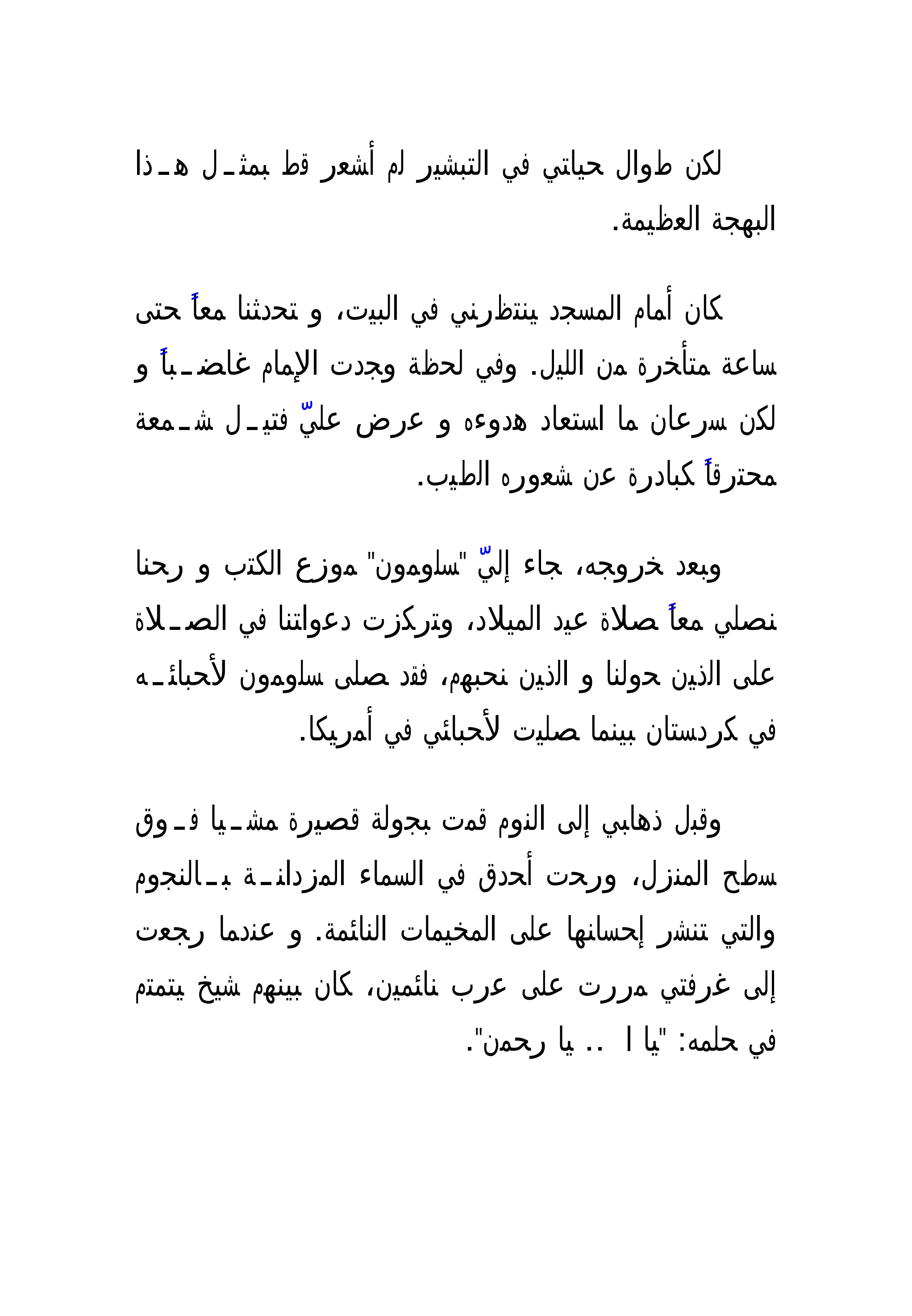
مصنع أسلحة. و كل سلاح كان منقوشاً عليه عبارة "ما شاء ا "

بعد لحظات جاء المؤذن طالباً سائل الغرغرة لحنجرتـه لكي يستطيع الأذان بصوت قوي "ا أكبر".

وفي العصر جاء الحاكم و تناولت الشاي معـه و مـع الملا و موظفين قليلين، ثم بدأ تقديم عشاء الكريسماس الـذي أعددناه و المكون من الأرز و كعكتين عربيتين.

وفي هذا المساء قمت أيضاً بزيارة للملا، وفي الواقـع فإن ذاكرة تلك الليلة لم تتلاش على الإطلاق، فقد بدا المـلا وقتها هادئاً وجاداً أكثر من المعتاد، وغير مستعد للمناوشات، وكانت الغرفة الكبير مملوءة تمامـاً بـالعرب و الأتـراك و السادة و الموظفين و الشخصيات الأخرى.

وبعد السلامات التمهيدية، انجرفت الأحاديـث بسـرعة نحو المسائل الديني، وبسبب كونها ليلتي الأخيرة معهم قـام الملا و بدون لباقة أو لطافة منـه، وجعلنـي أجلـس علـى الأرض.



لكن طوال حياتي في التبشير لم أشعر قط بمثـل هـذا البهجة العظيمة.

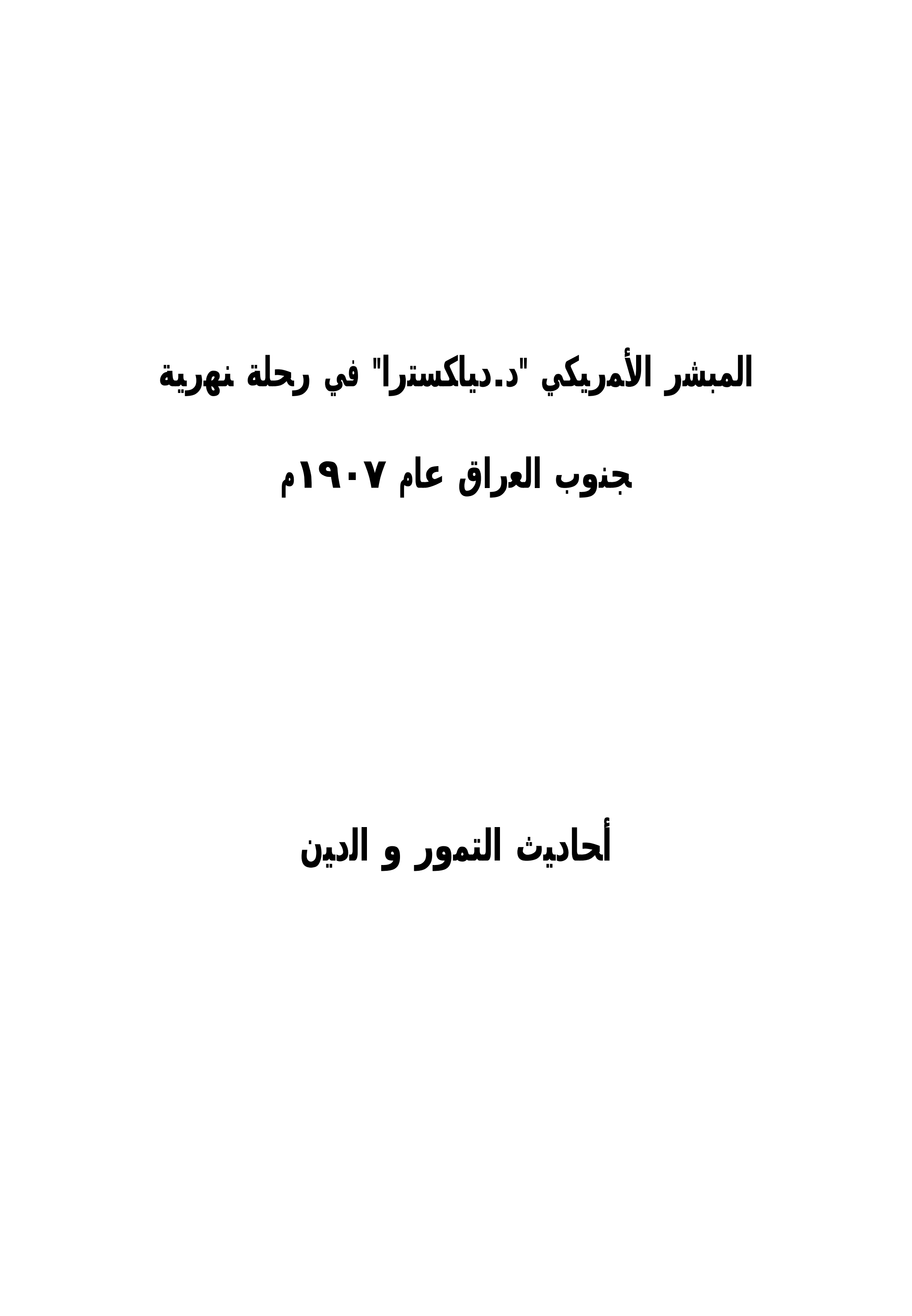
كان أمام المسجد ينتظرني في البيت، و تحدثنا معاً حتى ساعة متأخرة من الليل. وفي لحظة وجدت الإمام غاضـباً و لكن سرعان ما استعاد هدوءه و عرض عليّ فتيـل شـمعة محترقاً كبادرة عن شعوره الطيب.

وبعد خروجه، جاء إليّ "سلومون" موزع الكتب و رحنا نصلي معاً صلاة عيد الميلاد، وتركزت دعواتنا في الصـلاة على الذين حولنا و الذين نحبهم، فقد صلى سلومون لأحبائـه في كردستان بينما صليت لأحبائي في أمريكا.

وقبل ذهابي إلى النوم قمت بجولة قصيرة مشـيا فـوق سطح المنزل، ورحت أحدق في السماء المزدانـة بـالنجوم والتي تنشر إحسانها على المخيمات النائمة. و عندما رجعت إلى غرفتي مررت على عرب نائمين، كان بينهم شيخ يتمتم في حلمه: "يا ا .. يا رحمن".

و في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي أخذنا الزورق البخاري الإنكليزي و عاد بنا إلى البصرة، و رحنا نسترجع سعادتنا بتمضية عيد الميلاد مرة أخرى.

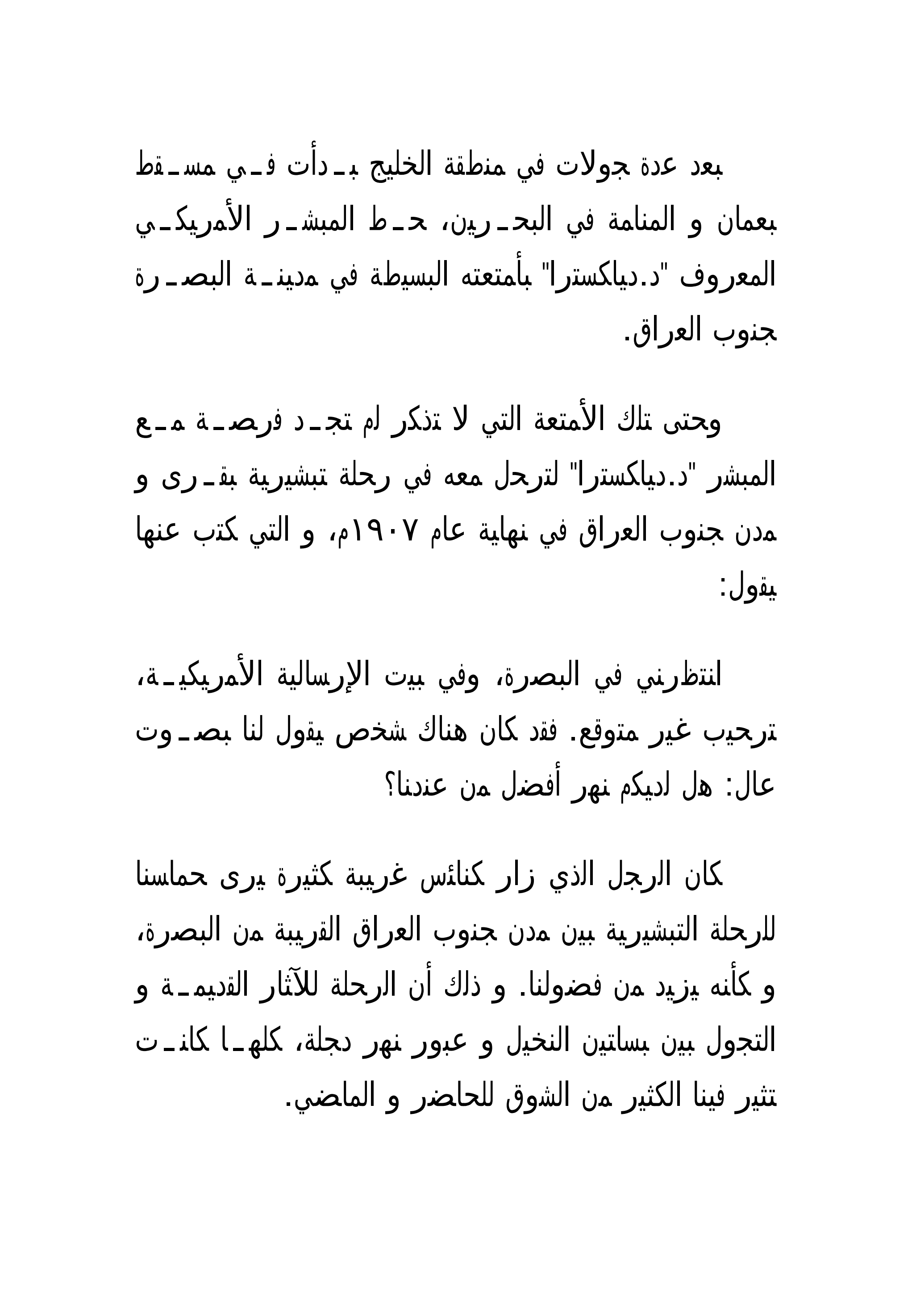
و لكن قلبي لا يزال في "قلعة صالح"، و أتخيل نفسـي أسمع الشيخ و هو لا يزال يغمغم: "يا رحيم"!



المبشر الأمريكي "د.دياكسترا" في رحلة نهرية

جنوب العراق عام ١٩٠٧م

أحاديث التمور و الدين

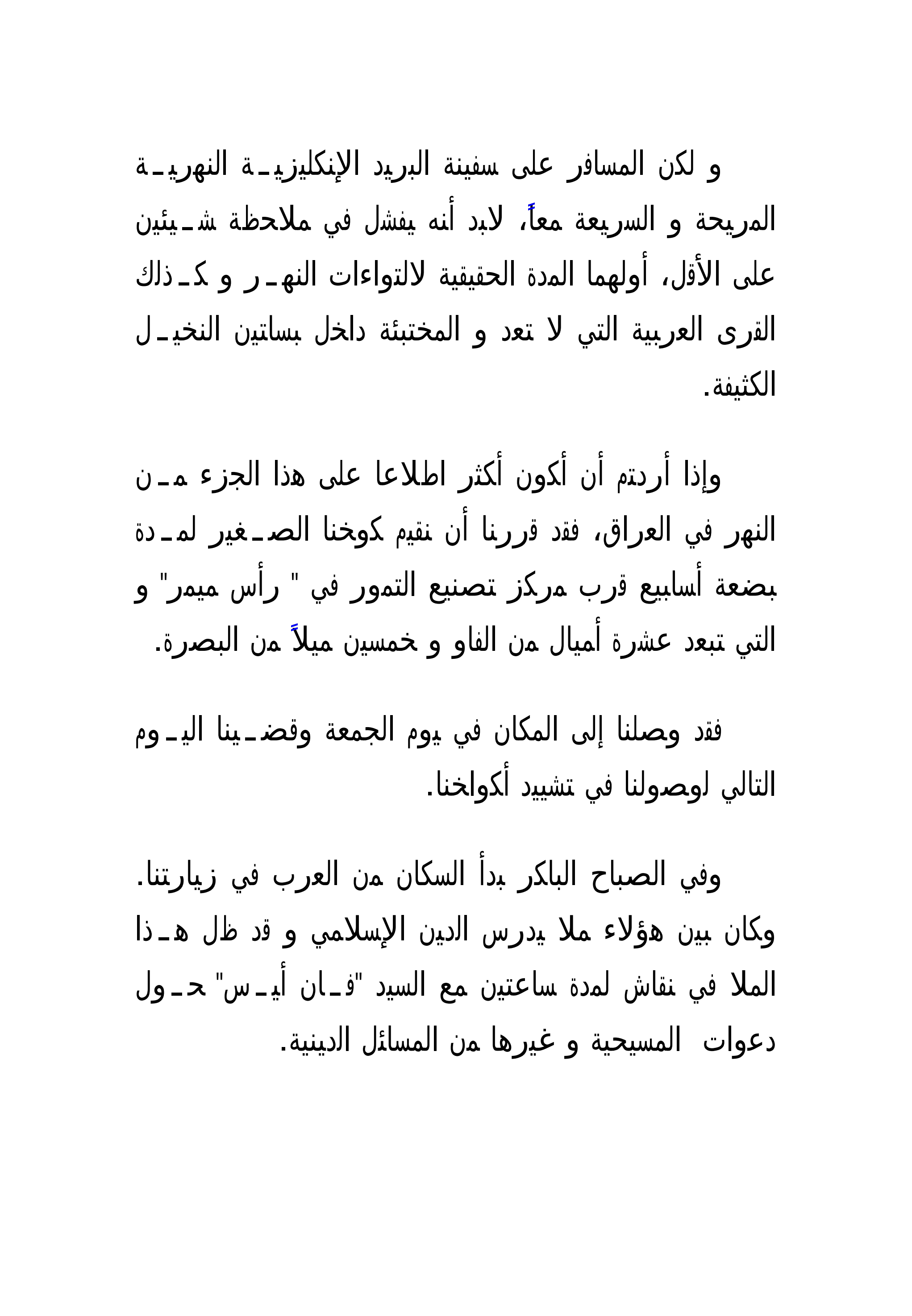


بعد عدة جولات في منطقة الخليج بدأت في مسقط بعمان و المنامة في البحرين، حط المبشر الأمريكي المعروف "د.دياكسترا" بأمتعته البسيطة في مدينة البصرة جنوب العراق.

وحتى تلك الأمتعة التي لا تذكر لم تجد فرصة مع المبشر "د.دياكسترا" لترحل معه في رحلة تبشيرية بقرى و مدن جنوب العراق في نهاية عام ١٩٠٧م، و التي كتب عنها يقول:

انتظرني في البصرة، وفي بيت الإرسالية الأمريكية، ترحيب غير متوقع. فقد كان هناك شخص يقول لنا بصوت عال: هل لديكم نهر أفضل من عندنا؟

كان الرجل الذي زار كنائس غريبة كثيرة يرى حماسنا للرحلة التبشيرية بين مدن جنوب العراق القريبة من البصرة، و كأنه يزيد من فضولنا. و ذلك أن الرحلة للآثار القديمة و التجول بين بساتين النخيل و عبور نهر دجلة، كلها كانت تثير فينا الكثير من الشوق للحاضر و الماضي.



و لكن المسافر على سفينة البريد الإنكليزيـة النهريـة المريحة و السريعة معاً، لابد أنه يفشل في ملاحظة شـيئين على الأقل، أولهما المدة الحقيقية لالتواءات النهـر و كـذلك القرى العربية التي لا تعد و المختبئة داخل بساتين النخيـل الكثيفة.

وإذا أردتم أن أكون أكثر اطلاعا على هذا الجزء مـن النهر في العراق، فقد قررنا أن نقيم كوخنا الصـغير لمـدة بضعة أسابيع قرب مركز تصنيع التمور في " رأس ميمر" و التي تبعد عشرة أميال من الفاو و خمسين ميلاً من البصرة.

فقد وصلنا إلى المكان في يوم الجمعة وقضـينا اليـوم التالي لوصولنا في تشييد أكواخنا.

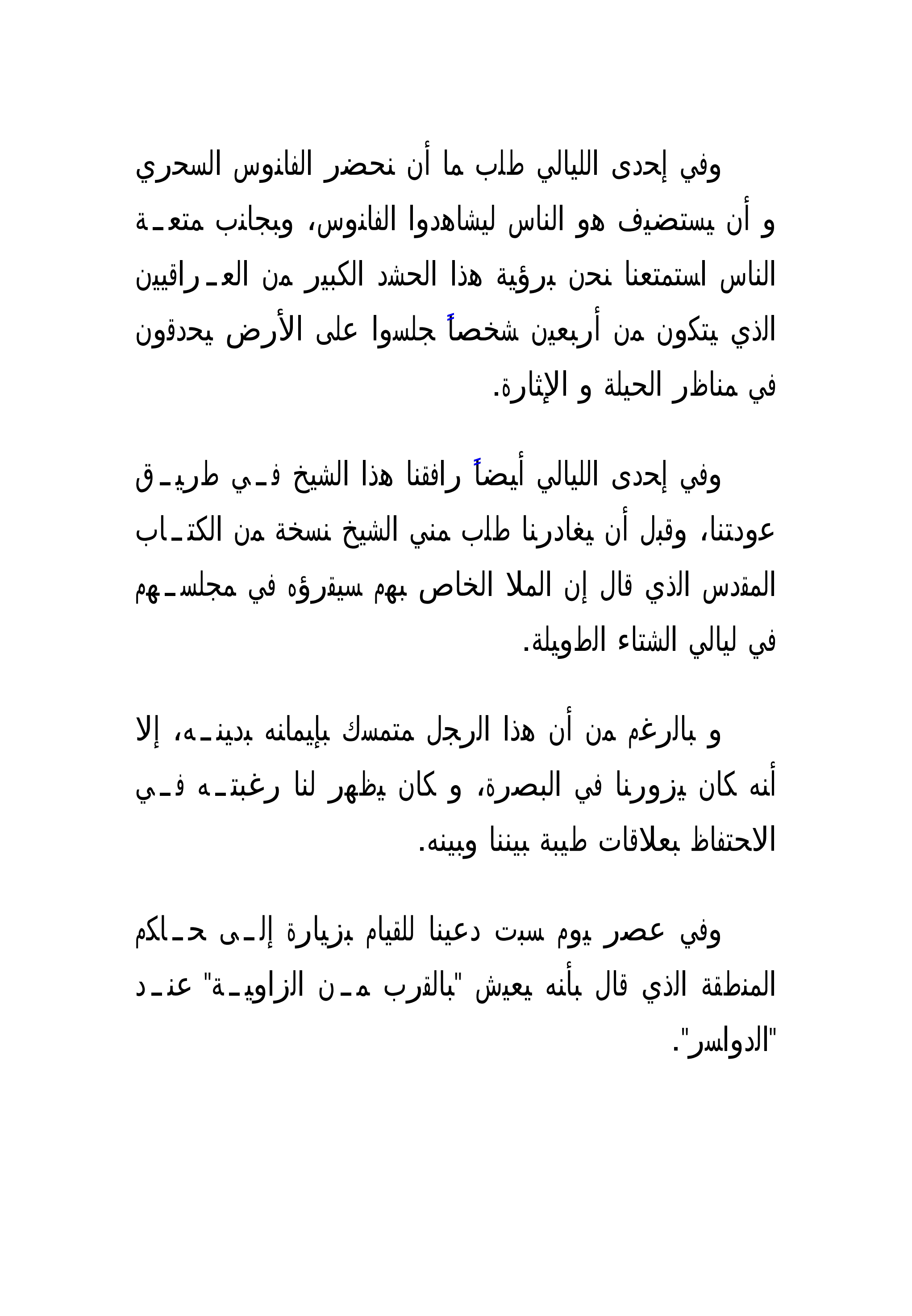
وفي الصباح الباكر بدأ السكان من العرب في زيارتنا. وكان بين هؤلاء ملا يدرس الدين الإسلامي و قد ظل هـذا الملا في نقاش لمدة ساعتين مع السيد "فـان أيـس" حـول دعوات المسيحية و غيرها من المسائل الدينية.

و من الواضح أن الملا قد قرأ الإنجيل، بـل و مطلـع بشكل جيد على الانتقادات المعتادة لديننا المسيحي. كان الملا يأتي إلينا كل يوم خلال الأسابيع الثلاثة التي قضـينها فـي المكان، وعندما غادرنا المنطقة وعدنا بأن يأتي لزيارتنا فـي البصرة.

كما أن أحد شيوخ المدينة أعلن عن زيارته لنـا عبـر إرساله لنا كميات كبيرة من التمور و الخبـز و الحليـب و الزبد، و كان هذا الشيخ يعرض خدماتـه علينـا دائمـاً، و يواصل إلحاحه بدعوتنا لزيارته و الاستمتاع بضيافته.



ميناء البصرة



وفي إحدى الليالي طلب ما أن نحضر الفانوس السحري و أن يستضيف هو الناس ليشاهدوا الفانوس، وبجانب متعـة الناس استمتعنا نحن برؤية هذا الحشد الكبير من العـراقيين الذي يتكون من أربعين شخصاً جلسوا على الأرض يحدقون في مناظر الحيلة و الإثارة.

وفي إحدى الليالي أيضاً رافقنا هذا الشيخ فـي طريـق عودتنا، وقبل أن يغادرنا طلب مني الشيخ نسخة من الكتـاب المقدس الذي قال إن الملا الخاص بهم سيقرؤه في مجلسـهم في ليالي الشتاء الطويلة.

و بالرغم من أن هذا الرجل متمسك بإيمانه بدينـه، إلا أنه كان يزورنا في البصرة، و كان يظهر لنا رغبتـه فـي الاحتفاظ بعلاقات طيبة بيننا وبينه.

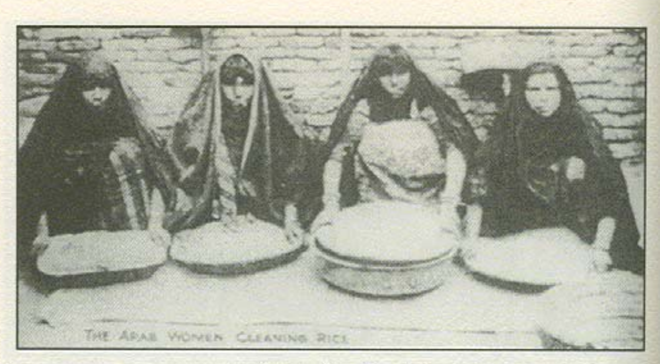
وفي عصر يوم سبت دعينا للقيام بزيارة إلـى حـاكم المنطقة الذي قال بأنه يعيش "بالقرب مـن الزاويـة" عنـد "الدواسر".

كانت الشمس لا تزال شديدة الحـرارة عنـدما بـدأنا الزيارة، فقد ظهرت منذ فترة طويلة قبـل أن نـربط حبـال قاربنا على اليابسة ونصل.

و بينما كان الرجال يقومون بذبح العجل السمين، مضى الوقت علينا ونحن نتحدث عن التمور والدين، وعند السـاعة الحادية عشرة صباحاً أحضر الطعام مـع أصـوات عاليـة تقول:"بسم ا "، وتم دعوتنا للمشاركة في الطعـام. وقضـينا باقي الليل في العودة إلى سكننا، وكانت الشمس تشرق فـي صباح الأحد قبل وصولنا إلى معسكرنا في "ميمر".

وحصل السيد "فان أيس" على فرصة أيضاً لزيارة منزل الشيخ وزيارة الحاكم العربي قرب الفاو، وهكذا فقـد قمنـا بزيارة كل الرجال العرب الهامين و الرئيسيين في المنطقـة الواقعة بين المحمرة و الفاو. كما أصبحنا علـى ثقـة بـأن الأبواب قد افتتحت بضيافتهم.

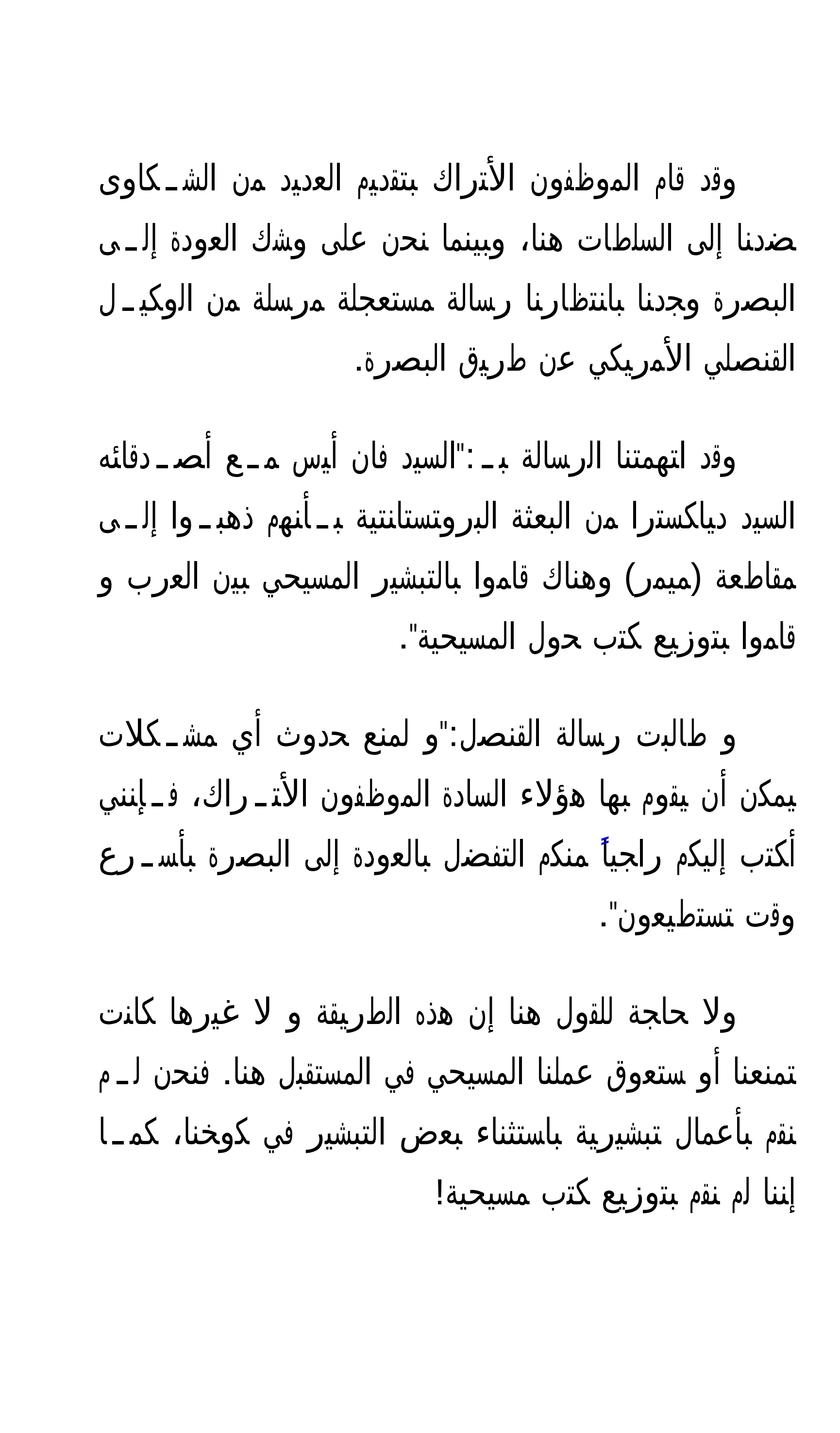
و بشكل عرضي كنا قادرين على معرفة وفهـم كيـف تؤجر و تعمل مزارع النخيل، وكيف تعد التمـور و تجهـز لإرسالها لأسواق لندن و نيويورك.



نساء ينظفن الأرز في البصرة

وأماكن تصنيع التمور في جنوب العراق تقدم فرصاً خيالية و مثالية لبيع الكتاب المقدس، وكما يبدو من هذا من العمل فقد تمكن اثنان من بائعي الكتب التابعين للإرسالية، وصلا إلينا من البصرة، تمكنا من بيع حوالي خمسمائة نسخة من الكتاب المقدس وهما في طريقهما إلينا.

كان الموظفون الأتراك يظهرون لنا بوضوح عدم رغبتهم في علاقات الصداقة التي أقمناها مع العرب، بل وقاموا بكل ما يستطيعون ليجعلونا ننهي المعسكر ونرحل.



وقد قام الموظفون الأتراك بتقديم العديد من الشـكاوى ضدنا إلى السلطات هنا، وبينما نحن على وشك العودة إلـى البصرة وجدنا بانتظارنا رسالة مستعجلة مرسلة من الوكيـل القنصلي الأمريكي عن طريق البصرة.

وقد اتهمتنا الرسالة بـ:"السيد فان أيس مـع أصـدقائه السيد دياكسترا من البعثة البروتستانتية بـأنهم ذهبـوا إلـى مقاطعة (ميمر) وهناك قاموا بالتبشير المسيحي بين العرب و قاموا بتوزيع كتب حول المسيحية".

و طالبت رسالة القنصل:"و لمنع حدوث أي مشـكلات يمكن أن يقوم بها هؤلاء السادة الموظفون الأتـراك، فـإنني أكتب إليكم راجياً منكم التفضل بالعودة إلى البصرة بأسـرع وقت تستطيعون".

ولا حاجة للقول هنا إن هذه الطريقة و لا غيرها كانت تمنعنا أو ستعوق عملنا المسيحي في المستقبل هنا. فنحن لـم نقم بأعمال تبشيرية باستثناء بعض التبشير في كوخنا، كمـا إننا لم نقم بتوزيع كتب مسيحية!

في هذه البلاد اعترف بأننا متحمسـون جـداً لمواصـلة محاولاتنا وسط هؤلاء الناس، خاصة أن هذه المحـاولات لا تلحق أي ضرر، و سهلة في الوصول إلى المنـاطق التـي نريدها بواسطة قوارب النهر.

وبواسطة قارب الإرسالية الصغير الذي يعمل بواسـطة المحرك، فإن إرسالية البصرة لديها فرص لا تنتهي للانتشار و التبشير بالمسيحية وسط الآلاف داخـل مـزارع النخيـل الواقعة على الأنهار و الجداول في جنوب العراق.

ولعل أي معجب بالماضي التبشيري في العراق يستطيع أن يلاقي أدلة أفضل من رغبته في تكريم آباء الإرسـالية و الرواد القدماء و إحياء ذكراهم بهذه السفينة من خلال زورق يتجول في مياه البصرة.



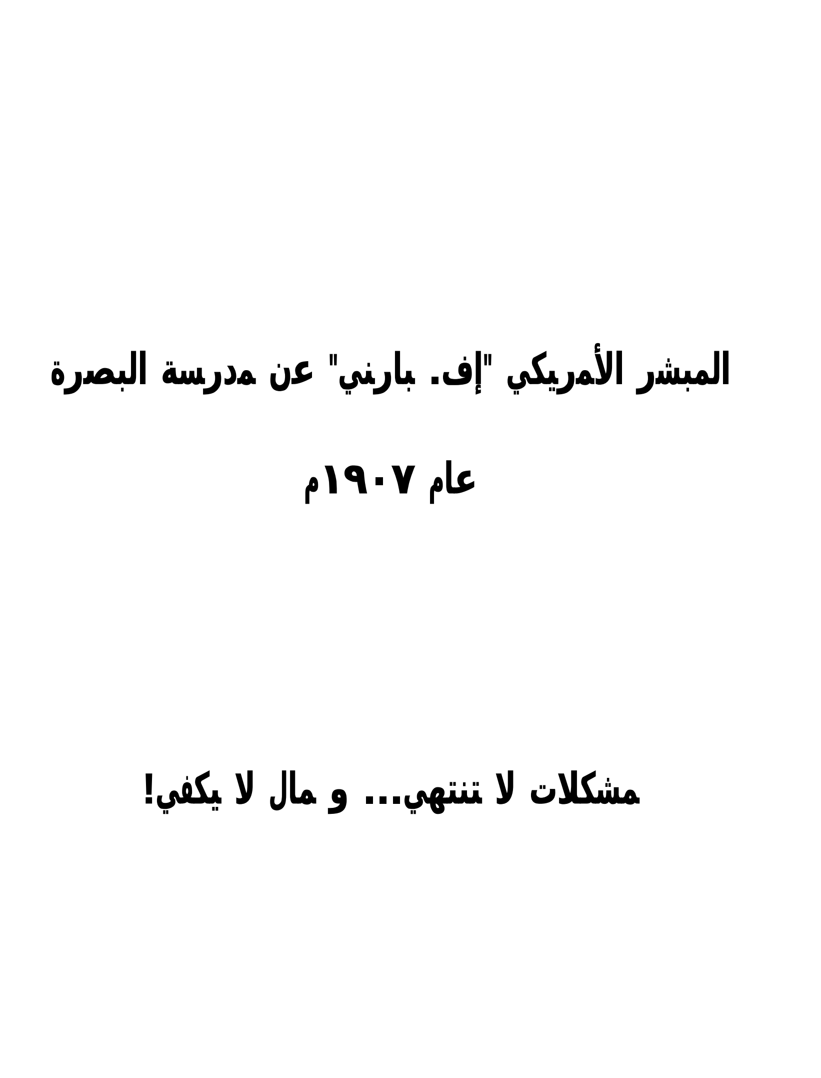
قارب رحلات تابع للإرسالية الأمريكية في نهر الفرات

وهنا فإن المبشرين الإرساليين في البصرة يقضـون أو عليهم أن يقضوا نصف وقتهم في مياه النهر ففي هذه السـنة قاموا بالسفر حول نهر الفرات و شواطئه لحـوالي أربعـة آلاف ميل، وكانت معظم هذه السفرات قد تمت فـي زوارق طويلة بطيئة و خطرة.

إنني واثق أن العمل في المستقبل سيكون أفضـل مـن خلال استخدام قوارب خفيفة الحركة و سهلة التحرك و آمنة



و تعمل بمحرك متطور و لا تعتمد في سيرها على الريح و الطقس كما هو الحال حالياً.



المبشر الأمريكي "إف. بارني" عن مدرسة البصرة

عام ١٩٠٧م

مشكلات لا تنتهي... و مال لا يكفي!

اشتغل المبشر الأمريكي "إف.ج.بارني" لسنوات طويلة في العمل التبشيري بجنوب العراق منذ بداية القرن العشرين.

وفي شهر يناير من عام ١٩٠٧م كتب المبشر "بـارني" تقريراً لمجلة الإرسالية الأمريكية حـول أوضـاع مدرسـة الإرسالية في البصرة، قال فيه:

أستطيع أن أقول إن المهمات الأولى لمدرسة البصرة قد استطعنا تحقيقها بالكامل. غير أن هذا ليس كـل شـيء و لا نهاية العمل أيضاً. فالجهد كان صغيراً حتى الآن، لكنه أظهر تطلعنا نحو التطور.

بالطبع فالمدرسة تحتاج إلى تطور و تغييرات و أيضـاً إلى إمكانيات مادية. فمثلاً كان لدى المبشـرين فـي العـام الماضي عدد كبير من التلاميـذ و لكـن لا توجـد عنـدهم صفوف لتعليمهم!

وفي بداية هذا العام تم تحويل موزع الكتب المسـيحية إلى البصرة. وجاء طبعاً مع عائلته المكونة من ثلاثة أطفـال و جميعهم كانوا في سن الذهاب إلى المدرسـة، مـع ثلاثـة

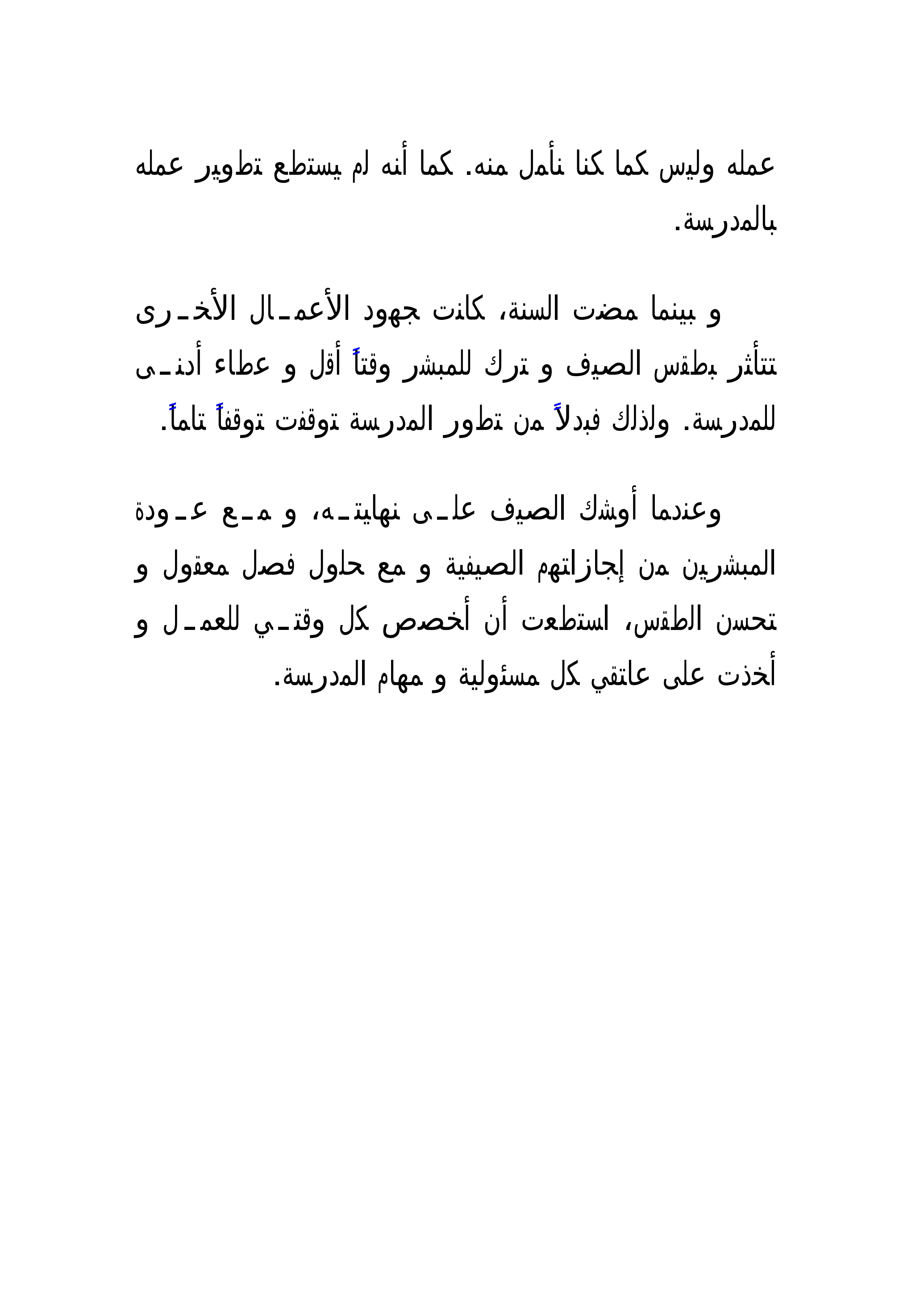
آخرين كانوا يشكلون نواة لستة أطفال بروتستانت يعتمـدون علينا في تدريسهم.

وفي بداية العام بدأنا تحقيق الغـرض، كمـا أن أيـام الدارسة الأولى استمرت متواصلة، وقد تم تخصيص واحـد من غرف بيت الإرسالية لها، وتم صنع طاولات و كراسي و توظيف مدرس من أجل المدرسة.

و بينما خصصنا لهذا العمل مائة دولار فقط، وجدنا أن المدرس العادي هنا المتخصص في أي مـادة يحتـاج إلـى تخصيص ضعف هذا المبلغ.

و بجانب ذلك كـان الأثـاث و التجهيـزات الأخـرى للمدرسة بانتظار وضعها. غير أن مشكلات واجهتنـا مـع الرجل الذي قام بصنع ذلك للمدرسة.

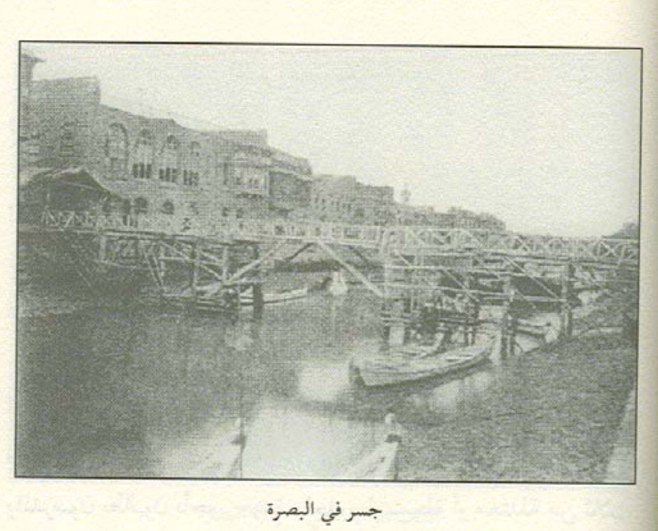
و بجانب الأثاث فقد ظهـرت مشـكلات أخـرى مـع المسئول عن المدرسة. ففي البداية كان العمـل جيـداً فـي المدرسة، لكن المدرس الشاب المسئول أظهر فعالي أقل فـي



عمله وليس كما كنا نأمل منه. كما أنه لم يستطع تطوير عمله بالمدرسة.

و بينما مضت السنة، كانت جهود الأعمـال الأخـرى تتأثر بطقس الصيف و ترك للمبشر وقتاً أقل و عطاء أدنـى للمدرسة. ولذلك فبدلاً من تطور المدرسة توقفت توقفاً تاماً.

وعندما أوشك الصيف علـى نهايتـه، و مـع عـودة المبشرين من إجازاتهم الصيفية و مع حلول فصل معقول و تحسن الطقس، استطعت أن أخصص كل وقتـي للعمـل و أخذت على عاتقي كل مسئولية و مهام المدرسة.



جسر في البصرة

ومع انضباط التلاميذ و تقديم دروس منتظمـة أمكـن القول عن تحقيق تقدم، فلقد كان الحضور في المدرسة فـي البداية يتراوح ما بين ٨و١٠ تلاميذ لكنه الآن وصل إلى ١١ تلميذاً. وهناك الآن عدد من الطلاب الذين يرغبون في دخول المدرسة. ففي المدرسة الآن ثمانية تلاميذ نظاميين يحضرون الدراسة وواحد منهم مسلم. لكن الباقين غير جـادين، وتـم طردهم لكي نتعهد بتطور الدراسة.

لقد علمتنا تجربة المدرسة عدة أشياء. لعـل أهمهـا أن وضعها لا يمكن أن يتواصل هكذا.

فأولاً وجدنا أننا نستطيع إدارة مدرسـة عبـر منزلنـا الخاص وهي مسألة لا تمنعها السلطات هنـا. فهـذا الواقـع موجود منذ حوالي عام و تؤكد بذلك على ضمان استمرارها في المستقبل. وهناك ربما اعتراضات في المسـتقبل علـى بعض لأساليب و الأشكال في إدارة المدرسـة، لكـن هـذه ستكون مجرد أسئلة حول التفاصيل الأخرى.

وبقدر ما نستطيع المضي في عملنـا و كفاحنـا فـي المجرسة فإن وضعنا سيكون أقوى و أفضل.

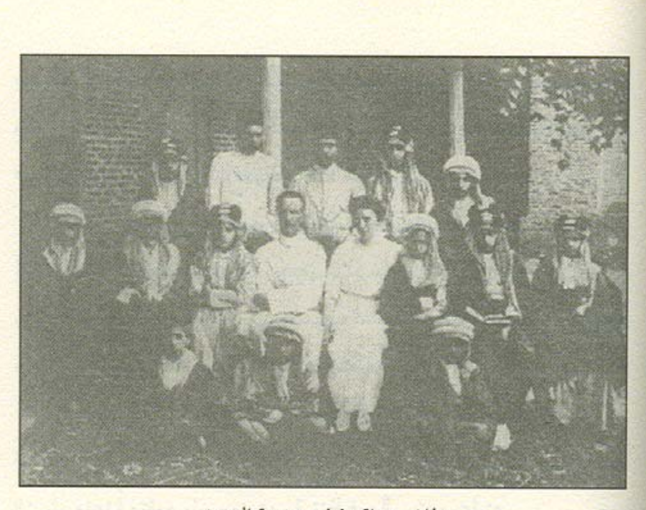
أما المسألة الثانية التي تعلمناها فهي أن مسألة التطـور بخصوص المدرسة تعني المال.

فهذه المسألة تعني بوضوح أن هناك مكانـاً لمدرسـة الإرسالية في البصرة، و لكن الأمر يحتاج إلى مكان أوسع و إمكانيات مادية أكبر.

فعندما يطلب المسلمون مدرسة فإننا ننظر إلى هذا الطلب على أنه تحدٍ لنا، إننا قادرون على هذا التحدي، غير أن العراق الواقعة تحت الاحتلال التركي ليست بلاداً رخيصة. فالإيجارات هنا عالية و المدرسون يطالبون بأجور جيدة، فمدرسة بسيطة أو معتدلة من ثلاث مراحل دراسية في بيت متوسط معقول ستكلف في البصرة ٦٠٠ دولار على الأقل في العام.

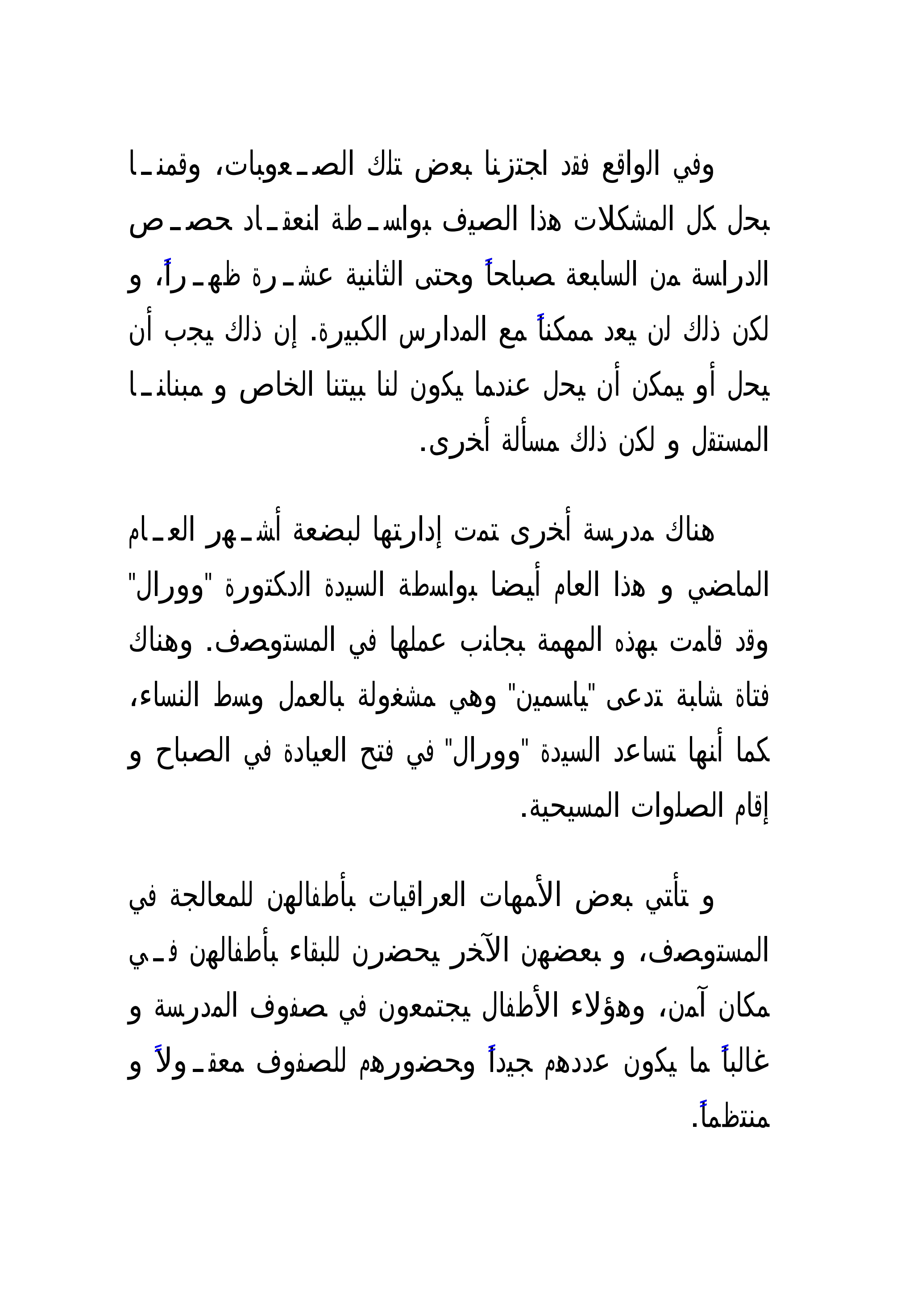
و مدير مدرسة درجة أولى يقود مدرسة كبيرة سيكلف راتبه على الأقل ٥٠٠ دولار في السنة.

وكل هذا يعني أننا نتطلع إلى وجود مدرسة جيدة في المستقبل، كما نأمل أن نحصل على النقود التي نريدها للمدرسة.



طلاب عراقيون في مدرسة البصرة

وهناك أمر آخر ثبتت لنا مع التجربة أهميته، وهـو أن اتخاذنا لبيت الإرسالية مقراً للمدرسة هـو أمـر لا يمكـن استخدامه بشكل دائم، فلا يمن تسـيير مدرسـة فـي بيـت مستأجر، مهما كان هذا البيت. وفي فصل الصيف يجـب أن يكون لدينا طابق أرضي أو على الأقل غرف هادئـة لكـي نتمكن من الهروب من أوقات الحر القاسية في اليوم.



وفي الواقع فقد اجتزنا بعض تلك الصـعوبات، وقمنـا بحل كل المشكلات هذا الصيف بواسـطة انعقـاد حصـص الدراسة من السابعة صباحاً وحتى الثانية عشـرة ظهـراً، و لكن ذلك لن يعد ممكناً مع المدارس الكبيرة. إن ذلك يجب أن يحل أو يمكن أن يحل عندما يكون لنا بيتنا الخاص و مبنانـا المستقل و لكن ذلك مسألة أخرى.

هناك مدرسة أخرى تمت إدارتها لبضعة أشـهر العـام الماضي و هذا العام أيضا بواسطة السيدة الدكتورة "وورال" وقد قامت بهذه المهمة بجانب عملها في المستوصف. وهناك فتاة شابة تدعى "ياسمين" وهي مشغولة بالعمل وسط النساء، كما أنها تساعد السيدة "وورال" في فتح العيادة في الصباح و إقام الصلوات المسيحية.

و تأتي بعض الأمهات العراقيات بأطفالهن للمعالجة في المستوصف، و بعضهن الآخر يحضرن للبقاء بأطفالهن فـي مكان آمن، وهؤلاء الأطفال يجتمعون في صفوف المدرسة و غالباً ما يكون عددهم جيداً وحضورهم للصفوف معقـولاً و منتظماً.

و الدروس التي تعطى لهؤلاء الأطفال هي الإنجيـل و التعليم الشفهي و القراءة العربية و الحساب. وفيما بعد أصبح العمل وسط النساء واعداً وتقوم ياسمين بمهمة تنظيف البيت و رعايته.

و بجانب المدرسة فإن العمل وسط النساء الذي تقوم به السيدة "وورال" يقود إلى عمل ممتع و جيد وسط الأطفـال. فلديها الآن ثلاثة منازل أو مجموعة من المنازل منفصـلة و لكن سكنتها متلاصقون كجيران في نفس الحين حيث تقوم في أيام الأحد بتجميع الأطفال و تعلـيمهم الكتـاب المقـدس و التراتيل المسيحية المقدسة. كما أن الحضور عندها متنوع و متعدد إلى حد بعيد، ولكن نعدل الحضور في كل بيت يقـدر بحوالي ٥١ تلميذاً كل أحد.

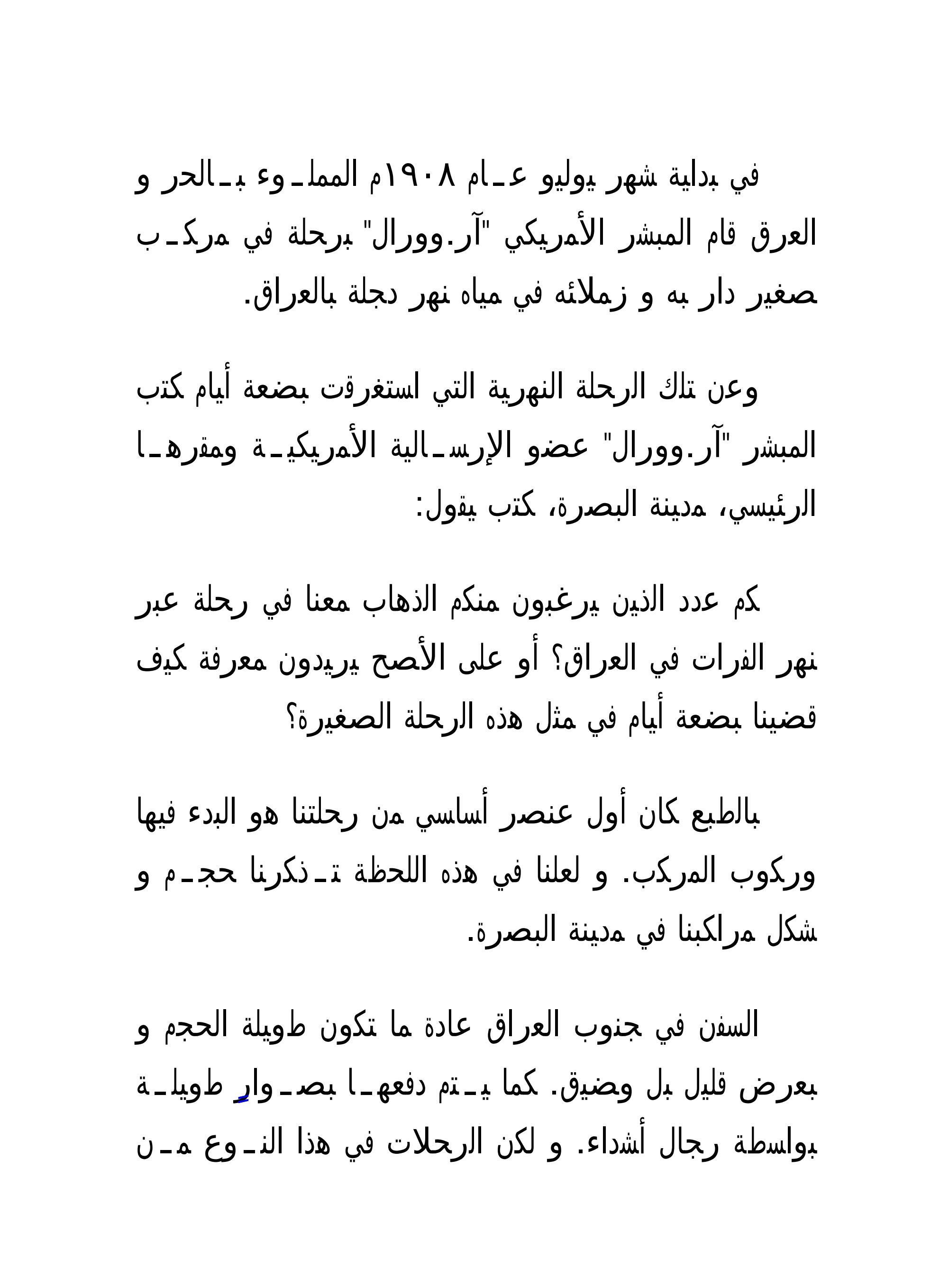
و مدارس الأحد تدار من قبل أعضاء من جماعتنا مـن أهل البلاد و البروتسـتانت و لـديها حصـص للإنجيـل و يحضرها الشباب عادة .

و بيوتنا هنا متسعة جداً، و تبدو ربـات المنـازل فـي العراق متقيدات كثيراً بالواجبات المنزلية، و يظهرن حريـة أقل في التخلص منها كما هو الحال في أمريكا.

إننا ندير المدارس هنا بواسطة عدد مختلف من البيوت بالتعاقب و هذا يعطينا أفضلية لكي نكون قريبين من النـاس هنا، غير أن الأهم هو أننا نؤمن بالتعليم فهو الذي سيزيد من أعداد المؤمنين الشباب بالمسيحية.

المبشر الأمريكي "آر.وورال" يطوف نهر دجلة عام ١٩٠٨م

رحلة تخلو من التبشير و الأناجيل!



في بداية شهر يوليو عـام ١٩٠٨م المملـوء بـالحر و العرق قام المبشر الأمريكي "آر.وورال" برحلة في مركـب صغير دار به و زملائه في مياه نهر دجلة بالعراق.

وعن تلك الرحلة النهرية التي استغرقت بضعة أيام كتب المبشر "آر.وورال" عضو الإرسـالية الأمريكيـة ومقرهـا الرئيسي، مدينة البصرة، كتب يقول:

كم عدد الذين يرغبون منكم الذهاب معنا في رحلة عبر نهر الفرات في العراق؟ أو على الأصح يريدون معرفة كيف قضينا بضعة أيام في مثل هذه الرحلة الصغيرة؟

بالطبع كان أول عنصر أساسي من رحلتنا هو البدء فيها وركوب المركب. و لعلنا في هذه اللحظة تـذكرنا حجـم و شكل مراكبنا في مدينة البصرة.

السفن في جنوب العراق عادة ما تكون طويلة الحجم و بعرض قليل بل وضيق. كما يـتم دفعهـا بصـوار طويلـة بواسطة رجال أشداء. و لكن الرحلات في هذا النـوع مـن

المراكب تكتفي بمعدل الرياح الـذي يكفيهـا أحيانـاً عنـاء الأشرعة.

وقبل يومين من بداية الرحلة كان لابد لنا من البحث و الاستفسار عن وسائل الأمان في المركب وعن بحارته طبعاً.

وبجانب هذه التحقيقات الصغيرة، نبحث عن المركـب المناسب. وقد نجحنا بعد بحث في الحصول علـى مركـب طويل وضيق، وهو بالقياس يبلغ ثلاثين قدماً طولاً و أربعـة أقدام عوارض خشبية عرضاً. و تقسم مساحة المركب إلـى ثلاثة أجزاء تتكون من المقدمة و منتصف المركب و الخلف.

و في الجزء الأوسط يمكن بالكاد أن يتسع المكان لنـوم شخصين جنباً إلى جنب، وعادة ما يغطي هذا الجـزء مـن المركب بالحصير المحلي الذي يوضع فوق قنطرة ممتدة.

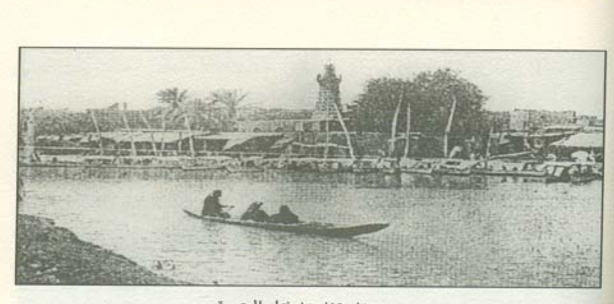
أما وسط القنطرة فيبلغ ارتفاعه أربعة أقدام تقريباً عـن قاع المركب. كما أن إطارات القنطرة موضوعة مع فـروع جذوع النخيل التي تم تشذيبها.

و الحصير الموجود على سطح المركب مصنوع مـن القصب أو من الشجيرات التي تنمو بوفرة في المسـتنقعات على جانبي نهر الفرات.

وظهر المركب مغطى بنفس النوع من الحصير، و فوق ذلك يوضع عليه سجاد من النوع الرخيص.

وفوق كل هذا، جلسنا أنا و زملائي في الرحلـة فـوق فراشنا، بينما وضعنا على طرف الفراش صناديق الثيـاب و الصناديق الأخرى التي قد نحتاجها في الرحلة.

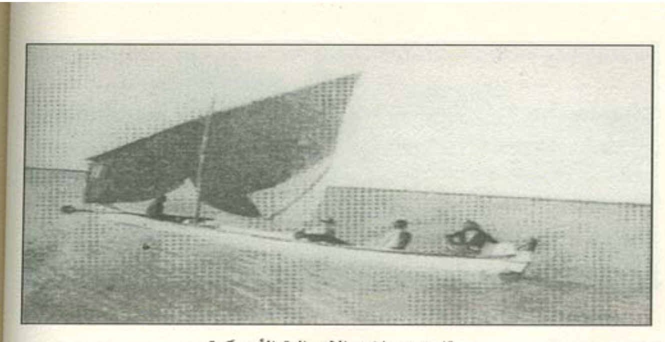
وعند مقدمة الفراش توضع عادة الصناديق و الأغراض الأخرى التي ستدعو الحاجة إليها في نهاية الرحلة.


مسجد عند مدخل البصرة

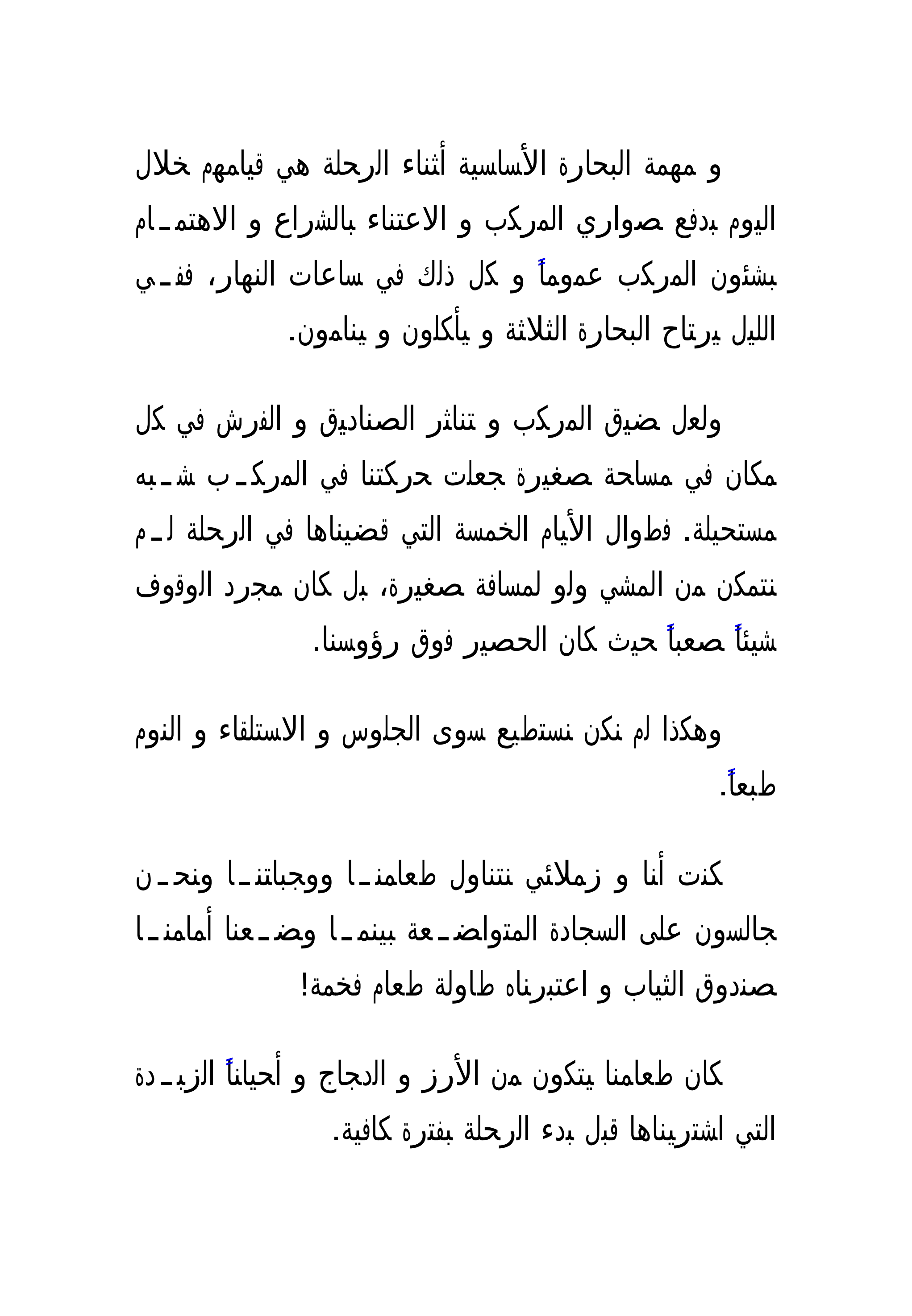
وعلى الطرف الآخر من المركب يجلس الخـدم الـذين يقومون بمهمة طبخ و إعداد الطعام لنا و للبحـارة. وطعـام المركب اليومي يتكون عادة من الأرز و الدجاج و البيض، و تشرب مع هذا الطعام القهوة و الشاي.

و يقوم الطباخون بمهمتهم الصعبة على ظهر المركـب عبر أدوات هامة. فهم مثلاً يقومـون بالتسـخين و الطـبخ بواسطة صندوق مملوء بالصلصال أو من الطين حيث يمكن إشعال النار للطبخ.

و بجانب هؤلاء يتسع المكان في مقدمة المركب للبحارة القليلين، للأكل و النوم.



قارب رحلات الإرسالية الأمريكية



و مهمة البحارة الأساسية أثناء الرحلة هي قيامهم خلال اليوم بدفع صواري المركب و الاعتناء بالشراع و الاهتمـام بشئون المركب عموماً و كل ذلك في ساعات النهار، ففـي الليل يرتاح البحارة الثلاثة و يأكلون و ينامون.

ولعل ضيق المركب و تناثر الصناديق و الفرش في كل مكان في مساحة صغيرة جعلت حركتنا في المركـب شـبه مستحيلة. فطوال الأيام الخمسة التي قضيناها في الرحلة لـم نتمكن من المشي ولو لمسافة صغيرة، بل كان مجرد الوقوف شيئاً صعباً حيث كان الحصير فوق رؤوسنا.

وهكذا لم نكن نستطيع سوى الجلوس و الاستلقاء و النوم طبعاً.

كنت أنا و زملائي نتناول طعامنـا ووجباتنـا ونحـن جالسون على السجادة المتواضـعة بينمـا وضـعنا أمامنـا صندوق الثياب و اعتبرناه طاولة طعام فخمة!

كان طعامنا يتكون من الأرز و الدجاج و أحياناً الزبـدة التي اشتريناها قبل بدء الرحلة بفترة كافية.

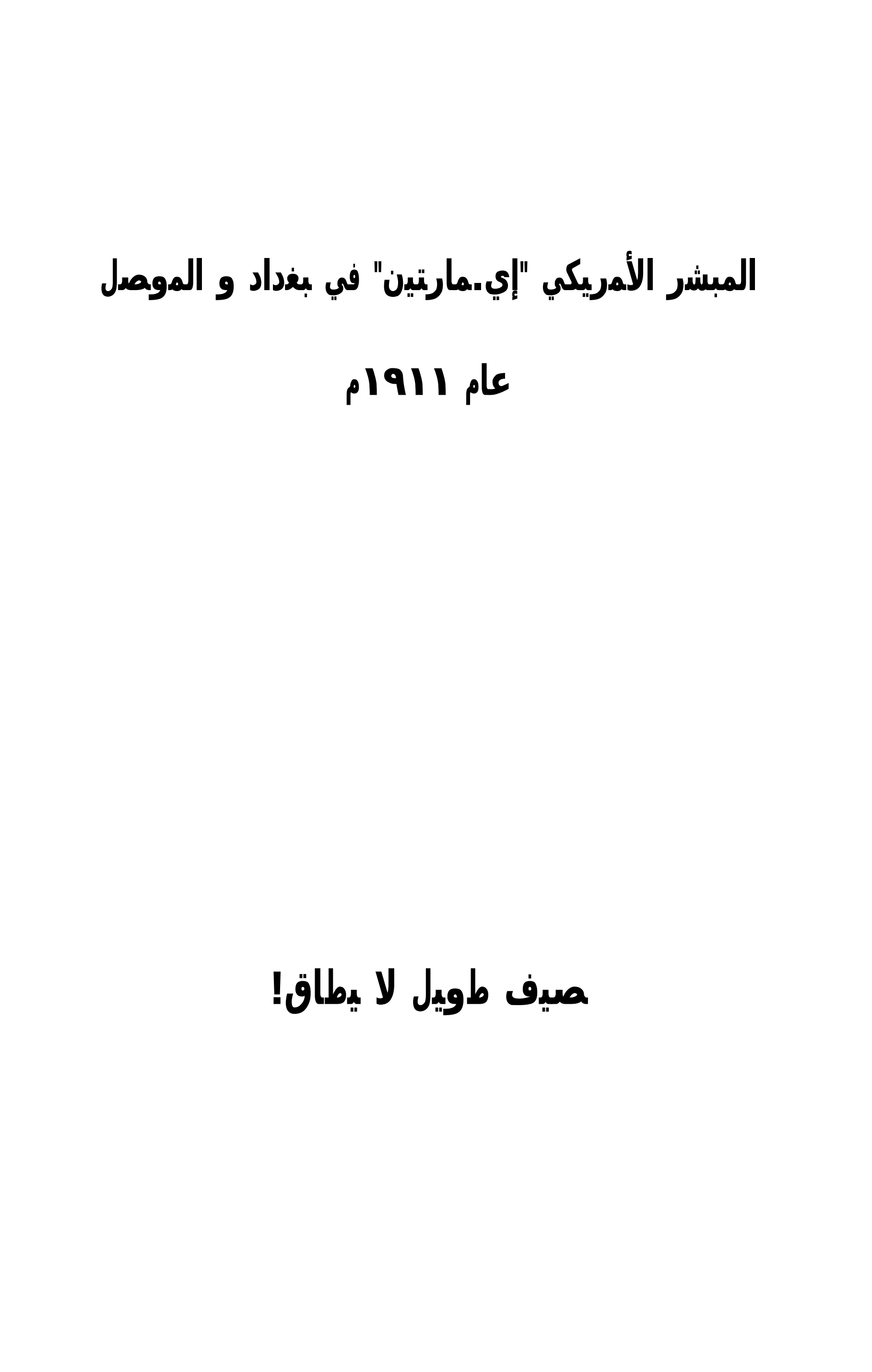
ولم يكن الحليب موجوداً إلا بكميـات محـدودة حيـث أحضرنا معنا كمية بسيطة منه كدسناها مع علـب الطعـام القليلة التي جلبناها في صناديقنا. لكننا لم نجاب معنا أي لحم سواء كان لحم الضأن أو لحم البقر، فقد كان غير مقبول على الإطلاق أكله في العراق خاصة ، أنه يستورد مـن ولايـة شيكاغو الأمريكية في علب حديدية.

أما الخبز فقد كان متوفراً بعض الشيء فقـد اشـترينا بعض الكميات منه في بداية الرحلة.

كما أن الشاي و القهوة كانت تصنع في الواقع من مـاء نهر دجلة العكر و غير النظيف و المملوء بالوحل.

وفي النهاية كان لا يقطع قراءتنا و أحاديثنا و تأملاتنـا الماضية من هذه الرحلة إلا الحزن الذي يظهر مـن دخـان النار من موقد الطباخين لجعلنا نطلق على ما مر بنا ماضـياً قد ذهب.

وإلى هذا الحد عشنا حياة بسيطة و جميلة لمدة خمسـة أيام على مياه نهر دجلة.



المبشر الأمريكي "إي.مارتين" في بغداد و الموصل

عام ١٩١١م

صيف طويل لا يطاق!

اشتغل المبشر الأمريكي "إيه. إم.مارتين" لأعوام طويلة بالعمل التبشيري في العراق.

ورغم تركز أشغال "مارتين" في مدينة بغداد في بدايـة القرن العشرين، إلا أنه كان دائم التجول برحلات تبشـيرية في بعض المدن و القرى العراقية.

و كتب المبشر "مارتين" عن أعمال التبشير في بغداد و الموصل في شهر أكتوبر عام ١٩١١م يقول:

أنشئت مدينتا بغداد و الموصل على نهر دجلة الشـهير في الجزء العربي من الإمبراطورية التركية الواسعة، و التي يطلق عليها عادة المناطق العربية الواقعة تحـت الاحـتلال التركي.

لقد كان عدد السكان في المدينتين حوالي ٢٠٠ ألـف، وفي إحصائيات أخيرة زاد السكان بـ ٣٠ ألـف نسـمة، و الأغلبية العظمى من هؤلاء السكان هم مسلمون.

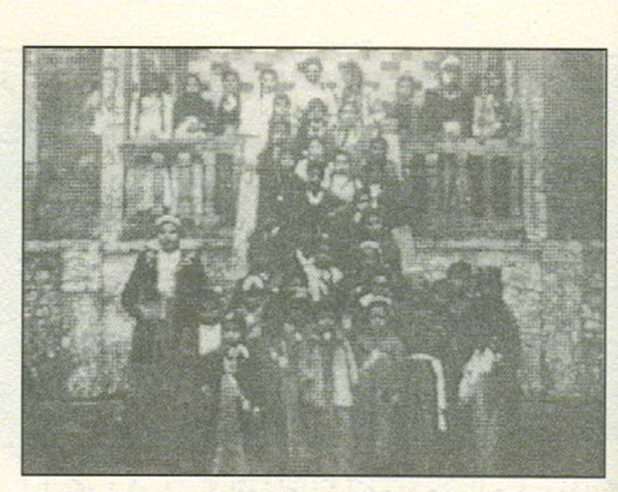
وقد افتتحت الإرسالية الأمريكية في بغداد قبل أكثر من ثلاثين عاماً، و تعد البعثة الطبية قوتها الرئيسية بـلا شـك. غير أن الإرسالية تعاني كثيراً اليـوم مـن مـوت وتقاعـد المبشرين. وبسبب الحاجة الكبيرة لهم في هذا المكـان فإنـه يجري دائماً إغراؤهم بالبقاء، و عادة ما يسـبب لهـم ذلـك انهياراً صحياً.

و المؤكد أن مدينة بغداد مدينة معروفة جيـداً للجميـع بحيث إنها لا تحتاج إلى وصف.

و في الوقت الحاضر فإن الإرسالية في بغداد تتألف من الطبيب جونسون وزوجته، والطبيب ستانلي و الطبيبة إليانور هيل، والممرضة أندريستون وبونير التـي التحقـت لتوهـا بالعمل في شهر فبراير الماضي. و لا جدال في أن الإرسالية تعاني ضعفاً على الجانب التبشيري. فلا يوجـد أحـد مـن الأطباء القدامى ظل مدة كافية في العراق ليتمكن من إتقـان اللغة العربية، باستثناء الطبيب جونسون و زوجتـه. بـل إن المشكلة صارت أيضاً في صعوبة الحصول علـى عراقـي ترتاح الإرسالية إليه.

وعلى صعيد مباني الإرسالية فالأوضاع فيها أفضل نوعاً ما. فقد تم مؤخراً شراء قطعة أرض في بغداد من أجل بناء المستشفى و بيوت العاملين في الحقل الطبي. و من المؤكد أن هذا العمل سيستمر بمجرد جمع المال المطلوب لذلك.

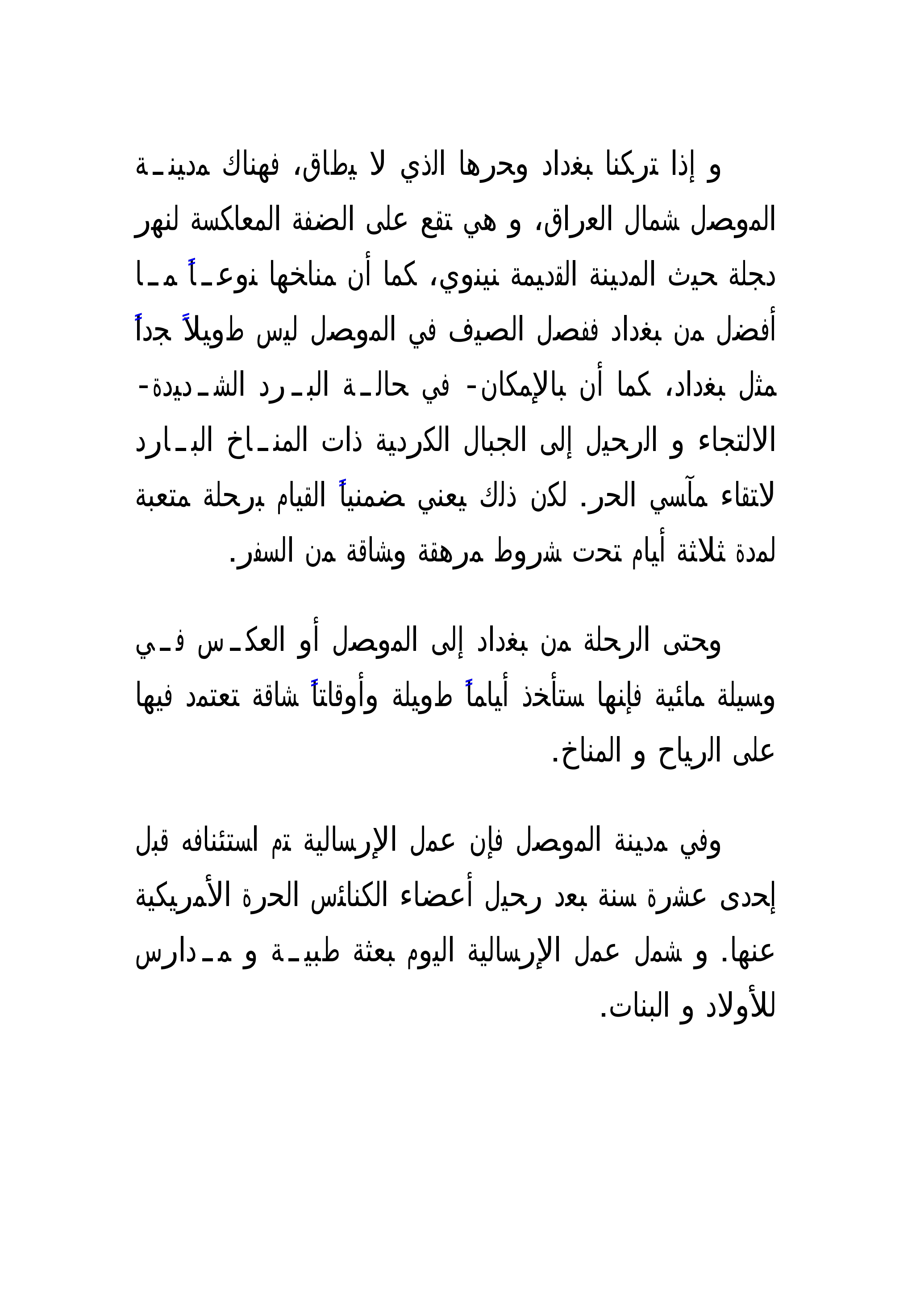
ولعل الأسباب التي دعت الإرسالية إلى الإسراع في تشييد مبان خاصة بها تبدو مقنعة جداً. فالمباني التي تمارس فيها الإرسالية أعمالها حالياً بائسة و في أوضاع صعبة جداً. فالبيت الذي نستأجره حالياً للمستشفى مثلاً يقع في وسط شارع ضيق جداً ومحاط بأبنية و بيوت كثيرة ملاصقة له. و يسبب هذا الأمر صعوبات بالنسبة للمرضى و العاملين، بل إن البيت بوضعه الحالي يحدث ضغطاً شديداً على قوتهم و طاقتهم في العمل.



تلميذات في مدرسة الموصل

ويزيد الحر صعوبة عملنا، ففصل الصيف في بغـداد و العراق عموماً يزيد على ستة شهور. و بسبب هذا الحر فإن جولاتنا و أسفارنا تصبح مستحيلة طوال تلك الأشهر. و ليس أمامنا سوى انتظار نهاية شهر سبتمبر حيـث يضـع الحـر أوزاره.

ومع حر بغداد اللاهب يوجد عنـدنا طـلاب مدرسـة الإرسالية الطيبون الذين يبلغ عددهم حوالي ثمـانين تلميـذاً، علاوة على تجمع بروتستانتي صغير.



و إذا تركنا بغداد وحرها الذي لا يطاق، فهناك مدينـة الموصل شمال العراق، و هي تقع على الضفة المعاكسة لنهر دجلة حيث المدينة القديمة نينوي، كما أن مناخها نوعـاً مـا أفضل من بغداد ففصل الصيف في الموصل ليس طويلاً جداً مثل بغداد، كما أن بالإمكان- في حالـة البـرد الشـديدة- الالتجاء و الرحيل إلى الجبال الكردية ذات المنـاخ البـارد لاتقاء مآسي الحر. لكن ذلك يعني ضمنياً القيام برحلة متعبة لمدة ثلاثة أيام تحت شروط مرهقة وشاقة من السفر.

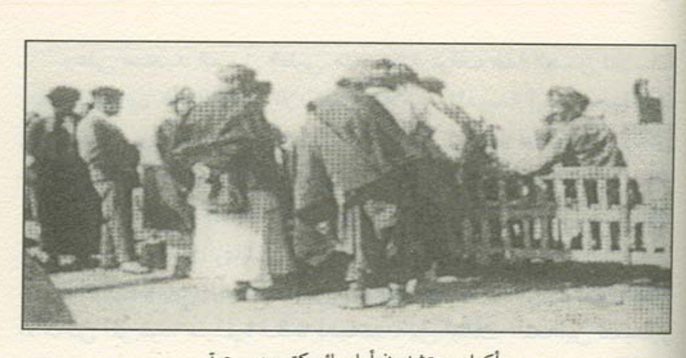
وحتى الرحلة من بغداد إلى الموصل أو العكـس فـي وسيلة مائية فإنها ستأخذ أياماً طويلة وأوقاتاً شاقة تعتمد فيها على الرياح و المناخ.

وفي مدينة الموصل فإن عمل الإرسالية تم استئنافه قبل إحدى عشرة سنة بعد رحيل أعضاء الكنائس الحرة الأمريكية عنها. و شمل عمل الإرسالية اليوم بعثة طبيـة و مـدارس للأولاد و البنات.

أما مكتبة التبشير الواقعة في شارع مزدحم بالموصـل، فقد كان المسئول عنها رجل عمره ما بين الستين و السبعين عاماً و يلبس عادة ثياباً شرقية فضفاضة.

ومكتبة التبشير في الموصل تلاقي إقبالاً جيداً. و جميع من يقصدونها هم مـن العـرب و الأتـراك و الأكـراد و النسطوريين، و يتم الترحيب بهم بنفس لغتهم.

و عادة ما يأتي المسلمون إلى المحل ليس للشراء و لكن لقراءة الكتب المسيحية و خاصة الكتاب المقدس، وهم عـادة يأتون خفية مبتعدين عن العيون الفضولية و المراقبة المريبة من قبل أسرهم و أصدقائهم.



أكراد يحتشدون أمام بائع كتب مسيحية

و بسبب انتشار التعليم فإن القراء يزدادون هنـا. وقـد أصبحت للصحف قوة في هذه البلاد، ويجب علينا استخدامها لنشر الآداب و الثقافة المسيحية.

إن مصادر تزويدنا الرئيسية بالمطبوعات المسيحية تأتي من مطابعنا في القاهرة و بيروت.

و إذا أعطانا ا   الوسيلة والقوة، فإنه يجب علينا أن نقيم غرفة مطالعة و مكتبة لإعارة الكتب، لأن المحل صغير جداً و لا يتسع لزائرين كثيرين.

وفي الماضي لم نكن نجرؤ علـى توزيـع الكراسـات المسيحية خارج المحل، و لكن مع مجيء النظام الجديد فـي تركيا فإن أشياء كثيرة تغيرت و أصبحت لا توجد الآن أيـة عوائق في نشر الثقافة و الآداب المسيحية.

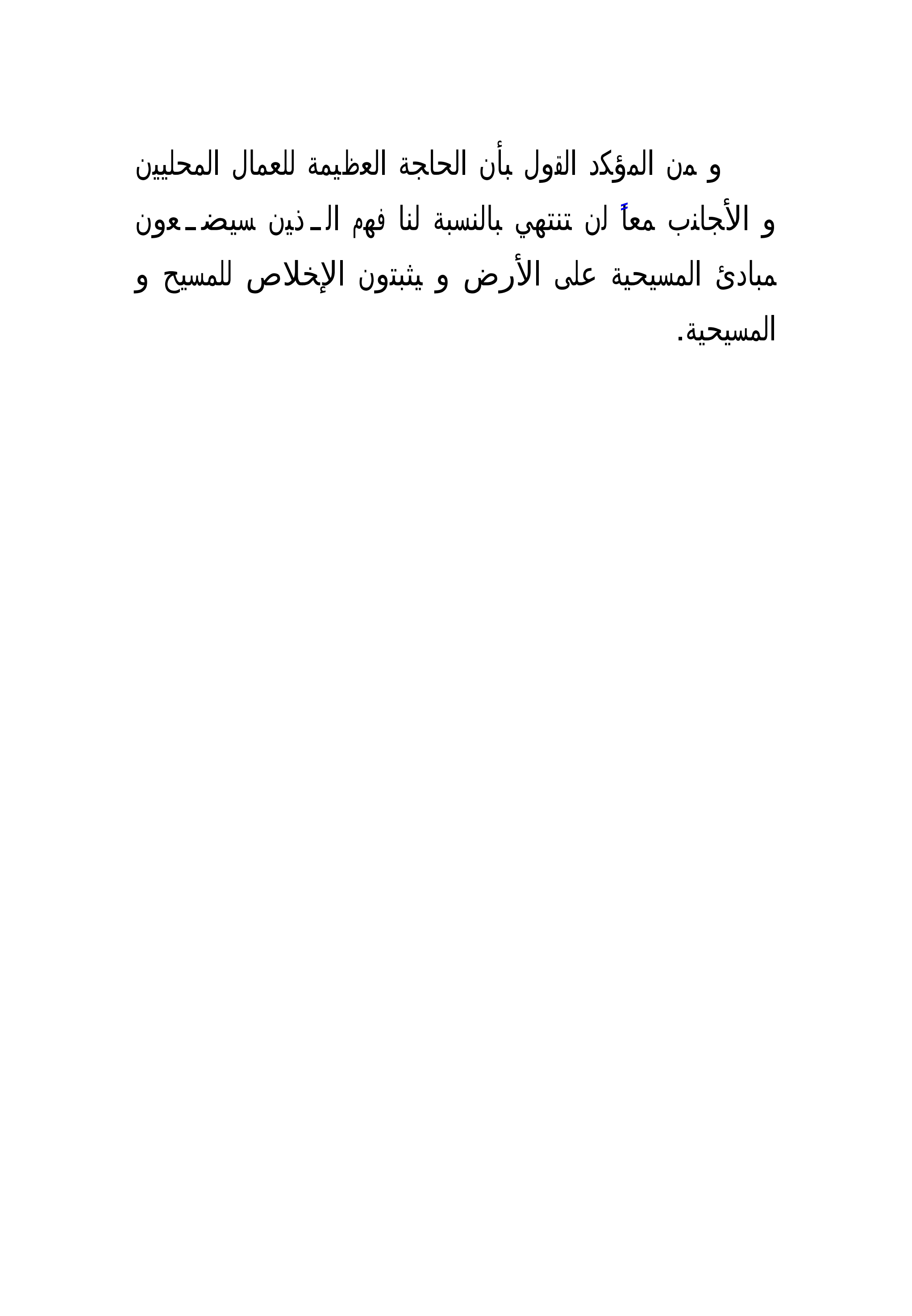
إننا ندعو و نصلي لهؤلاء العاملين الذين يوزعون كتب المسيح و لهؤلاء الذين يقرءونها و نقول: ربنا احفظ و بارك زرعنا في الجذور.

وعلى صعيد العمل الطبي هنا، فقد توقف هـذا العمـل للأسف بسبب غياب الأطباء الإنكليز. تلاميذ المدرسة أيضـاً يحتاجون إلى دعم أقوى، فالمدرسة الابتدائية الحالية لم يـتم توسعتها، و لكن المدرسة الثانوية تم افتتاحها بالمقابل.

و بينما جميع الطبقات في الموصل تبحث عن التعلـيم، فهناك فرصة معروضة لنا ربما لن تحدث مرة أخرى حيـث علينا استغلال بعض الأمكنة في افتتـاح مـدارس مسـيحية جديدة و جيدة. فهذه الأماكن الموجودة سيتم أخذها بالتأكيـد من أولئك المعادين للتبشير و المسيحية.

وفي مدرسة البنات فإن أعداد التلميذات تتراوح ما بين مائة إلى مائة و خمسين فتاة. وحوالي ثلث الفتيات هن مـن المسلمات.

إننا نحاول في الوقت الحاضر تلبيـة كـل الحاجـات التعليمية للإناث هنا. و لعل الأكثر أهمية هو توفير مدرسين مسيحيين و مدرّبين جيداً.



و من المؤكد القول بأن الحاجة العظيمة للعمال المحليين و الأجانب معاً لن تنتهي بالنسبة لنا فهم الـذين سيضـعون مبادئ المسيحية على الأرض و يثبتون الإخلاص للمسيح و المسيحية.

المبشر الأمريكي "أدوين. كاليفري" يبشر في العمارة عام ١٩١١م

تبشير تطارده المشكلات و اللعنات!

انتهى الاجتماع الدوري للإرسالية الأمريكية الذي عقد في شهر نوفمبر من عام ١٩١٠م بالبحرين بقرار هام و هو اعتبار مدينة العمارة سادس محطة نظامية للإرسالية في العراق. كما تم تعيين مبشر للإقامة في المدينة و التبشير بين أهلها.

و لم يكد ينتهي الاجتماع حتى كان المبشر الأمريكي المعروف "أدوين.كاليفري" يحزم أمتعته في مدينة البصرة و يبدأ رحلة إلى العمارة في بداية عام ١٩١١م. كتب عنها يقول:

تقع مدينة العمارة على الضفة الغربية لنهر دجلة الشهير، و يمكن الوصول إلى المدينة عبر رحلة تمتد عدة أيام بواسطة مركب بخاري من مدينة البصرة.

و يعد السفر النهري في الوقت الحالي أفضل طريقة للذهاب إلى الناصرية عبر الفرات فهو السبيل الأفضل و الطريق المنتظم للسفن و المراكب البخارية التي تُجري المواصلات المناسبة بين المدينتين العمارة و البصرة.

لقد تأسست العمارة عام ١٨٦١م كمرفأ معـد لتزويـد السفن بالفحم الحجري، ثم نمت المدينة تدريجياً و أصـبحت مركزاً تجارياً نشطاً.

و تقع المدينة في وسط حدائق من النخيل و حقول مـن القمح و الحبوب الأخرى. و عدد سكان المدينة كان في عام ١٨٩٥م قد وصل إلى ٩,٥٠٠ شخص. و كان مـن بيـنهم حوالي ألف شخص من طائفة الصابئة و ٦٠٠ شخص مـن الكاثوليك الكلدانيين و الأمريكان و اللاتين.

و في الوقت الحاضر لا يوجد سوى عشـرين عائلـة مسيحية هنا هم أعضاء الإرسالية البروتستانت.

كما أن العرب و الفرس و الموظفين و الجنود الأتراك يشكلون غالبية سكان العمارة. و لكن الصـابئة المعـروفين بأنهم يعبدون النهرين ليسوا أقل أهمية.

و هؤلاء مشهورون بسبب ديانتهم المركبـة و بسـبب مهارتهم في أعمال الذهب و الفضة، و ديانة الصـابئة هـي مزيج من الزرادشتية و اليهودية و المسيحية.

و لعل صعوبة إقناع السكان الصابئة بترك دينهم تشبه بالضبط صعوبة الحصول منهم على أسرار العمل في الفضيات!

وقد أرست الإرسالية علاقات قوية مع أهالي مدينة العمارة منذ الأيام الأولى. فقد انتبه الدكتور جيمس كانتين بعناية إلى هذا المكان عندما قام برحلة مبكرة إليها من بغداد عام ١٨٩٢م ثم أرسل إلى المدينة في صيف العام الذي تلاه موزعاً للكتب و معه نسخ من الكتب المقدسة.



المبشر أدوين كاليفري

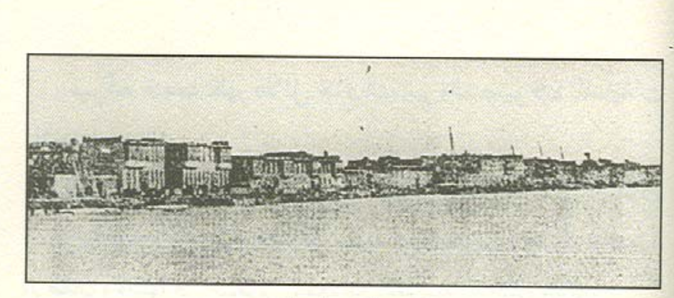
اقترح الدكتور كانتين مدينة العمارة كمكان يمكن لموزع كتب جيد أن يستفيد منه لبعض الوقت للتبشير و في فتح مكتبة لبيع الكتب المقدسة و تهيئته كطريق لمبشرين آخرين.

و بالرغم من أن تلك الأفكار و المشاريع لم تنفذ كاملة إلا في العام الماضي، إلا أنها كانت من أفضل الاقتراحات للتبشير و لبيع الكتب المقدسة و التي أدت إلى توسعة عملنا في المدينة و جعلتنا في اتصال بالناس هنا.

وفي عام ١٨٩٥م افتتحنا مكتبة التبشير في العمارة بدون معارضة في البداية، و لكنها أغلقت فيما بعد و تم بيعها من قبل الحكومة التركية عندما سرت شائعات حول أن البروتستانت ينوون تثبيت أنفسهم هنا بصورة دائمة! و لكن تم إعادة افتتاح المكتبة بعد تدخل عاجل من القنصلية الأمريكية في بغداد، كما عادت الكتب التي احتجزت سابقاً في مبنى الجمارك، و تم بيع ١٢٢ كتاباً في الثلاثة الأشهر الثلاثة التي تلت ذلك.

و بالطبع فإن عمل الإرسالية في مدينة العمارة يواجهه الكثير من العقبات و الصعوبات.

وفي عام ١٨٩٦م غادر موزع الكتب العمارة بسـبب القبض عليه أثناء الصلاة و التحقيق معه و التهديـد بسـجنه كما أمر موزع كتب آخر بمغادرة المدينة بسبب سوء سلوكه.



منظر من العمارة

وفي عام ١٩٠٣م احترقت مكتبتنا و دمرت بالكامـل و كانت تحتوي وقتها على حوالي ٤٠٠ نسـخة مـن الكتـاب المقدس و بعض الكتب التعليمية و ذلك ضمن حريق ضـخم دمر أكثر من ١٦٥ دكاناً في سوق العمارة.

كانت الخسارة الكبرى لمكتبة التبشير المحترقة تكمن في أنها رعت عدداً كبيراً ومتنوعاً من موزعي الكتب المسيحية في المنطقة.

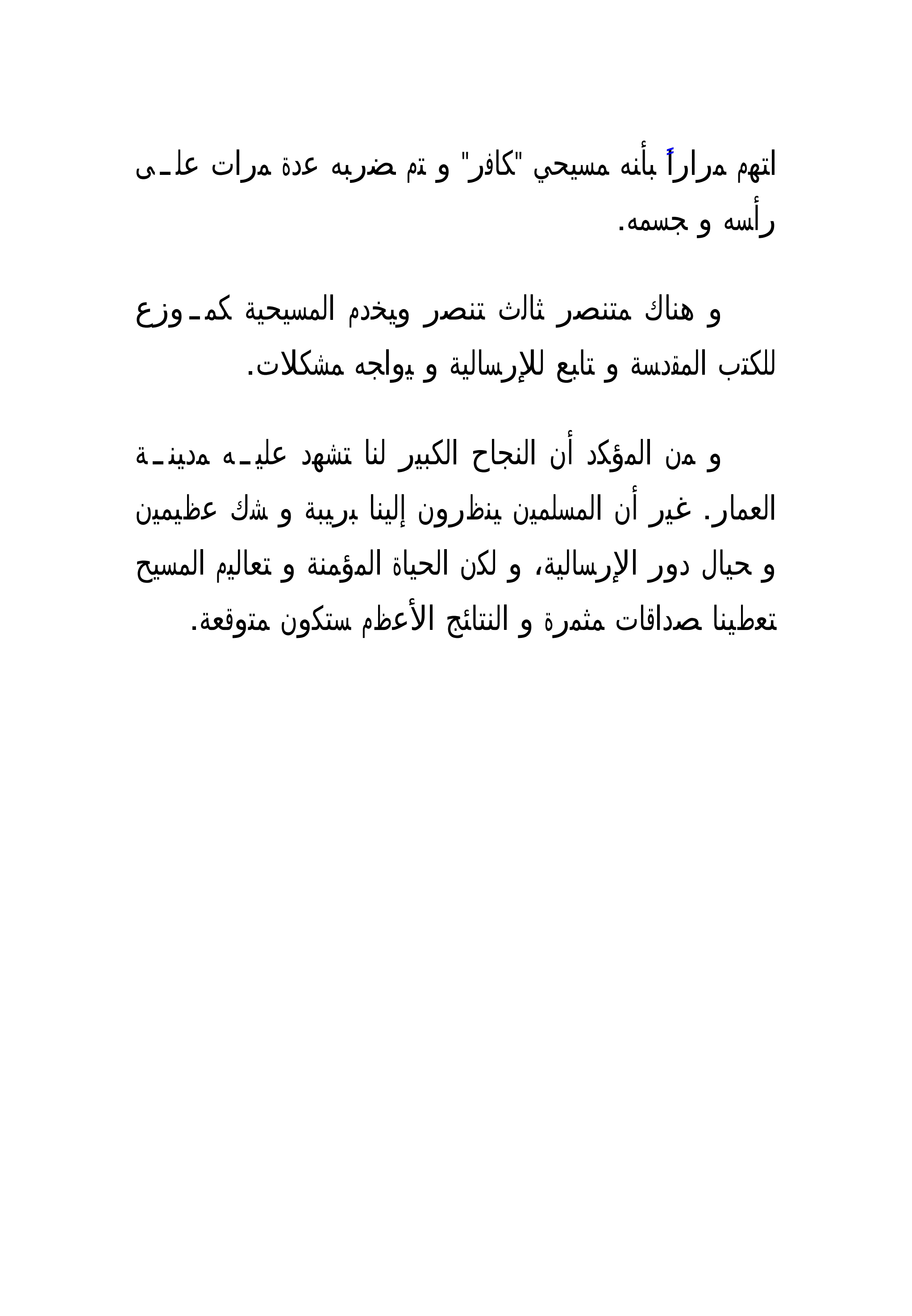
فواحد من هؤلاء الموزعين كان لديه المقـدرة لوحـدة على إقناع ثمانية أو ربما أكثر مـن المسـلمين بالحضـور للصلاة المسيحية اليومية معه.

وفي الوقت نفسه، كان أطباء الإرسالية فـي العمـارة يقومون بمزاولة أعمـال التطبيـب فـي المستوصـف، و استطاعوا بواسطة ذلك الحصول علـى متنصـرين جـدد معتنقين للمسيحية، و كسب العديد من الأصدقاء في العمـارة لمصالح الإرسالية.

غير أنه عندما تظهر دلائل نجاح التبشـير و التنصـير فإن المضايقات تلاحقنا بعدها.

فقد تم طرد أحد المتنصرين من المدينة مع عائلته التي اضطرت للسفر و العيش كلاجئـين عنـد الإرسـالية فـي البحرين. وهناك تم تعميد الأطفال و عاشوا فـي البحـرين كمعتنقين للمسيحية حتى وفاتهم.

وفي حالة أخرى فإن أحد المتنصرين الذي كان قد سمح له بإقامة صلواته المسيحية بينما هو يعمل في مزارع النخيل



اتهم مراراً بأنه مسيحي "كافر" و تم ضربه عدة مرات على رأسه و جسمه.

و هناك متنصر ثالث تنصر ويخدم المسيحية كموزع للكتب المقدسة و تابع للإرسالية و يواجه مشكلات.

و من المؤكد أن النجاح الكبير لنا تشهد عليه مدينة العمار. غير أن المسلمين ينظرون إلينا بريبة و شك عظيمين و حيال دور الإرسالية، و لكن الحياة المؤمنة و تعاليم المسيح تعطينا صداقات مثمرة و النتائج الأعظم ستكون متوقعة.

المبشر الأمريكي "جيمس كانتين" في بغداد عام ١٩٢٤م

تغيرات كثيرة بانتظارنا!

لم يترك المبشر الأمريكـي الشـهير وأحـد زعمـاء الإرسالية الأمريكية "جيمس كانتين" مدينة في منطقة الخليج و الجزيرة إلا وزارها و تعرف على أحوال أهلها. فمنذ عـام ١٨٩٢م و"كانتين" و رفيقه "صموئيل زويمر" فـي رحـلات تبشيرية لا تهدأ، تستكشف أحياناً و توزع كراريس المسيحية أحياناً أخرى و تعقد صفقات و اجتماعات هنا و هناك.

ولكن مع بداية العشرينيات من القرن العشرين اسـتقر "كانتين" لبعض الوقت في العراق.

وفي شهر يونيو ١٩٢٤م كتب عن التغيرات التي حدثت في العاصمة بغداد خلال السنوات القليلة الماضية، فقال:

لعل الإجابة على السؤال التقليدي: هـل لاحظـت أيـة تغيرات في بغداد منذ عودتك من الإجازة؟ ستكون بلا شـك هي بداية جديدة لهذه الرسالة.

و لعل أولى المسائل التي تخطر على البال بالنسبة للقادم الجديد هي توفر المزيد من بيوت السكن، و أن الإيجـارات أصبحت نتيجة لذلك أرخص.

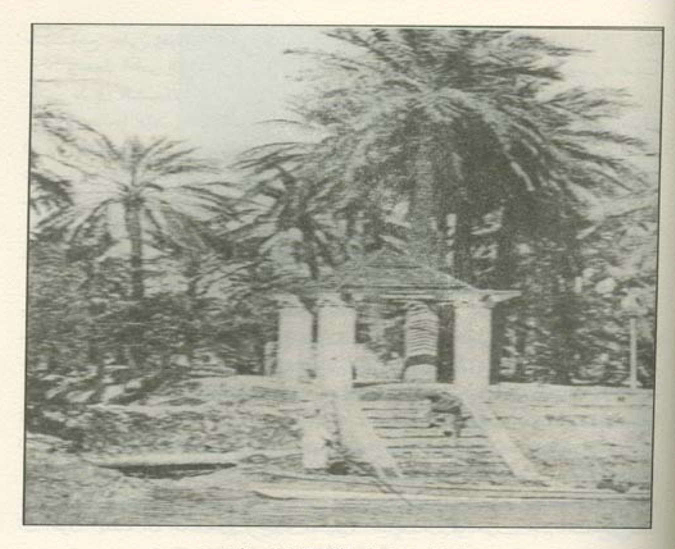
إنني أتذكر مدى تعبي الشديد و المشقة الكبيرة التي كنت أبذلها أثناء البحث عن بيت مناسب عندما جئت للإقامة لأول مرة في بغداد، عندما أتذكر ذلك فالإنسان يشكر ا لسـماعه أن بيتاً جيداً يقع على النهر، وفي موقع جيد وسـط المدينـة يؤجر الآن بسعر ثلاثين سنتاً و هو أقل سـعر منـذ عـام ١٩٢٠م.

وربما يكون هذا بسـبب الواقـع السياسـي الجديـد، فالكثيرون من طبقة المسئولين الإنكليز يعيشون الآن خـارج المدينة وفي بيوت بنيت حديثاً. أيضاً مما يدعو للأسـف أن يترك الكساد في الأعمال جميع الساكنين ينفقون أموالهم على أي هدف أو غاية.

وهذا الكساد ربما يفسر بواسطة التأثير المتوقع للحرب العالمية الماضية، وأيضاً للحالة السياسية غير المستقرة فـي العراق. وهذه ربما تشجع على مشاريع و مبادرات جديـدة عندما يتم الانسحاب التدريجي للقوات الأجنبية العسكرية، و التي تسحب معها الإنفاق المحلي الكبير الذي تقوم به.

ولكنني لا أدري لماذا لا يستطيع الإنسان توقـع نمـو الازدهار في العراق رغم أنه يمكن ذلك عن طريق تنظـيم مفيد لمسائل مثل إقامة علاقات ثابتة بـين العـراق و بـين بريطانيا وبقية دول العالم و تحكيم الخلافات مع تركيا التـي تحتل الموصل المدينة الرئيسية في الشمال التي توجـد بهـا حقول النفط الغنية.

وفي الواقع يوجد هناك الكثير من الحقائق و الأدلة التي يمكن أن تساعد على هذا الإنجاز.


مدخل مستشفى الإرسالية في البصرة

وواحدة من هذه الأشياء هي توسعة السكك الحديدية في العراق، فهناك خط سكة جديد فرعي بني مؤخراً إلى كربلاء سيشجع على إقبال أهالي فارس سلفاً على الحج إلى هناك.

وخط آخر إلى كركوك يمكن أن يكون شريطاً خصباً و مزدحما على طرق الشمال الشرقي على الحدود الفارسية.

وبعدها يمكن أن يكون هناك نمـو تـدريجي للمنـاطق المروية على طول النهـر و القنـوات و إنتـاج القطـن و الحبوب. و هذا الشيء يقود بالطبع إلـى تحسـين مسـتوى المعيشة الذي سينقل الناس حتماً إلى الحياة العصرية، و الذي لا يمكن أن يتم إلا بالصناعة الثقيلة و يحقق تغيراً كبيراً بعد قرون من الكسل و البلادة و عدم المبالاة.

وعودة للمسائل السياسية، فإنه من المؤكـد أن النـاس صاروا يتحدثون عن هذه القضايا أكثر بكثير عما كان عندما كنت موجوداً معهم قبل سنوات. و الواقع أنني كنت أشـارك العراقيين في التعليق على الأحداث السياسية فقط، فلم تكـن لدي رغبة أكثر من ذلك.

فمن ناحية فقد كنت غير مهتم كثيراً بالسياسة المحلية، و ثانياً لأنني أعتقد بأن تدخل السياسة سيكون عملاً غير مفيـد بالنسبة لنجاح العمل التبشيري الخاص بالإرسالية الأمريكيـة في العراق.

و بالعودة إلى تلك الأشياء الأكثـر حيويـة و أهميـة للإرسالية، فإنه يمكنني أن أقول إن هناك تغيراً في وجهـه نظر الإسلام العامة. و يمكن أن أقول أيضاً إن هذا من وجهة نظري الخاصة. فالعرب هم أساساً أمة متدينة. و مهما يكـن القول عن الأتراك أو غيرهم، فإن مشاعر و عقول العرب لا تسمح لهم بأن يكونوا ملحدين أبداً.



المبشر جيمس كانتين .

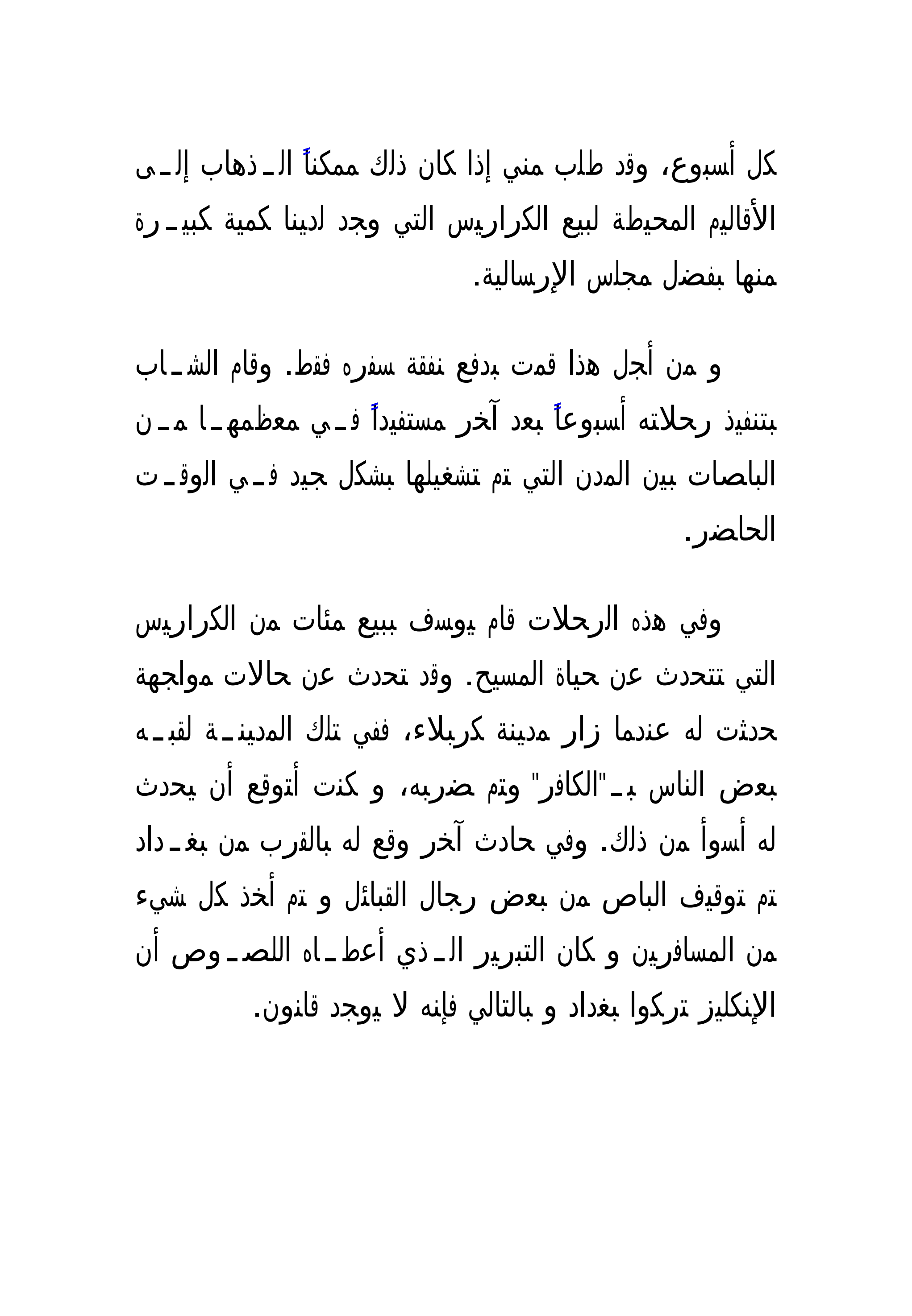
ولكن يبدو أنني سأغير هذا الرأي الذي اقتنعت به لفترة طويلة، فمن المحزن سماع أن بعض أصـدقائي المسـلمين فجعوا في حقيقة أن أبناءهم كبروا بدون إيمان با .

وفي بغداد اعتاد زوار على طرق بابي، فواحد منهم هو شخص لطيف و كبير في السن. و يتذكر اهتمامه بنـا منـذ معرفتي لبيتر زويمر في مسقط قبل عشرين سـنة. و آخـر كان قد وضع في السجن قبل عشرين سنة بسـبب زيارتـه للإرسالية هنا في بغداد.

و هذا الرجل كان يحب دائماً التحدث عن المسيح و عن إنسانيته وقدسيته.

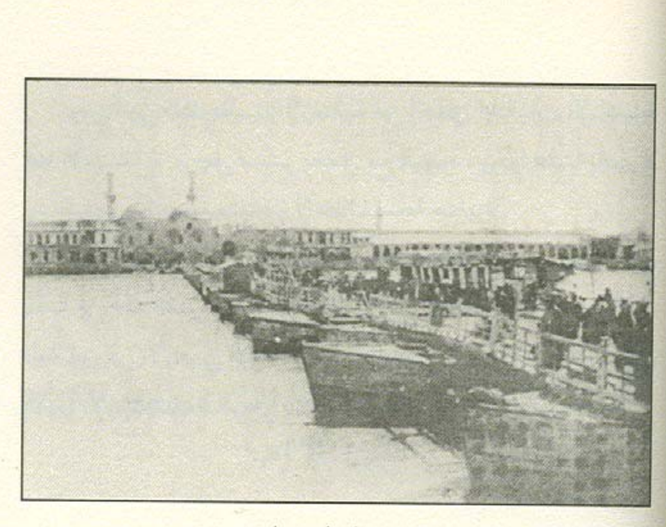
وهناك شابان حيويان يكرسان دراستهما للإنجيل معـي حتى ابتعدا عنا بسبب البحث عن الرزق، فذهب الأول قرب الحدود الفارسية و الآخر إلى مدن الفرات.

وفي لقائي مع هؤلاء الناس أحاول تركيز اهتمامهم على حياة و دراسة المسيح كما هو في الإنجيـل، فيوسـف بقـي مخلصاً في عمله، ووظيفته أعطته يومين أو ثلاثة من الراحة


كل أسبوع، وقد طلب مني إذا كان ذلك ممكناً الـذهاب إلـى الأقاليم المحيطة لبيع الكراريس التي وجد لدينا كمية كبيـرة منها بفضل مجالس الإرسالية.

و من أجل هذا قمت بدفع نفقة سفره فقط. وقام الشـاب بتنفيذ رحلاته أسبوعاً بعد آخر مستفيداً فـي معظمهـا مـن الباصات بين المدن التي تم تشغيلها بشكل جيد فـي الوقـت الحاضر.

وفي هذه الرحلات قام يوسف ببيع مئات من الكراريس التي تتحدث عن حياة المسيح. وقد تحدث عن حالات مواجهة حدثت له عندما زار مدينة كربلاء، ففي تلك المدينـة لقبـه بعض الناس بـ"الكافر" وتم ضربه، و كنت أتوقع أن يحدث له أسوأ من ذلك. وفي حادث آخر وقع له بالقرب من بغـداد تم توقيف الباص من بعض رجال القبائل و تم أخذ كل شيء من المسافرين و كان التبرير الـذي أعطـاه اللصـوص أن الإنكليز تركوا بغداد و بالتالي فإنه لا يوجد قانون.



جسر عائم في بغداد

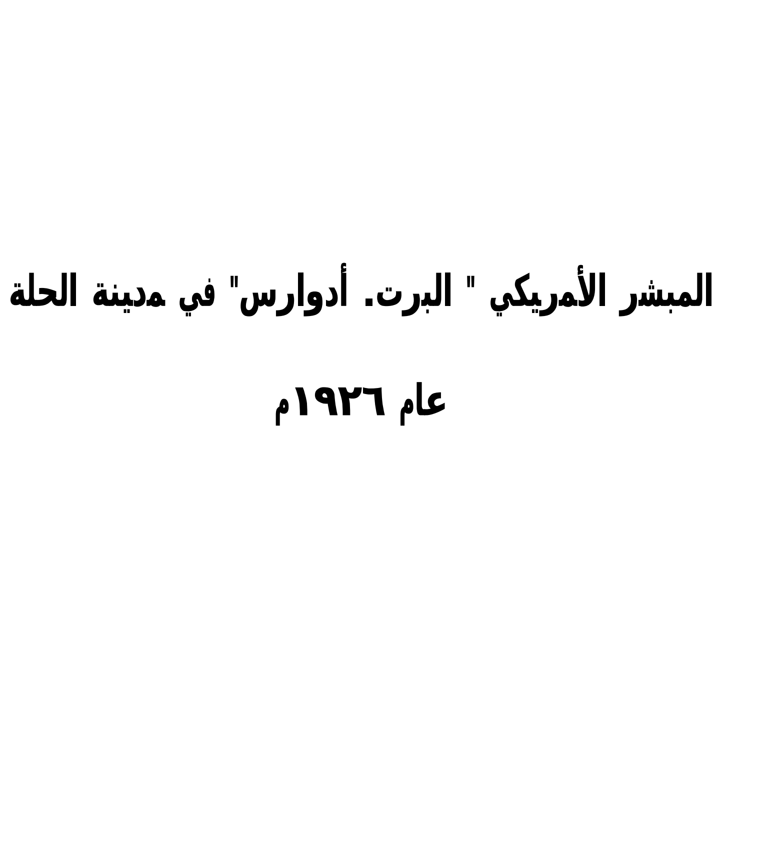
وفي حالات أخرى وجدنا أنفسنا أمام رجلـين أحـدهما عربي و الآخر فارسي، وكان الرجلان كلاهما يحتلان مرتبة رفيعة و متعلمين، لقد جاء الاثنان و قالا بأن المسيحية لديهما متفوقة على الإسلام، وإنهما يرغبان في مساعدتنا لهم بالسفر لبعض البلدان حيث يمكن الحصول على بعض الحرية!

وفي الأيام الأخيرة كان هناك عنصر جديد في عملنـا وهو اتصالنا مع اليهود، فقد جاء بعض الرجال لأخذ بعـض

النصائح مثل كيف يصبحون مسيحيين، و بسـبب أنهـم لا يمتلكون سوى تحقيق هذه الرغبة فقد أوضحت لهم الأنظمة و القوانين التي تطبقها الحكومة حول تلك المسائل.

ومن أجل ذلك طلبت الإرسالية من إحـدى الجاليـات الإنكليزية هنا الاستعانة برجل مبشر يعمل مع اليهود. وردوا علينا بأنهم لا يستطيعون و لكنهم مستعدون لإعطائنا منحـة صغيرة.

و بخصوص أعضاء الإرسالية في بغداد فقد تم تنظـيم اجتماعات هامة في هذه الفترة على مرحلتين الأولى كانـت المؤتمر الديني الأول للعاملين في الأراضي الإسلامية. أمـا الثاني فكان الاجتماع الدوري الأول لإرساليتنا.



المبشر الأمريكي " البرت. أدوارس" في مدينة الحلة

عام ١٩٢٦م

مقاهٍ تشرب الشاي و تقرأ الإنجيل!

في بدايات عام ١٩٢٦م وصل إلى مدينة "الحلة" بجنوب العراق المبشر الأمريكـي "إلبـرت. ج. أدوارس" عضـو الإرسالية التبشيرية المتحدة الأمريكية.

و لم تمض أيام على تواجده في المدينة حتى اكتشف أن مقاهي الحلة الكثيرة الممتلئة بالرواد و المشبعة بروائح الهال و القهوة، هي أفضل مكان للقيام بالتبشير المسيحي!

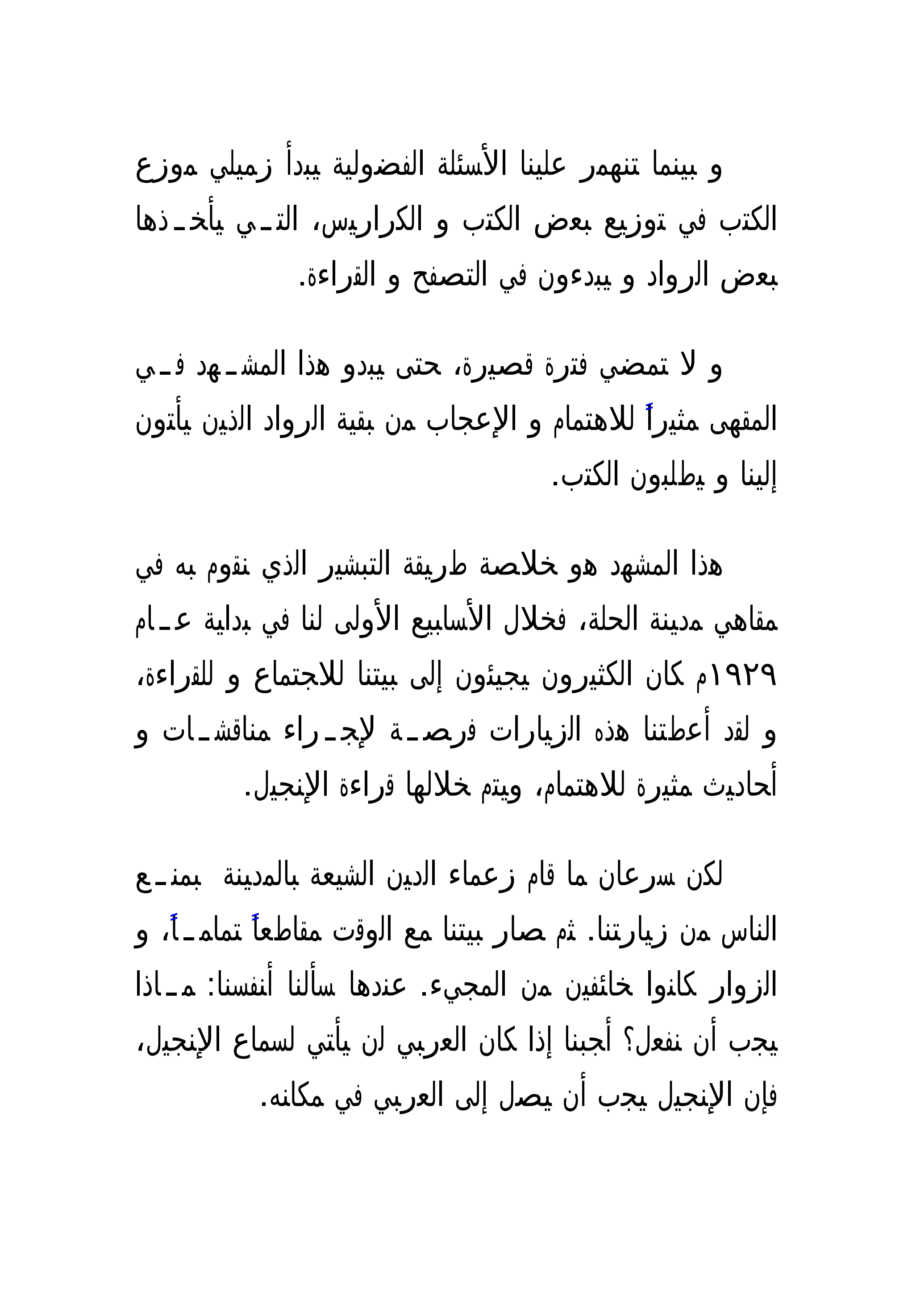
و كتب عن تلك التجربة لمجلة الإرسالية الأمريكية في شهر أبريل عام ١٩٢٩م يقول:

في كل صباح آخذ مقعدي المعتاد على كرسـي أحـد مقاهي مدينة "الحلة" و ما هي إلا دقائق حتـى تبـدأ منـاداة الرواد و أسئلتهم:

- أوه.... صاحب حقيبة الكتب.... ماذا تقرأ؟

- هل هو بالعربية؟

- دعني أقرأ...



و بينما تنهمر علينا الأسئلة الفضولية يبدأ زميلي موزع الكتب في توزيع بعض الكتب و الكراريس، التي يأخذها بعض الرواد و يبدءون في التصفح و القراءة.

و لا تمضي فترة قصيرة، حتى يبدو هذا المشهد في المقهى مثيراً للاهتمام و الإعجاب من بقية الرواد الذين يأتون إلينا و يطلبون الكتب.

هذا المشهد هو خلاصة طريقة التبشير الذي نقوم به في مقاهي مدينة الحلة، فخلال الأسابيع الأولى لنا في بداية عام ١٩٢٩م كان الكثيرون يجيئون إلى بيتنا للاجتماع و للقراءة، و لقد أعطتنا هذه الزيارات فرصة لإجراء مناقشات و أحاديث مثيرة للاهتمام، ويتم خلالها قراءة الإنجيل.

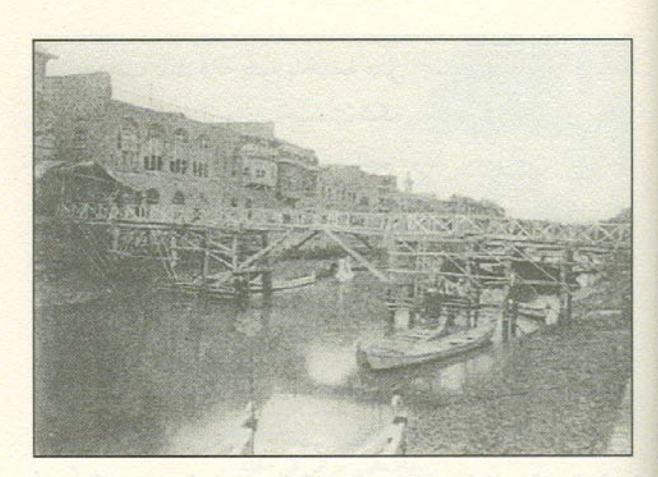
لكن سرعان ما قام زعماء الدين الشيعة بالمدينة بمنع الناس من زيارتنا. ثم صار بيتنا مع الوقت مقاطعاً تماماً، و الزوار كانوا خائفين من المجيء. عندها سألنا أنفسنا: ماذا يجب أن نفعل؟ أجبنا إذا كان العربي لن يأتي لسماع الإنجيل، فإن الإنجيل يجب أن يصل إلى العربي في مكانه.

و بالفعل قمت و معي المبشر العراقي "ميشيل" و أخذنا حقائب الكتب و بعض الكراريس و ذهبنـا إلـى الأسـواق، وأعطينا الكراريس لبعض المارة الذين بدوا و كأنهم يريدونها وقمنا أيضاً ببيع كتب كثيرة.

وعندما ذهبنا إلى أسوق "الحلة" وجدنا فرصـاً كثيـرة للمناقشات و الأحاديث الدينية، ولكننا لاحظنا أن الكثير مـن الناس يتجمعون دائماً في المقاهي فقلنا لماذا لا نـذهب إلـى حيث يشربون القهوة و الشاي!

وهناك وجدنا أن الرب كان هناك ويفـتح لنـا البـاب للتبشير بالمسيحية!

من المؤكد أن المقهى يؤدي وظيفة هامـة فـي حيـاة العرب و خصوصاً في العراق. كما أنه يظهر منـذ الوهلـة الأولى بأنه مكان تسكع للعاطلين و الكسولين، سـواء كـان هؤلاء العاطلون مضطرين أم لا.



جسر في البصرة

لكن على العموم يوجد الكثير منهم في العراق، سـواء كان ذلك باختيارهم أم لا.

فالمقهى هو المكان العربي الرئيسي للتسـلية، فبعـد أن ينتهي العربي من عمله يذهب إلى المقهى بدلاً من الـذهاب إلى بيته.

ويقضي الناس في المقهى ساعات مع طاولـة النـرد و الشطرنج وحجر الداما و الورق، أو يجلسون و يشـاهدون و يراقبون المارة أو يستمعون إلى أغاني الفونغراف.

كما أن المقهى أيضا مكان لتبادل الأخبار و الأحاديـث أي أنه نادي المناظرة بالنسبة للعرب.

وبجانب ذلك فإنه يقوم بالخدمة مثل المجلس أي مكـان للضيافة بالنسبة لكثير من الرجال، حيـث إن الكثيـر مـنهم يعيشون في بيوت صغيرة جداً و في مكـان منعـزل عـن نسائهم، وهذا يجعل من المستحيل بالنسـبة إلـيهم اسـتقبال الضيوف في المنزل، أخيراً فإن المقهى هو أيضاً مكان للعمل حيث تعقد فيه الكثير من الصفقات المهمة و المباحثات وتوقع الكثير من الوثائق الهامة.

هنا إذاً حقل مثالي للعمل التبشيري، كمـا أن مميزاتـه بدأت تظهر أكثر و أكثر بالنسبة لنا عندما بدأنا العمل فيـه. فهنا يمكن أن تقابل العربي بشكل غير رسمي و يظهر كمـا هو على الحقيقة. وفي المقهى أيضاً يمكن تقديم إنجيل المسيح

إلى جميع فئات و طبقات الرجال التي تـأتي بانتظـام إلـى المقهى.

وهنا فالناس يكونون مشغولين، وهم مثل أهـالي أثينـا حذرون عندما سماع أو رواية بعض الأشياء الجديدة.

وهناك الكثير من الرواد يشعرون بالوحدة رغم كثـرة الموجودين من الجمهور، و لذلك فهم يريدون قراءة أي شيء أو التحدث مع أي شخص.

وعموماً فإن الضيافة العربية هي عامل آخـر يجعـل المقهى مكاناً مثالياً لعملنا، فنحن تقريباً يتم الترحيب بنا فـي كل مكان.

ومن بين الكثير من المقاهي التي زرناها في المدينة لم يتم رفض جلوسنا سوى في مقهى واحد فقط، أما في بـاقي المقاهي فقد تم تقديم الخدمة لنا بشكل طبيعي.


رواد مقهى عراقي في الحلة

غير أنه في وسط طائفة الشيعة فإن أكوابنا تأخذ طريقها إلى النهر بعد أن ننتهي من شرب الشاي، أو تغسّـل بشـكل غير اعتيادي للتخاص من "النجاسة" التي سببناها لهم، ورغم تلك المعاملة فإننا كنا نقابل بالترحاب!

وعندما يجلس المرء في المقهى و يقدّم له ما يطلبه من مشروبات فإن سؤالنا عادة ما يكون: كيف يمكن أن نـوزع الكتب و الكراريس؟ في العادة فإننا نجد أن الجلوس بهدوء و

القراءة بصمت يكفيان لإثارة حركة الفضول لدى العربـي، فهو يريد أن يعرف ماذا يقرأ هذا الأجنبي.

وفي بعض الأحيان نجلس أنا و بائع الكتب مع بعضـنا في المقهى ويقوم واحد منا بالقراءة للآخر. وقبل مدة وجـدنا بعض الرواد يتنصتون علينا و يسترقون السمع. فقـد جـاء حمال يحمل البضائع في السوق و كان لا يستطيع القـراءة، وقال إنه يريد الاستماع إلى حكايات الإنجيل. ثم جاء ليشتري كتاب الإنجيل لكي يقوم أصدقاؤه بقراءته له في المساء.

وهذا الرجل عندما يجدني في المقهى يود أن يـدعوني لقراءة بعض الحكايات من الإنجيل.

وقد قمنا بنفس طريقة القـراءة للآخـرين فـي مدينـة مجاورة، و استطعنا حشد أكثر من سـتين شخصـاً راحـوا يستمعون إلينا ونحن نروي عليهم قصص و فصول الإنجيل.

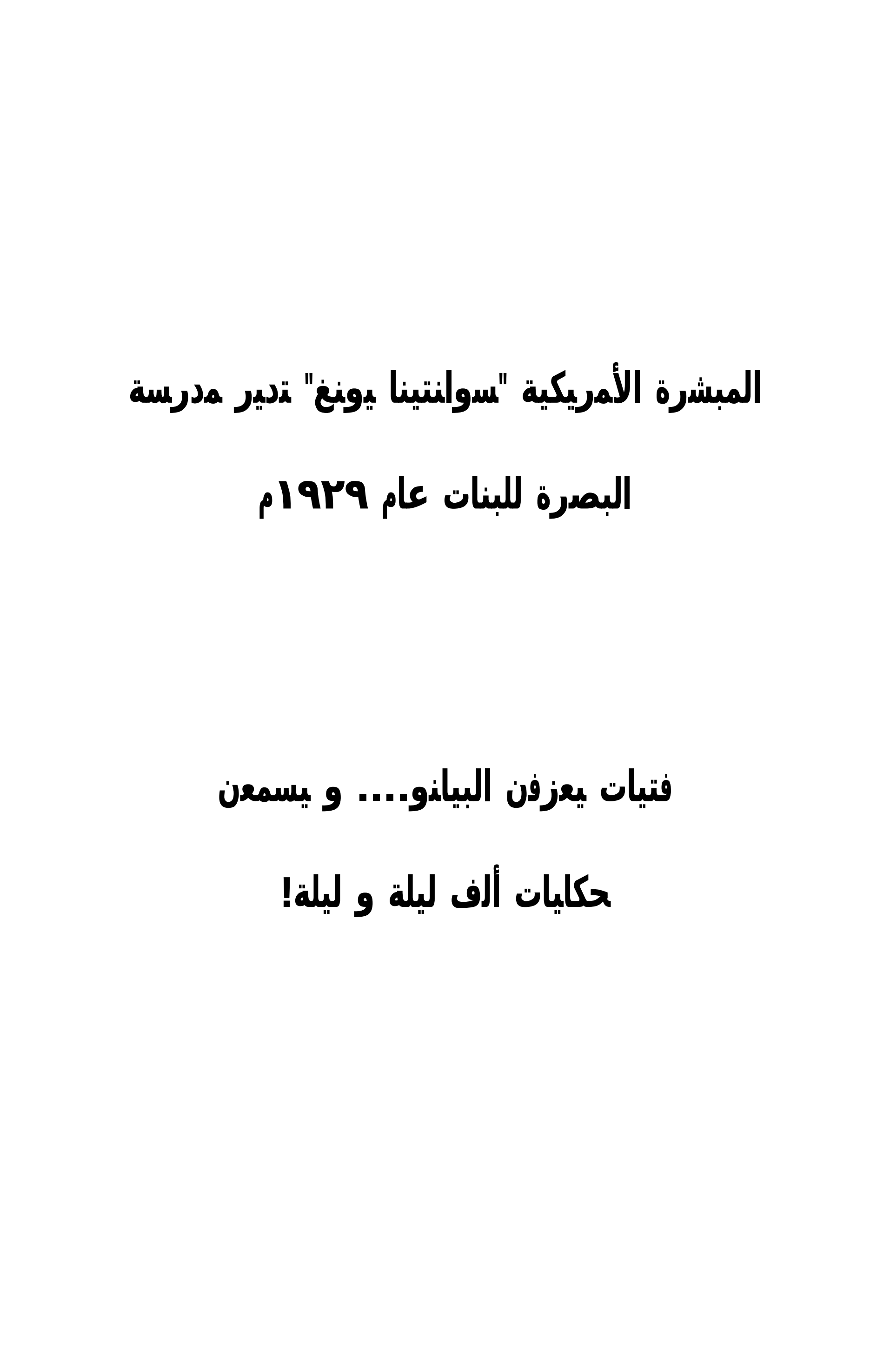
وكل الكتب المسيحية التي نستعملها و نوزعها و نبيعها يأتي معظمها من مطبعة إرسالية النيل في القاهرة، وطباعتها جيدة ووجدنا أنها تثير اهتمام وفضول الناس هنا.

وكتاب مثل "قصة الأنبياء" الذي طبع من قبل المطبعـة كان عبارة عن كراسة من ثمانين صـفحة و بـه قصـص مبسطة، و تدل على حاجة لبشر إلى المنقذ.... المسيح!

يبقى السؤال في النهاية هو: ما هي النتائج التي حصلنا عليها من هذا النوع من العمل؟ إن البذور قد نمت في جميع أنحاء مدينة الحلة. كما أن أكثر من عشرين ألـف كتـاب و كراسة تم توزيعها، و الكثيرون عرفوا عـن عـودة السـيد المسيح و ماذا يريد من الناس أن يفعلوا في حياتهم.

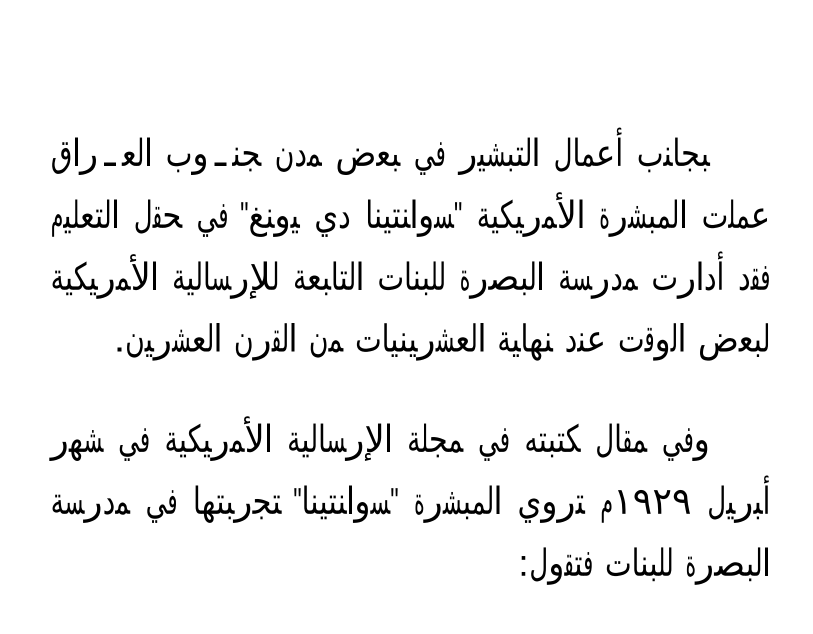
وقد قام ملا عراقي وهو مدرس وقـارئ ممتـاز فـي موضوعات الإسلام بسماع رسالتنا التبشيرية في مقهى بمدينة مجاورة. وقام باللحاق بنا إلى الحلة، ثم اعتاد مع الوقت على المجيء للقراءة و التدريس.

وفي أحد الأيام طلب منا بعد تفكير له طويل أن يعتنق المسيحية و يعمّد بسرعة، لأنه رجل كبير في السن!



المبشرة الأمريكية "سوانتينا يونغ" تدير مدرسة البصرة للبنات عام ١٩٢٩م

فتيات يعزفن البيانو.... و يسمعن حكايات ألف ليلة و ليلة!



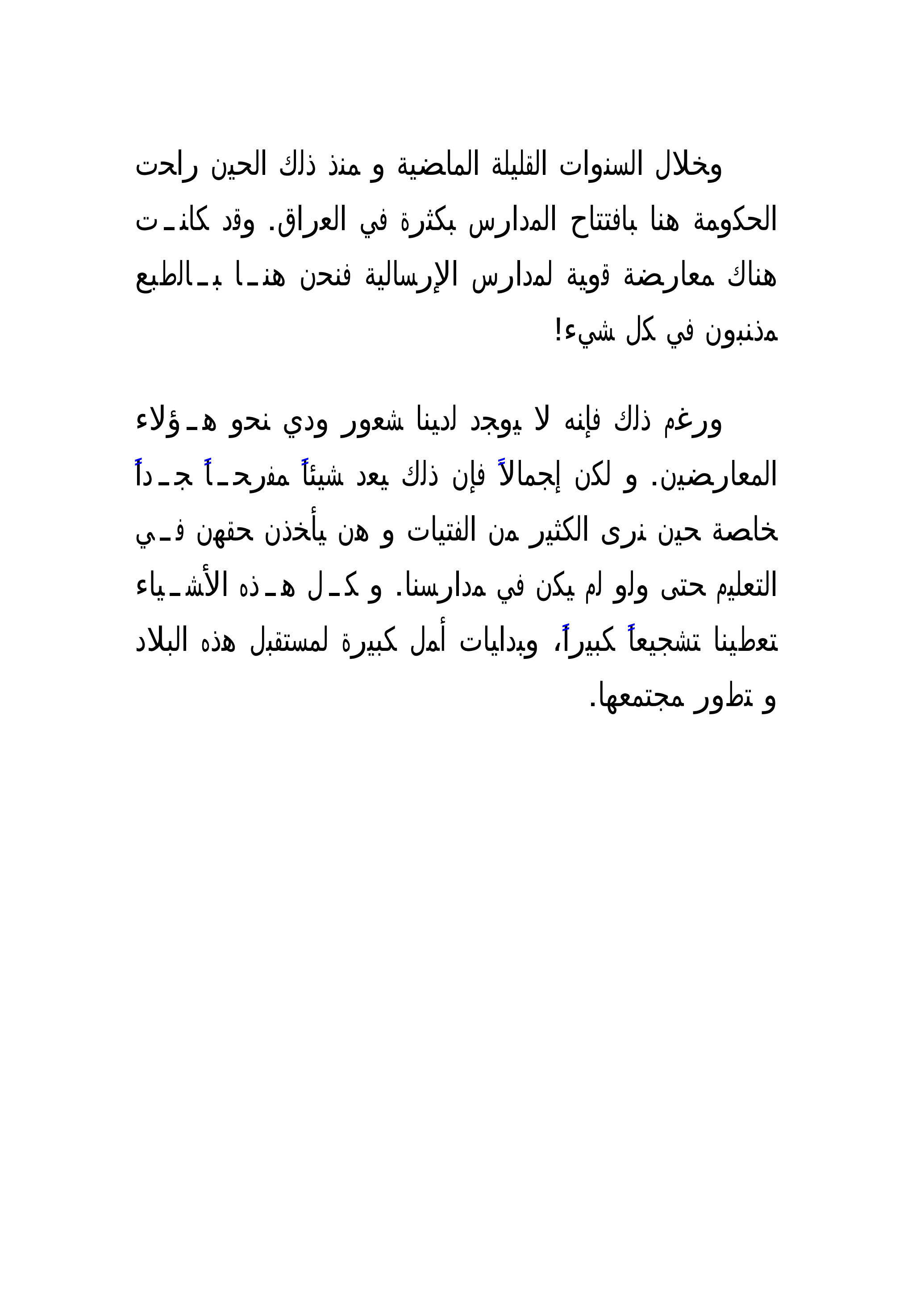
بجانب أعمال التبشير في بعض مدن جنـوب العـراق عملت المبشرة الأمريكية "سوانتينا دي يونغ" في حقل التعليم فقد أدارت مدرسة البصرة للبنات التابعة للإرسالية الأمريكية لبعض الوقت عند نهاية العشرينيات من القرن العشرين.

وفي مقال كتبته في مجلة الإرسالية الأمريكية في شهر أبريل ١٩٢٩م تروي المبشرة "سوانتينا" تجربتها في مدرسة البصرة للبنات فتقول:

هناك تغيرات سريعة تأخذ مكانها اليـوم فـي العـالم الإسلامي. و ليس أقل منها تلك التغيـرات نحـو الموقـف بالنسبة لتعليم المرأة. ففي هذه المسألة تقع واحدة من أعظـم الآمال بالنسبة للمستقبل.

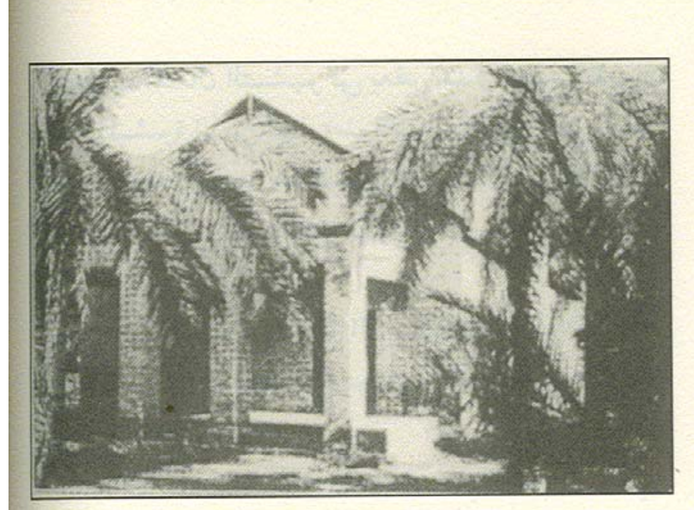
فعندما تكون أمهات البلاد أميات و جـاهلات و يـؤمن بالخرافات فأي تغير يمكن أن ينبني أو يحـدث للعـائلات و المجتمع عموماً؟!

و حتى ولو كان الرجال متعلمين جداً فأي نفع يمكن أن نحصل عليه.



وخلال السنوات القليلة الماضية و منذ ذلك الحين راحت الحكومة هنا بافتتاح المدارس بكثرة في العراق. وقد كانـت هناك معارضة قوية لمدارس الإرسالية فنحن هنـا بـالطبع مذنبون في كل شيء!

ورغم ذلك فإنه لا يوجد لدينا شعور ودي نحو هـؤلاء المعارضين. و لكن إجمالاً فإن ذلك يعد شيئاً مفرحـاً جـداً خاصة حين نرى الكثير من الفتيات و هن يأخذن حقهن فـي التعليم حتى ولو لم يكن في مدارسنا. و كـل هـذه الأشـياء تعطينا تشجيعاً كبيراً، وبدايات أمل كبيرة لمستقبل هذه البلاد و تطور مجتمعها.



كنيسة الإرسالية الأمريكية في البصرة

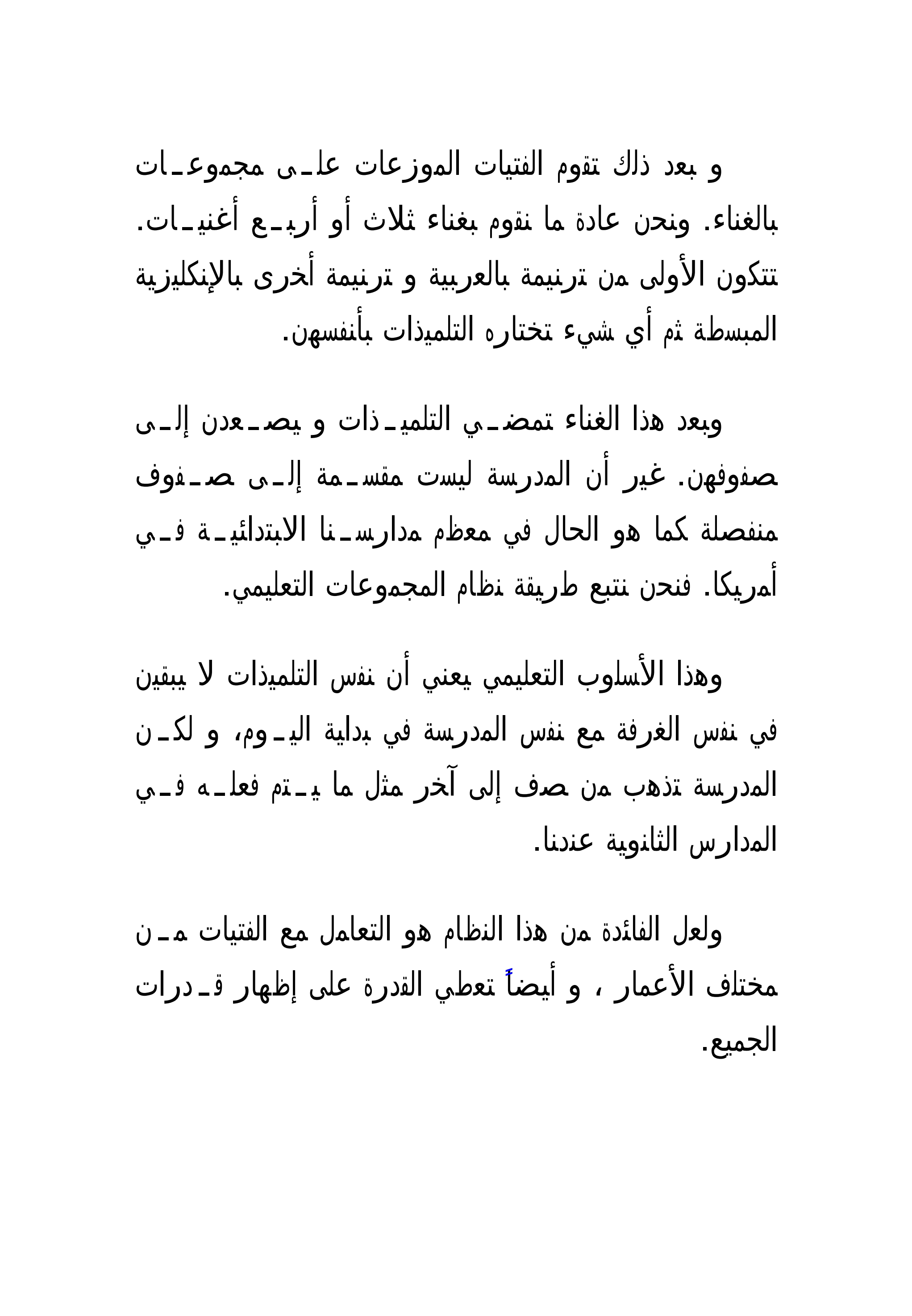
وقد بدأ الرجال يدركون ذلك أيضاً، فقد كان هناك دليل على ذلك في الخطب التي تم إلقاؤها هذا العام في المـدارس عبر مناسبات مختلفة، و كانت هناك تساؤلات طرحت مثل: كيف نأمل في بناء بيوت حقيقية في العراق إذا بقيت النسـاء جاهلات؟ و إذا كانت الأم هي مدرسة الطفل الأولى وهي لا تزال تؤمن بالخرافات فماذا نتوقع من الطفل؟!

يمكننا أن نقول إن مدرسة الإرسالية الأمريكية للبنـات في البصرة تلعب دوراً مهماً في بناء شخصية تلك الفتيات و التي تأتي عبر تعليمهن و تربيتهن على أحد أحدث الوسائل.

وقد سجل أعلى حضور في المدرسة لهذه السنة بسبعين فتاة، ونصفهن تقريباً عربيات مسلمات بينما الأخريات كـن خليطاً من قوميات و أديان أخرى مثل مسيحيات و أمريكيات و يهوديات.

وجميع التلاميذ بالمدرسة هن فتيات باستثناء قلة قليلـة من الأولاد في روضة الأطفال. وكل الفتيات كن مواظبـات جداً في الحضور، وفي أحيان كثيرة كنا نتوقع مجيء القليـل منهن بسبب الأمطار، لكننا سرعان ما نندهش جـداً عنـدما نري الكثير منهن وقد حضرن إلى المدرسة وهن غارقات في البلل.

وتفتتح المدرسة في الصباح الباكر بطابور في السـاحة بمصاحبة عزف البيانو.

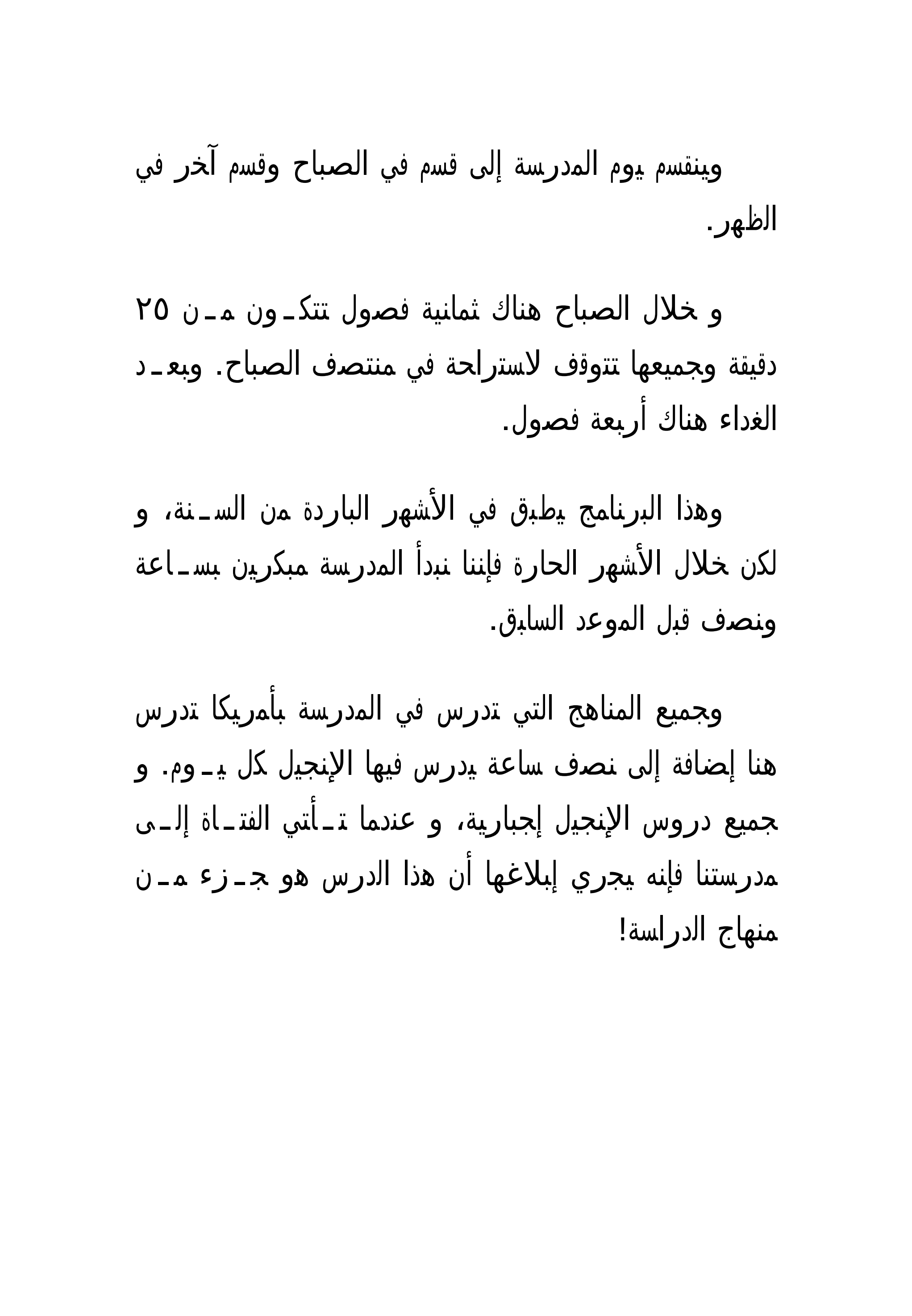


و بعد ذلك تقوم الفتيات الموزعات على مجموعات بالغناء. ونحن عادة ما نقوم بغناء ثلاث أو أربع أغنيات. تتكون الأولى من ترنيمة بالعربية و ترنيمة أخرى بالإنكليزية المبسطة ثم أي شيء تختاره التلميذات بأنفسهن.

وبعد هذا الغناء تمضي التلميذات و يصعدن إلى صفوفهن. غير أن المدرسة ليست مقسمة إلى صفوف منفصلة كما هو الحال في معظم مدارسنا الابتدائية في أمريكا. فنحن نتبع طريقة نظام المجموعات التعليمي.

وهذا الأسلوب التعليمي يعني أن نفس التلميذات لا يبقين في نفس الغرفة مع نفس المدرسة في بداية اليوم، و لكن المدرسة تذهب من صف إلى آخر مثل ما يتم فعله في المدارس الثانوية عندنا.

ولعل الفائدة من هذا النظام هو التعامل مع الفتيات من مختلف الأعمار ، و أيضاً تعطي القدرة على إظهار قدرات الجميع.



وينقسم يوم المدرسة إلى قسم في الصباح وقسم آخر في الظهر.

و خلال الصباح هناك ثمانية فصول تتكـون مـن ٢٥ دقيقة وجميعها تتوقف لاستراحة في منتصف الصباح. وبعـد الغداء هناك أربعة فصول.

وهذا البرنامج يطبق في الأشهر الباردة من السـنة، و لكن خلال الأشهر الحارة فإننا نبدأ المدرسة مبكرين بسـاعة ونصف قبل الموعد السابق.

وجميع المناهج التي تدرس في المدرسة بأمريكا تدرس هنا إضافة إلى نصف ساعة يدرس فيها الإنجيل كل يـوم. و جميع دروس الإنجيل إجبارية، و عندما تـأتي الفتـاة إلـى مدرستنا فإنه يجري إبلاغها أن هذا الدرس هو جـزء مـن منهاج الدراسة!

و بالنسبة للأطفال فإنهم يتعلمـون الإنجيـل بواسـطة السماع و عبر قراءة المدرسات لهم، أما بالنسـبة للآخـرين الأكثر تعليماً فإنهم يقرءون الإنجيل بأنفسهم.



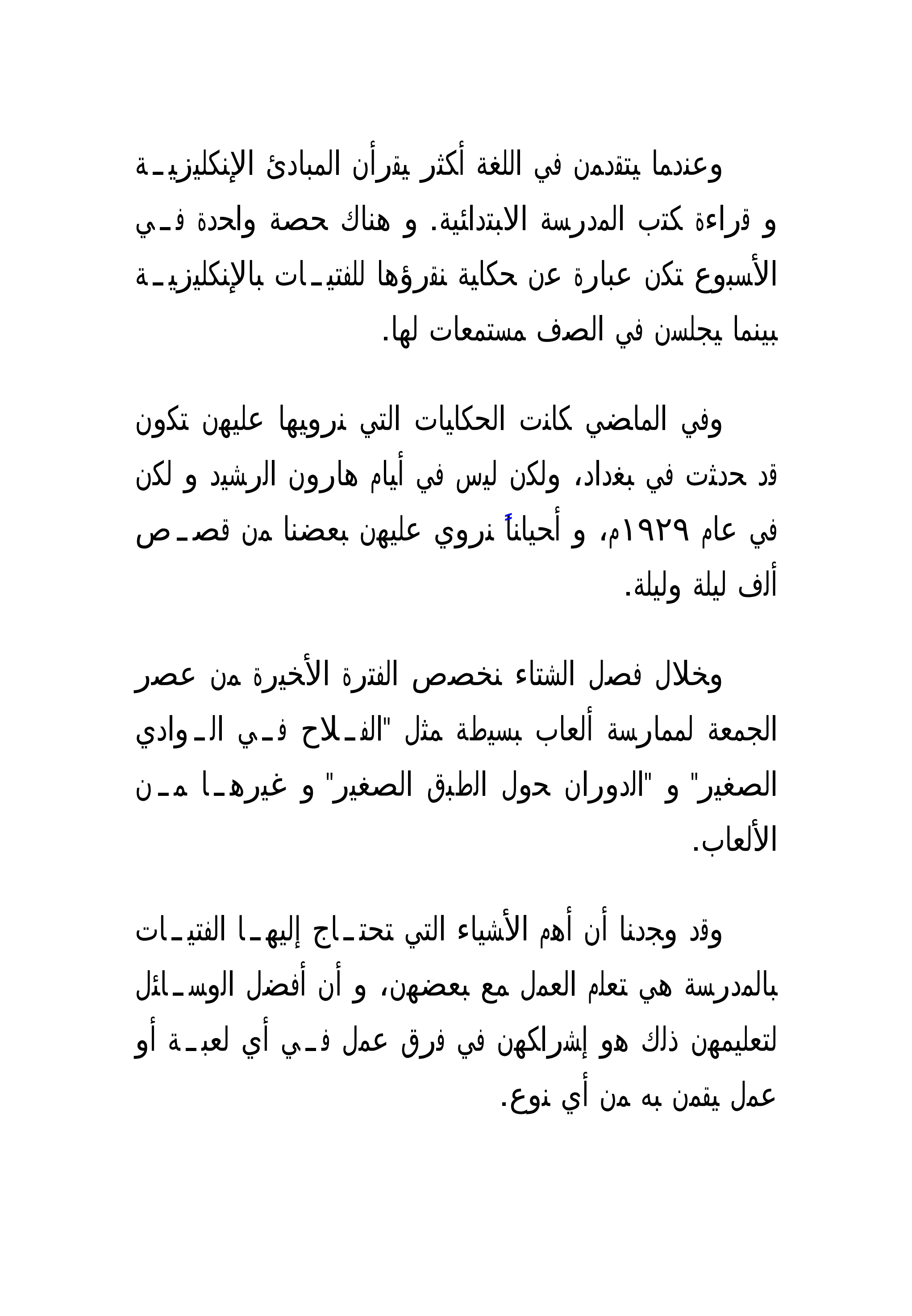
تلميذات مدرسة البصرة

وفي هذه السنة تم إدخال بعض المقررات الفنية. وقـد دهشنا في البداية حينما رأينا العرب الذين من المفروض أنهم معادون جداً للفن، وقد تفاعلوا كثيراً مـع تلـك المقـررات، والنتائج كانت غير عادية.

فقد قامت فتيات بعمل رسومات للحيوانات و الطيور في العراق، وعملنا كراسات تشرح بالصور، و معدة للقطـع و التلوين، أما الفتيات الكبيرات فقد قمن فـي أحـد أعمـالهن بتصميمات فنية ابتدأت بالأقلام الملونة حيث رسمن الزهـور ثم قمن بتطريزها على القماش.


تلميذات مدرسة البصرة مع مدرساتهن

و بخصوص اللغة الإنكليزية فإن الفتيات يتعلمن الكلمات البسيطة جداً كل يوم، بعدها يتعلمن القصص المبسطة مثـل حكاية الدجاجات الصغيرات، حكاية الدببة الثلاثة و غيرهـا مثل أي مدرسة أخرى في أمريكا.



وعندما يتقدمن في اللغة أكثر يقرأن المبادئ الإنكليزية و قراءة كتب المدرسة الابتدائية. و هناك حصة واحدة في الأسبوع تكن عبارة عن حكاية نقرؤها للفتيات بالإنكليزية بينما يجلسن في الصف مستمعات لها.

وفي الماضي كانت الحكايات التي نرويها عليهن تكون قد حدثت في بغداد، ولكن ليس في أيام هارون الرشيد و لكن في عام ١٩٢٩م، و أحياناً نروي عليهن بعضنا من قصص ألف ليلة وليلة.

وخلال فصل الشتاء نخصص الفترة الأخيرة من عصر الجمعة لممارسة ألعاب بسيطة مثل "الفلاح في الوادي الصغير" و "الدوران حول الطبق الصغير" و غيرها من الألعاب.

وقد وجدنا أن أهم الأشياء التي تحتاج إليها الفتيات بالمدرسة هي تعلم العمل مع بعضهن، و أن أفضل الوسائل لتعليمهن ذلك هو إشراكهن في فرق عمل في أي لعبة أو عمل يقمن به من أي نوع.

وفي الفترة الحالية فإن المدرسة تدير فصولها في بيـت محلي مؤجر، ولكننا نأمل في شهر أكتوبر القادم في الانتقال إلى مبنى المدرسة الجديد الخاص بنا. و في ذلك الوقت فـإن أربع فتيات ستتسلمن شـهاداتهن، اثنتـان مـنهن مسـلمتان (عراقيتان) و اثنتان أمريكيتان.

و نأمل أن يقام حف تخريج للفتيات بعد فترة قصيرة من افتتاح مبنى المدرسة الجديد.

وأستطيع أن أؤكد أن العمل في المبنـى يحـرز تقـدماً ممتازاً و الفتيات مهتمات برؤية المراحل المختلفة لنمو البناء في المدرسة. و ستكون هناك ثماني غـرف كبيـرة وقاعـة تدريس و غرفة للحضانة و غرفة للعـب، و منـزل لسـكن أعضاء الإرسالية، و المبنى يقع في موقع ممتاز بقرب بستان نخيل جميل بالبصرة.

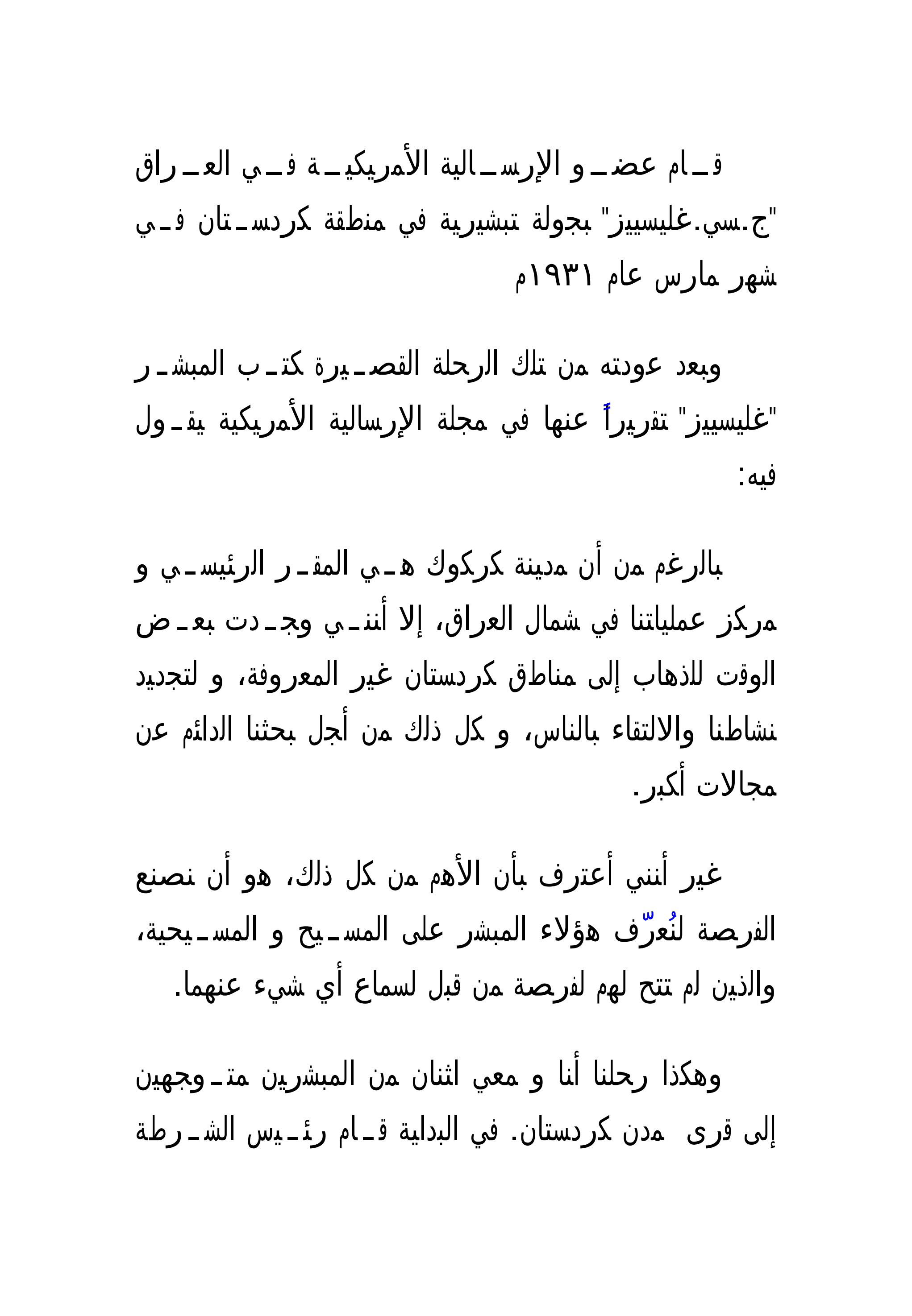
وفي النهاية فلعل كل ما حكيتـه سـابقاً عـن مدرسـة البصرة للبنات هو مجرد مشاهدات و تجارب، غير أنني آمل أن يتواصل العمل يوماً بعد يوم إلى الأفضل دائماًً.

المبشر الأمريكي "ج. غليسييز"

يبشر في كردستان عام ١٩٣١م

حشود الجوعى و المشردين تحبط

خطط التبشير!



قـام عضـو الإرسـالية الأمريكيـة فـي العـراق "ج.سي.غليسييز" بجولة تبشيرية في منطقة كردسـتان فـي شهر مارس عام ١٩٣١م

وبعد عودته من تلك الرحلة القصـيرة كتـب المبشـر "غليسييز" تقريراً عنها في مجلة الإرسالية الأمريكية يقـول فيه:

بالرغم من أن مدينة كركوك هـي المقـر الرئيسـي و مركز عملياتنا في شمال العراق، إلا أننـي وجـدت بعـض الوقت للذهاب إلى مناطق كردستان غير المعروفة، و لتجديد نشاطنا والالتقاء بالناس، و كل ذلك من أجل بحثنا الدائم عن مجالات أكبر.

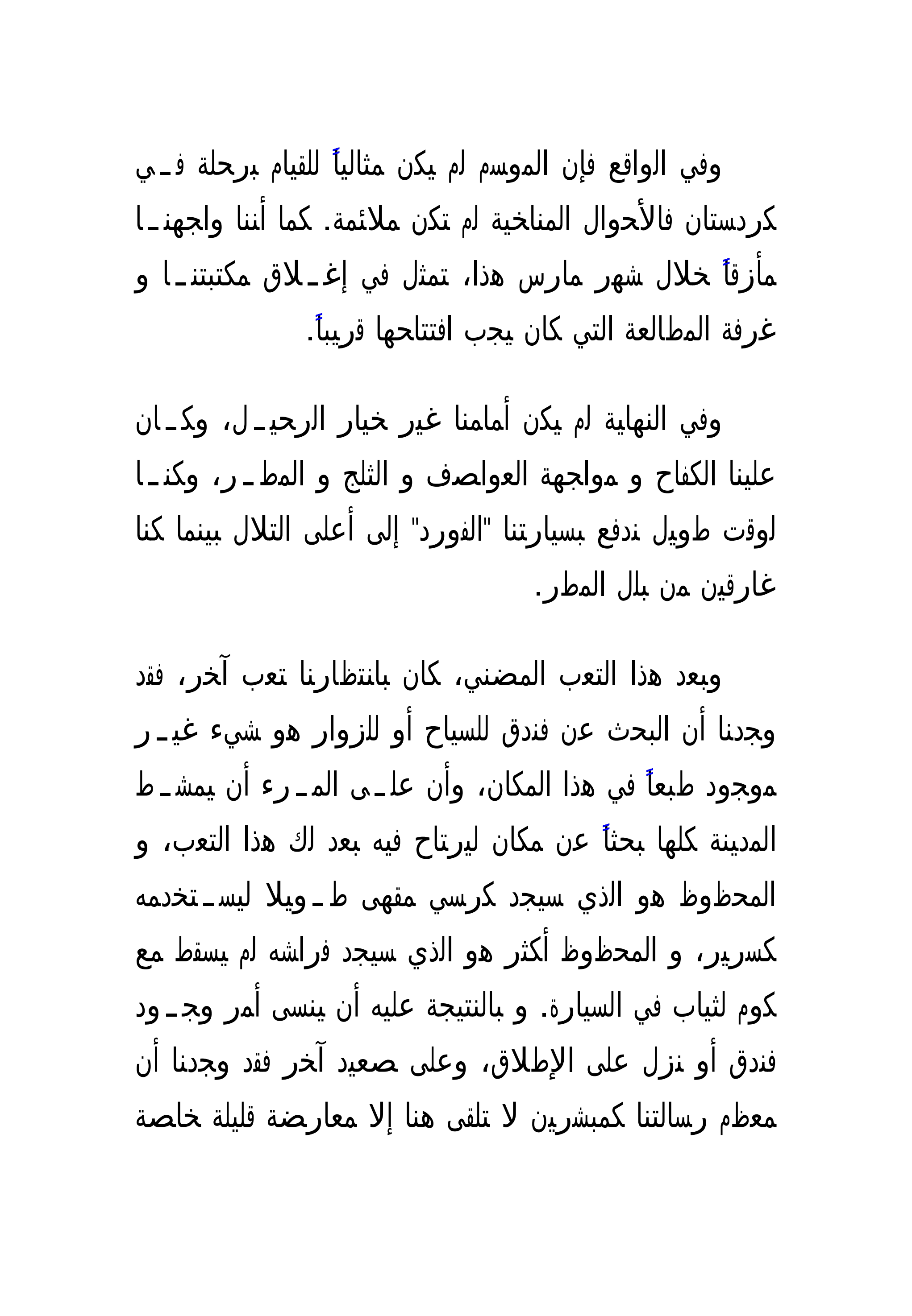
غير أنني أعترف بأن الأهم من كل ذلك، هو أن نصنع الفرصة لنُعرّف هؤلاء المبشر على المسـيح و المسـيحية، والذين لم تتح لهم لفرصة من قبل لسماع أي شيء عنهما.

وهكذا رحلنا أنا و معي اثنان من المبشرين متـوجهين إلى قرى مدن كردستان. في البداية قـام رئـيس الشـرطة

بتحذيرنا قبل الرحيل من خطورة تلك المناطق. وحذرنا قائلاً: ستكونون مسئولين عن أرواحكم، فبعض المناطق التي ستذهبون إليها تعتبر أماكن تمرد، و نحن كمسئولي أمن نعتبرها مناطق حرب!

أكراد يحتشدون أمام بائع كتب مسيحية

ومع بدايات رحلتنا مرت علينا سيارات مسلحة و طائرات تحوم فوق رؤوسنا في السماء، وكلها كانت تؤكد كلام رئيس الشرطة بأننا في منطقة حرب!



وفي الواقع فإن الموسم لم يكن مثالياً للقيام برحلة فـي كردستان فالأحوال المناخية لم تكن ملائمة. كما أننا واجهنـا مأزقاً خلال شهر مارس هذا، تمثل في إغـلاق مكتبتنـا و غرفة المطالعة التي كان يجب افتتاحها قريباً.

وفي النهاية لم يكن أمامنا غير خيار الرحيـل، وكـان علينا الكفاح و مواجهة العواصف و الثلج و المطـر، وكنـا لوقت طويل ندفع بسيارتنا "الفورد" إلى أعلى التلال بينما كنا غارقين من بلل المطر.

وبعد هذا التعب المضني، كان بانتظارنا تعب آخر، فقد وجدنا أن البحث عن فندق للسياح أو للزوار هو شيء غيـر موجود طبعاً في هذا المكان، وأن علـى المـرء أن يمشـط المدينة كلها بحثاً عن مكان ليرتاح فيه بعد لك هذا التعب، و المحظوظ هو الذي سيجد كرسي مقهى طـويلا ليسـتخدمه كسرير، و المحظوظ أكثر هو الذي سيجد فراشه لم يسقط مع كوم لثياب في السيارة. و بالنتيجة عليه أن ينسى أمر وجـود فندق أو نزل على الإطلاق، وعلى صعيد آخر فقد وجدنا أن معظم رسالتنا كمبشرين لا تلقى هنا إلا معارضة قليلة خاصة

عند الأكراد المتشوقين للحصول علـى كتـب و كـراريس للقراءة، و الأكثر من ذلك فوجئنا بـأن طـلاب المـدارس الثانوية يأتون إلينا في غرفنا و يسألون عن الكتاب المقدس، وكان هذا الشيء لا يحدث إطلاقـاً فـي المـدن الكرديـة المتعصبة.


مقهى في الموصل

وكنا بالمقابل نرد علـى الطـلاب زيـاراتهم بزيـارة مدارسهم خلال فترات الاستراحة. و كنـا ننشـر كتبنـا و نستعرض أفكارنا.

وفي يوم الأحد كنا نخطط، بالإضافة إلـى صـلواتنا و عباداتنا القصيرة، لزيارة بعض الأكراد لكن هذه الخطة كانت تحبط في أكثر الأحيان بسب حشود الجوعى و المشردين في الطرقات الذين كانوا يتجمهرون أمام مقر سكننا و يربكـون زياراتنا، حتى إننا كنا أحياناً نجد صعوبة في تناول وجبـات الطعام و لا نجد وقتاً لها و بالمقابل كانت هنـاك زيـارات منتظمة لمسئولين في الحكومة و المدرسـين و الطـلاب و الجنود و غيرهم داخل غرفنا، و نادراً ما خرج أحد منهم إلا ومعه جزء من الكتاب المقدس، وكان من بين هؤلاء شخص طلب كتباً تتعلق بالقانون المدني.

و بالطبع قمنا بإطلاعه على كتاب "القـانون"، وعنـدما خرج من عندنا كان يحمل أجزاء هامة من أعظم كتاب عـن القانون.

و على صعيد منطقة كردستان فقد كان أهم مـا لفـت نظرنا هو الطريق السريع الذي أنشئ مؤخراً. فهذا الطريـق يقود إلى أعالي الجبال و الأنهار. وقد أصبحت القرى الواقعة

بالقرب من الحدود الفارسية، بفضل هـذا الطريـق، ممكنـاً الوصول إليها وسهلة المنال على ظهور الحمير.

و يظهر السكان الأكراد في معظمهم أو قسمهم الأكبـر بأنهم لم يسمعوا قط عن المسيح، و سواء كانوا يسـتطيعون القراءة أم لا فقد اشتروا كتبنا المسيحية و جلسوا بالسـاعات ينصتون لرسالتنا في المحبة.

وفي أحد الأيام و بينما كنا جالسين في أحد المقاهي نقرأ بصوت عالٍ و نشرح الكتاب المقدس، وجـدنا أن الحـاكي (الفونوغراف) كان له دور هام في كل المكان. ففجأة تغيـر صوت الفونـوغراف مـن أغنيـة كرديـة حربيـة إلـى "دافعوا...دافعوا عن المسيح"!


أكراد من الموصل

ولقد فوجئنا بسماع كلمات هذه الأغنية خاصة في مكان يبدو أنه بعيد جداً عن الحضارة.!

وقد رأى أصدقاؤنا الأكراد أننا مستغربون بعض الشيء و مسرورون لهذه الأغنية!

لقد أظهرت بياناتنا و إحصائياتنا عن الرحلة أننا قمنـا ببيع ٤٤ نسخة كاملة من الإنجيل و ٨٠ نسخة للعهد الجديد و ٤ للعهد القـديم، ٣٧٣ نسـخة مـن الكتـاب المقـدس، و ٥٧٠كراسة دينية، و كتابا تعليميا، بينما كان التوزيع المجاني للكتب الأدبية قد تجاوز آلاف النسخ.

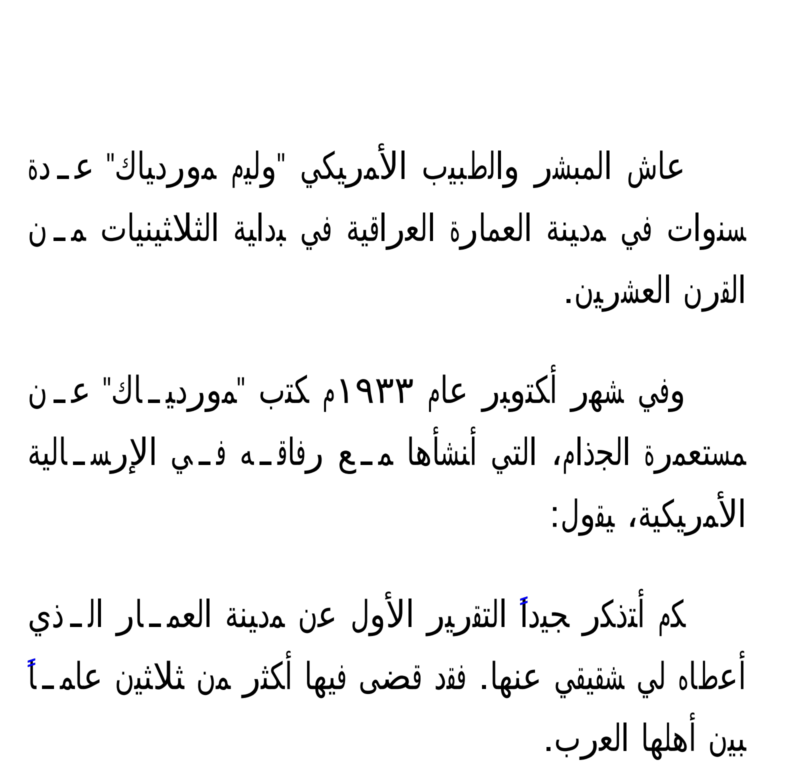
وفوق ذلك، فقد أظهرت هذه الإحصائيات مدى العمـل الذي تم إنجازه في هذه الفترة القصيرة.

وأستطيع أن أؤكد أن ما تم إنجازه مـن هـذه الرحلـة سيشجع بالتأكيد على القيام برحلات أخرى وفـتح منـاطق جديدة وواسعة.

الطبيب الأمريكي "وليم موردياك" يمارس الطب

في العمارة عام ١٩٣٣م

مستعمرة الجذام في العراق!



عاش المبشر والطبيب الأمريكي "وليم موردياك" عدة سنوات في مدينة العمارة العراقية في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين.

وفي شهر أكتوبر عام ١٩٣٣م كتب "مورديـاك" عن مستعمرة الجذام، التي أنشأها مع رفاقه في الإرسالية الأمريكية، يقول:

كم أتذكر جيداً التقرير الأول عن مدينة العمار الذي أعطاه لي شقيقي عنها. فقد قضى فيها أكثر من ثلاثين عاماً بين أهلها العرب.

لقد قدم شقيقي وصفاً دقيقاً لهذه المدينة العراقية التي تقع على نهر دجلة، و كان فيها معسكر للمجانين و العميان و المجذومين.

فبعد تأسيس العمل الطبي للإرسالية الأمريكية في هذه المدينة بدأت أعرف الحقيقة حول تلك التقارير و البيانات التي جاءتني من إدارة الحكومة التي تقول بأن واحداً و

خمسين بالمائة من مجموع المجذومين المسجلين في العراق يعيشون قرب مدينة العمارة.

كانت تلك الأرقام مفزعة بالنسبة لي، ووفقاً لذلك قررت بأن أقوم بعمل شيء ما لهـؤلاء المنبـوذين، خاصـة و أن الحكومة في العراق لا تفعل لهم شيئاً على الإطلاق.

لقد بدأت العمل كنواة صغيرة مع مجموعة صغيرة من المرضى الذين أشعر بإمكانية شفائهم و خروجهم فيما بعد. و قمت بتأجير قطعة أرض صغيرة ليست بعيدة عن مستشـفى الإرسالية.



مرضى الجذام في العمارة

وقد أحطنا هذه الأرض بسياج من الطين ثم قمنا ببنـاء المكان تدريجياً كمستعمرة صغيرة للمجذومين.

كانت أكواخ مستعمرة الجذام مجرد بيوت بسيطة جـداً بنيت من أعواد القصب و الحصير، ومع الوقـت اسـتطاع الكثير من هؤلاء المرضى الهاربين خارج المدينة العـودة و العيش في هذه الأكواخ، خاصة و أن غـالبيتهم مـن أفقـر الفقراء ومن المشردين في العراق.

كانت غرف معالجة المجذومين مكونـة مـن أكـواخ صنعت من الحصير، و تم تأثيثها بطـاولات و كراسـي، و كانت واسعة بما فيها الكفاية لخدمات المعالجة أو للتبشير.

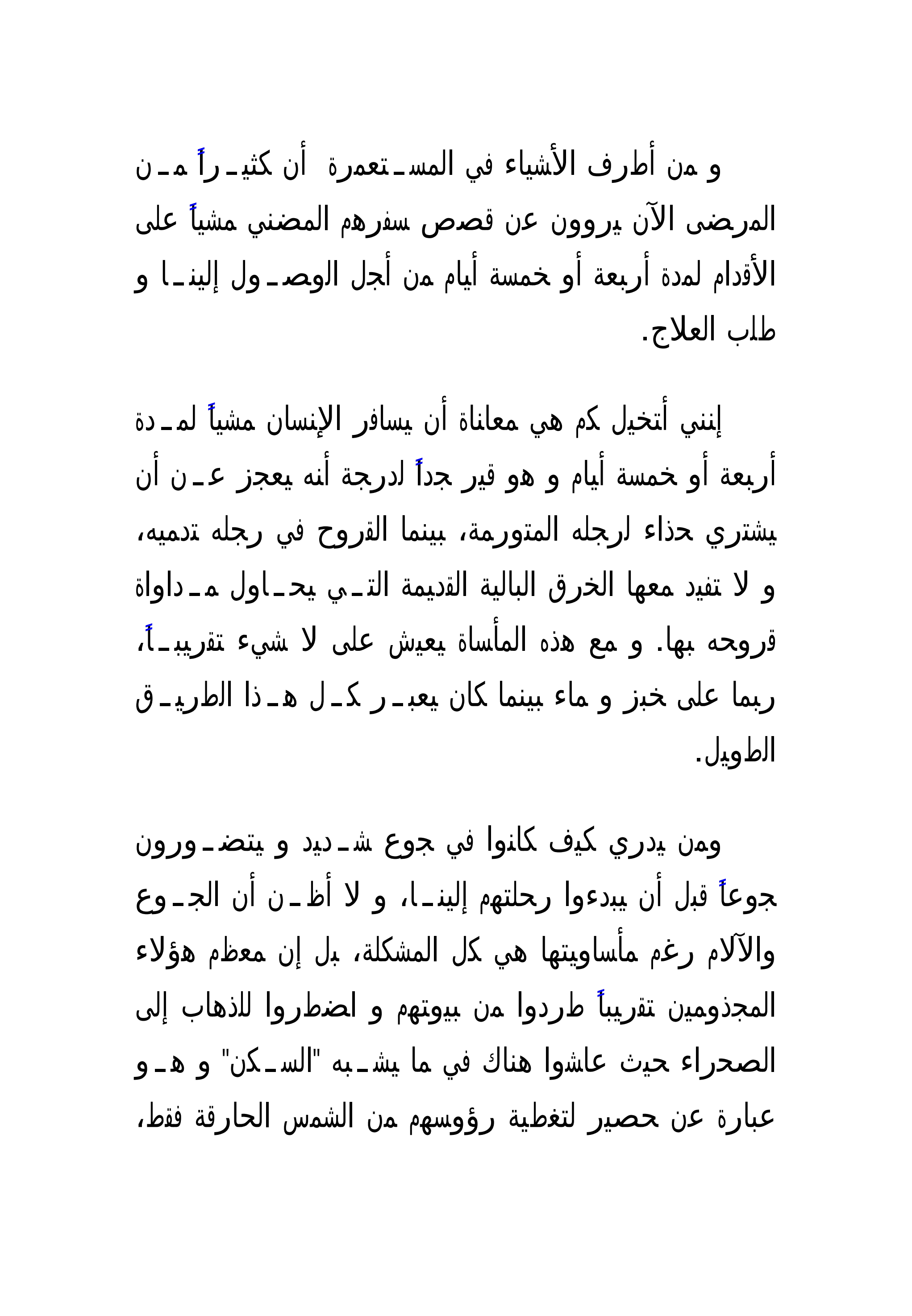
و تؤوي المستعمرة حالياً أربعة وعشرين مريضاً مـن الرجال و خمس عشرة مريضـة مـن النسـاء. و غالبيـة المرضى يخضعون للمعالجة الطبية منذ أكثر من ستة شهور، و قد أظهروا تقدماً و تحسناً رائعاً و لكنهم لا يزالون بعيدين عن الشفاء.

ولا يوجد في المستعمرة أشياء تجمع المجذومين، فهـم من مختلف الأعمار، وكذلك مـن درجـات و شخصـيات مختلفة.

ولعل الجزء المشجع في علاج هؤلاء هو أن المرضـى أنفسهم يستطيعون رؤية الفوائد التي يحصـلون عليهـا فـي العلاج أو حتى في طرق المعيشة.

فواحد من أكثر الأشياء إثباتاُ لحديثي حالياً هو ولد يبلغ من العمر ستة عشر عاماً كان يعاني من الجوع و يعاني من قروح مفتوحة في كلتا رجليه.

ومنذ أكثر من خمس سنوات ، كان هذا الولد في حالـة بائسة تماماً و كان نموذجاً للإنسان البائس الفاقد لأي أمل في الحياة. ثم جاء إلينا بعد أن سمع عن المرضى الـذين تمـت معالجتهم في أيام، وكلها فترة قصيرة حتى استطاع هذا الولد أن يتعافى بعد أن ظل يكافح لفترة من أجل الحصول علـى صحته كأي إنسان آخر.



و من أطرف الأشياء في المستعمرة أن كثيراً من المرضى الآن يروون عن قصص سفرهم المضني مشياً على الأقدام لمدة أربعة أو خمسة أيام من أجل الوصول إلينا و طلب العلاج.

إنني أتخيل كم هي معاناة أن يسافر الإنسان مشياً لمدة أربعة أو خمسة أيام و هو فقير جداً لدرجة أنه يعجز عن أن يشتري حذاء لرجله المتورمة، بينما القروح في رجله تدميه، و لا تفيد معها الخرق البالية القديمة التي يحاول مداواة قروحه بها. و مع هذه المأساة يعيش على لا شيء تقريباً، ربما على خبز و ماء بينما كان يعبر كل هذا الطريق الطويل.

ومن يدري كيف كانوا في جوع شديد و يتضورون جوعاً قبل أن يبدءوا رحلتهم إلينا، و لا أظن أن الجوع والآلام رغم مأساويتها هي كل المشكلة، بل إن معظم هؤلاء المجذومين تقريباً طردوا من بيوتهم و اضطروا للذهاب إلى الصحراء حيث عاشوا هناك في ما يشبه "السكن" و هو عبارة عن حصير لتغطية رؤوسهم من الشمس الحارقة فقط،

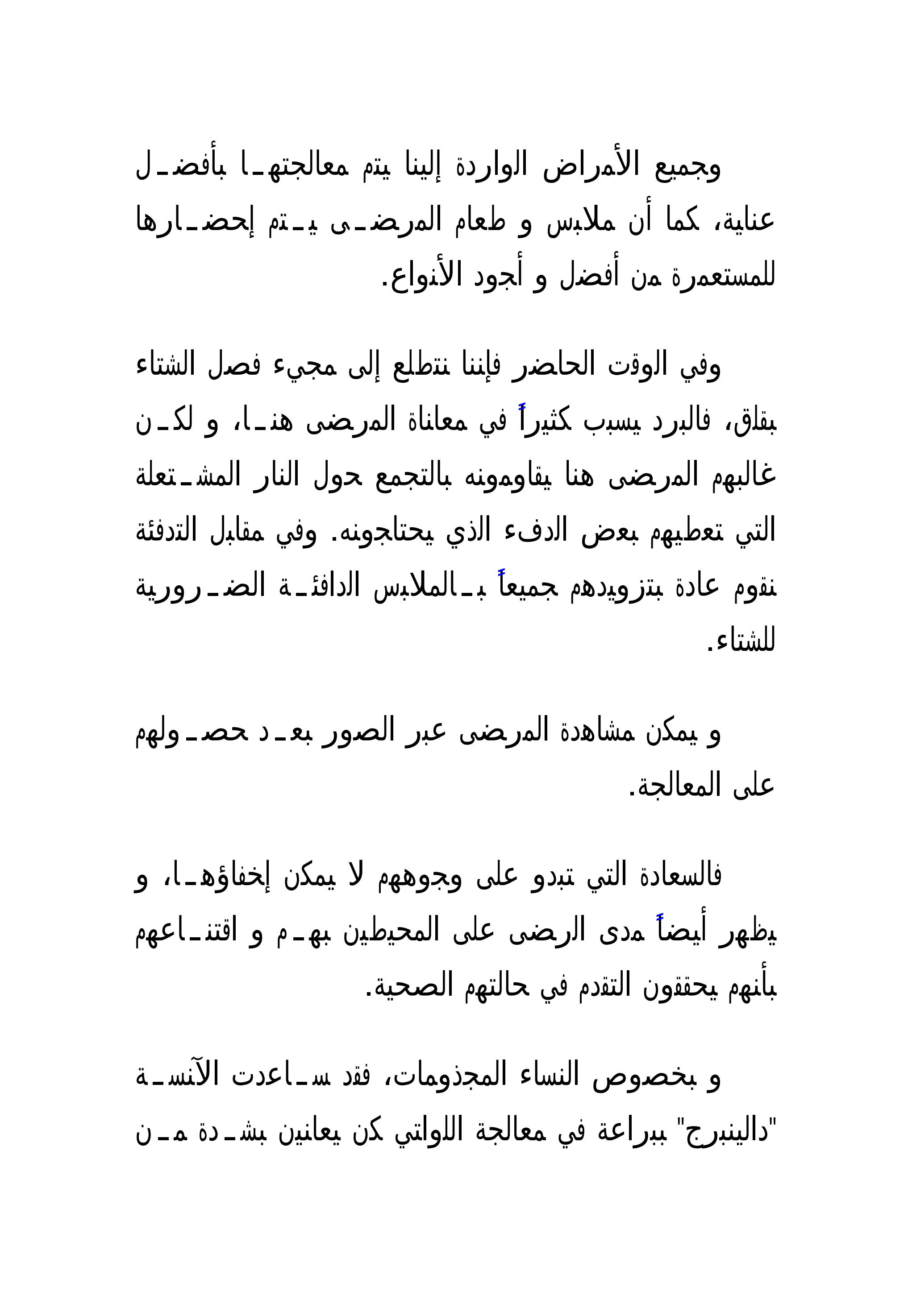
بينما لا يزيد طعامهم عن الطعام الذي يحصلون عليـه مـن التسول من الناس القريبين منهم.

لقد كان شقيقي خير عون و مساعد لي فـي العنايـة بهؤلاء المرضى و العناية بمساكنهم. فقد كان يقـوم يوميـاً بخدمة التبشير معهم. وقد كان بعضهم طموحين جداً لـتعلم القراءة تحت تعليماته. كما تعلموا المبـادئ الأساسـية فـي الإنجيل.

إننا نهتم علاوة على كل ذلـك بنظافـة المجـذومين و أكواخهم الصغيرة. فأكواخ المرضى يتم فحصها بشكل يومي و فردي واحداً واحداً، ويتم التنبيه للمحافظـة عليهـا، بـل والمسئولية عن أن تكون نظيفة إلى أقصى درجة.



مريضات الجذام في مستعمرة العمارة



وجميع الأمراض الواردة إلينا يتم معالجتهـا بأفضـل عناية، كما أن ملابس و طعام المرضـى يـتم إحضـارها للمستعمرة من أفضل و أجود الأنواع.

وفي الوقت الحاضر فإننا نتطلع إلى مجيء فصل الشتاء بقلق، فالبرد يسبب كثيراً في معاناة المرضى هنـا، و لكـن غالبهم المرضى هنا يقاومونه بالتجمع حول النار المشـتعلة التي تعطيهم بعض الدفء الذي يحتاجونه. وفي مقابل التدفئة نقوم عادة بتزويدهم جميعاً بـالملابس الدافئـة الضـرورية للشتاء.

و يمكن مشاهدة المرضى عبر الصور بعـد حصـولهم على المعالجة.

فالسعادة التي تبدو على وجوههم لا يمكن إخفاؤهـا، و يظهر أيضاً مدى الرضى على المحيطين بهـم و اقتنـاعهم بأنهم يحققون التقدم في حالتهم الصحية.

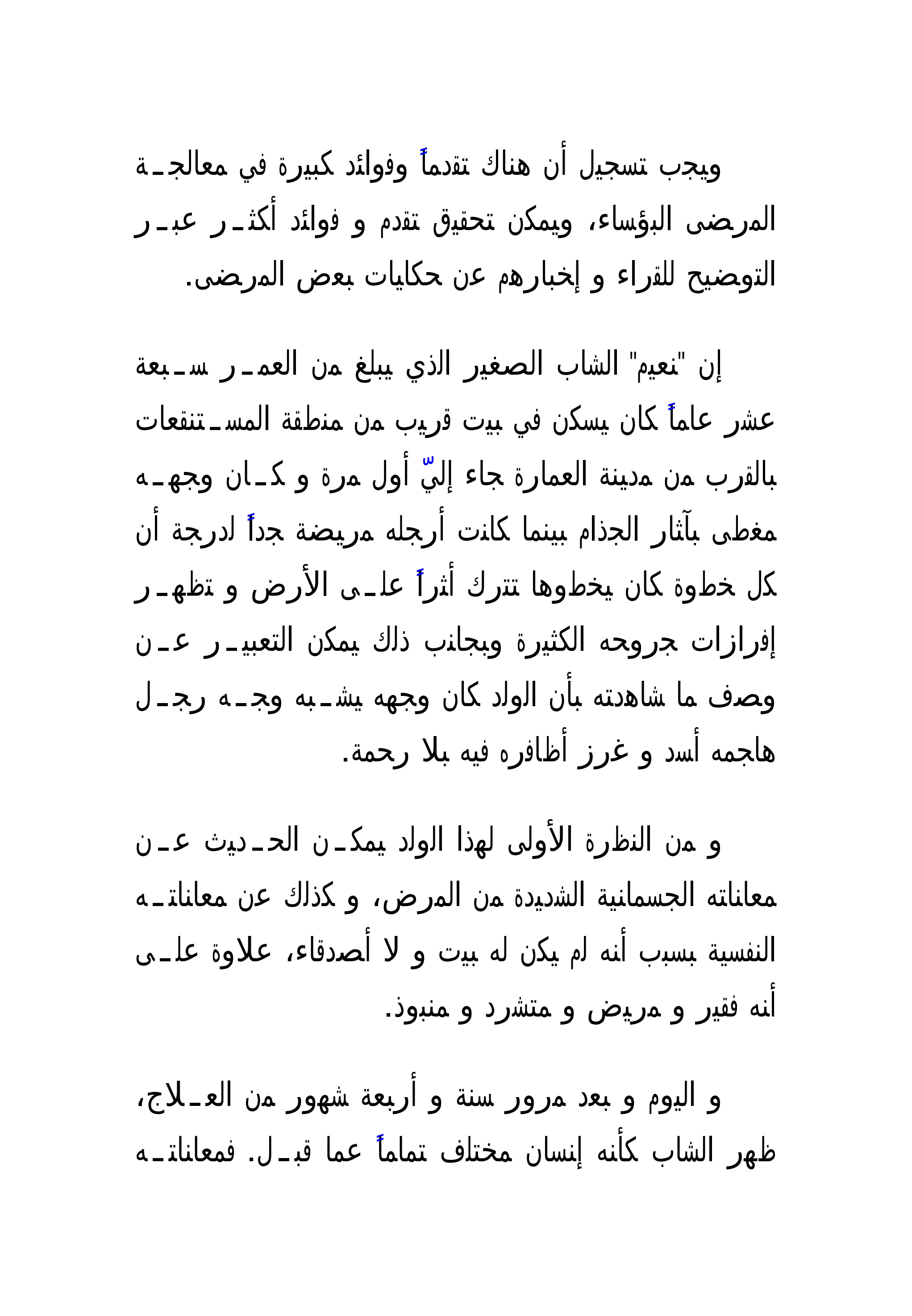
و بخصوص النساء المجذومات، فقد سـاعدت الآنسـة "دالينبرج" ببراعة في معالجة اللواتي كن يعانين بشـدة مـن

أمراض متنوعة. و كما نسمع دائماً فإنه في الشرق لا يوجد لسان أطول من لسان المرأة، و لذلك كنا في أحـال كثيـرة ندخل في مناقشات و نزاعات و شجار مـع المريضـات لا تنتهي!

أما أعمال التبشير و الأحاديث الدينيـة مـع الحـالات الفردية فقد كانت تقوم بها السيدة "موردياك" بمساعدة نسـاء أخريات من البعثة.

و في المستعمرة هناك فتاتان صغيرتان فقط في الوقـت الحاضر وهما من ضحايا المرض. وواحدة منهما أحضـرت من قبل إحدى قريباتها و ألقت بها عندنا، و رحلت عنها بلا رحمة.

و من المؤلم أن واحدة من النساء المصابات بالجـذام و المستمر علاجها عندنا تبين أن لديها ابنـا لديـه علامـات المرض أيضاً و لكن و ضعه لـيس سـيئاً. و المؤسـف أن والدته مريضة بالجذام منذ زمن طويل و هي تعاني بشدة من مرضها، و لكنها بالمقابل تقدر ما نقوم به تجاهها، و يظهـر أنها تعلمت من دروس المسيحية التي تعطف على الآخرين!



ويجب تسجيل أن هناك تقدماً وفوائد كبيرة في معالجة المرضى البؤساء، ويمكن تحقيق تقدم و فوائد أكثر عبر التوضيح للقراء و إخبارهم عن حكايات بعض المرضى.

إن "نعيم" الشاب الصغير الذي يبلغ من العمر سبعة عشر عاماً كان يسكن في بيت قريب من منطقة المستنقعات بالقرب من مدينة العمارة جاء إليّ أول مرة و كان وجهه مغطى بآثار الجذام بينما كانت أرجله مريضة جداً لدرجة أن كل خطوة كان يخطوها تترك أثراً على الأرض و تظهر إفرازات جروحه الكثيرة وبجانب ذلك يمكن التعبير عن وصف ما شاهدته بأن الولد كان وجهه يشبه وجه رجل هاجمه أسد و غرز أظافره فيه بلا رحمة.

و من النظرة الأولى لهذا الولد يمكن الحديث عن معاناته الجسمانية الشديدة من المرض، و كذلك عن معاناته النفسية بسبب أنه لم يكن له بيت و لا أصدقاء، علاوة على أنه فقير و مريض و متشرد و منبوذ.

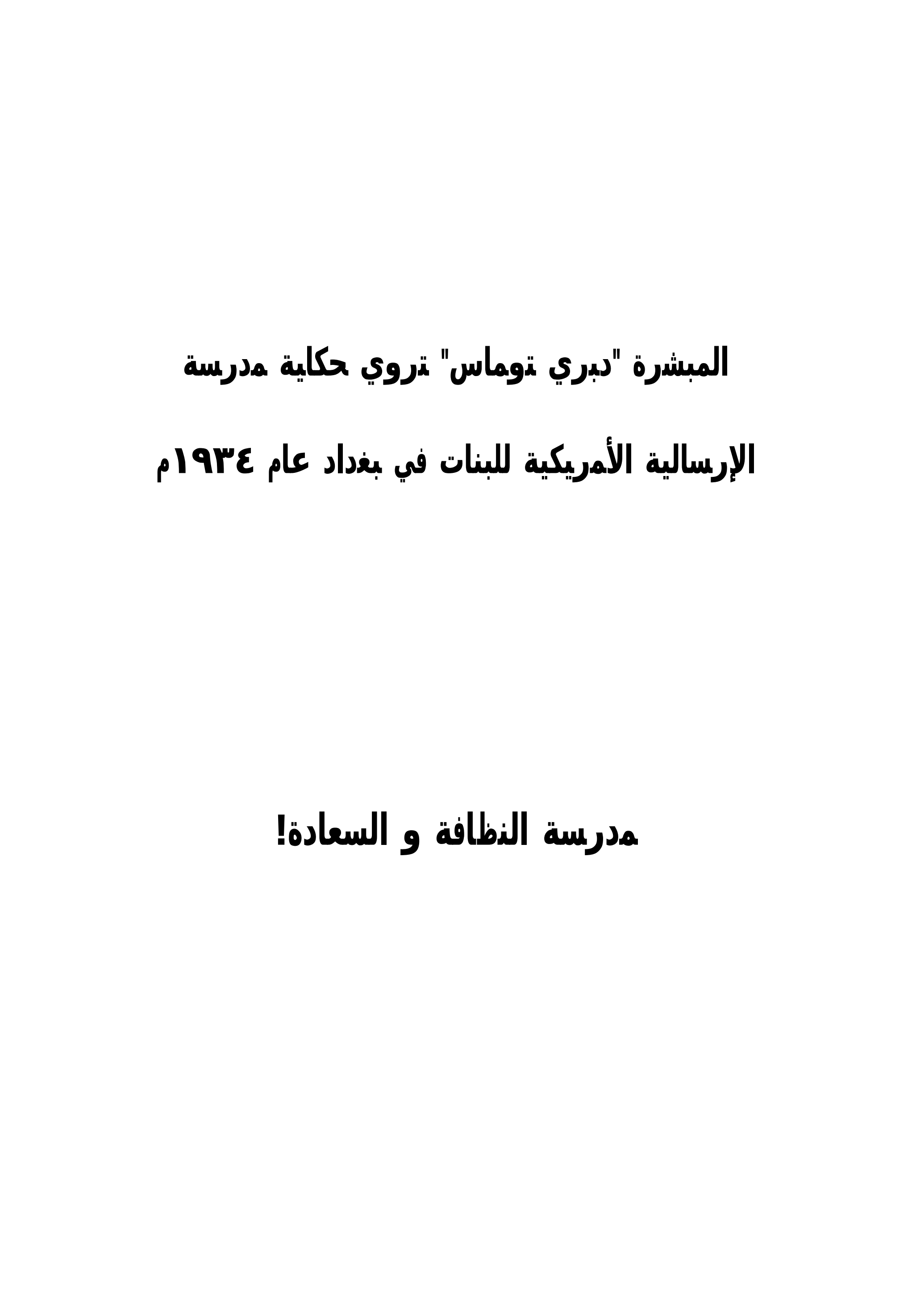
و اليوم و بعد مرور سنة و أربعة شهور من العلاج، ظهر الشاب كأنه إنسان مختلف تماماً عما قبل. فمعاناته

الجسدية راحت تختفي، و آثار جروحه مـن الجـذام بـدأت تختفي تدريجياً، وبدت جميع الأدلة تظهر سعادته و رضاه و كلها واضحة من وجهه.

وهذا الشاب الصغير يمثل أكثـر المرضـى احترامـاً للتعليمات و الأكثر امتثالاً للنظافة الشخصية، وقـد أخبرنـي شقيقي كذلك بأن هذا الشاب أيضاً يعتبر من أفضل الرجـال الطموحين من المرضى في دروسه و في رغبته قـراءة و تعلم الإنجيل.

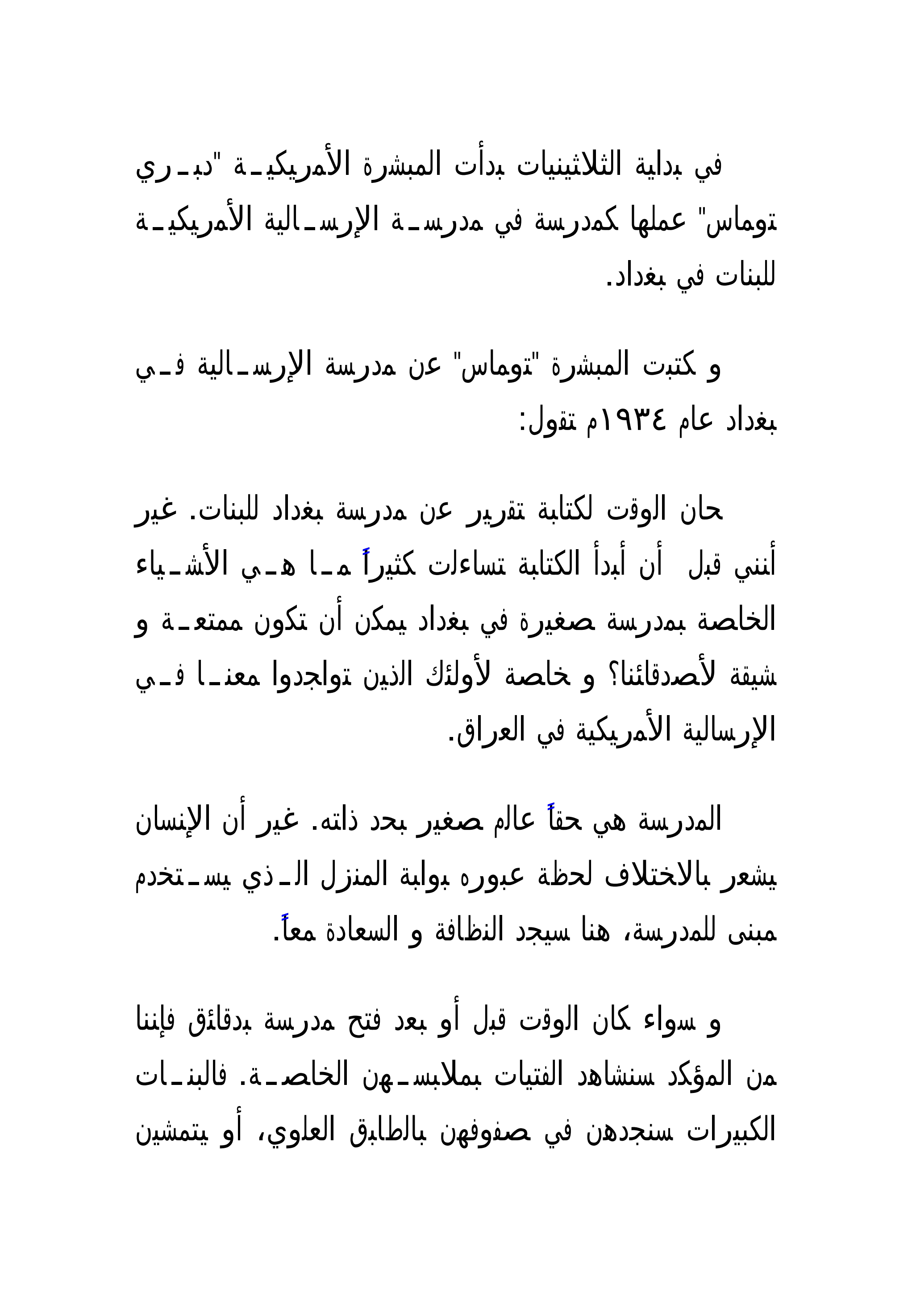
و لا يمكن وصف مدينة العمارة في النهايـة إلا أنهـا مركز لأكثر المناطق خصوبة في العراق. فـالمزارع بهـا أكثر انتشاراً في أراضيها. وفيها يزرع القمح و الشـعير و الرز الذي نجلبه، ليكون طعاماً للمرضى عندنا.

وإذا أردنا مساعدة مرضى الجذام بطريقـة أفضـل و بوسائل أقوى، و إذا أردنا أن نطلعهم على تضحية المسيح و خدمة المسيحية للناس فإن علينا مضاعفة العمل فـي هـذه المستعمرة.



المبشرة "دبري توماس" تروي حكاية مدرسة الإرسالية الأمريكية للبنات في بغداد عام ١٩٣٤م

مدرسة النظافة و السعادة!



في بداية الثلاثينيات بدأت المبشرة الأمريكيـة "دبـري توماس" عملها كمدرسة في مدرسـة الإرسـالية الأمريكيـة للبنات في بغداد.

و كتبت المبشرة "توماس" عن مدرسة الإرسـالية فـي بغداد عام ١٩٣٤م تقول:

حان الوقت لكتابة تقرير عن مدرسة بغداد للبنات. غير أنني قبل أن أبدأ الكتابة تساءلت كثيراً مـا هـي الأشـياء الخاصة بمدرسة صغيرة في بغداد يمكن أن تكون ممتعـة و شيقة لأصدقائنا؟ و خاصة لأولئك الذين تواجدوا معنـا فـي الإرسالية الأمريكية في العراق.

المدرسة هي حقاً عالم صغير بحد ذاته. غير أن الإنسان يشعر بالاختلاف لحظة عبوره بوابة المنزل الـذي يسـتخدم مبنى للمدرسة، هنا سيجد النظافة و السعادة معاً.

و سواء كان الوقت قبل أو بعد فتح مدرسة بدقائق فإننا من المؤكد سنشاهد الفتيات بملابسـهن الخاصـة. فالبنـات الكبيرات سنجدهن في صفوفهن بالطابق العلوي، أو يتمشين

جنب الشرفة وأيديهن بأيدي بعض. أما البنـات الصـغيرات منهن فيبدين كفرقة عيد الميلاد التي تغني: "مع رنين الضحك من المرح... الضحك يمزق الأجواء الكئيبة".

وجميع بنات المدرسة مستعدات دائماً لترك ألعـابهن و الركض للترحيب بتحية الصباح الجميلة "صباح الخير"، بينما تنشغل الطالبات المستجدات بزيادة معارفهن وقـدراتهم فـي اللغة الإنكليزية.



تلميذات مدرسة البصرة

وفي الساعة السابعة و النصف صباحاً في الصـيف، و الثامنة و النصف شتاء، يقرع جرس المدرسـة و تصـطف البنات في الفناء حسب صفوفهن. و ما إن تكتمل الصـفوف حتى نبدأ في الاستماع إلى التراتيـل العربيـة أو الوصـايا المسيحية العشر بأصواتهن، تليهـا ترنيمـة صـلاة باللغـة الإنكليزية، و بعدها تذهب البنات إلـى صـفوفهن بالطـابق العلوي من المبنى المطل على الفناء.

وفي المدرسة هناك شرفتان واسـعتان علـى جـانبي المبني. و الشرفتان تستخدمان أحياناً كغرفتين عندما تمتلـئ جميع الصفوف و تغص بالتلميذات. وعندما يحـل الشـتاء تكون غرف المدرسة ذات الأرضية القرميدية، باردة لدرجة أن يشعر معها المدرسون والتلميذات بالضيق منها. ويصـل هذا الضيق من البرودة إلى درجة أن يتم التنافس بـين كـل الصفوف تقريباً للحصول على مكان في الشـرفة المشمسـة الدافئة و التي كنا نسميها "ردهة الشمس".

وفي الفسحة، كانت التلميذات وحتى المدرسون يذهبون إلى فناء المدرسة للحصول على دفء الشمس في الشتاء.

لكن في الصيف تختلف الأمور كثيراً بالطبع. فالبنات يحاولن قدر الإمكان الابتعاد عن الشمس و الهروب منها. وكنا نواجه مشكلة أننا لا نستطيع استخدام السراديب، رغم الظلال والحرارة القليلة التي توفرها، لأنها ببساطة خالية من الإنارة و التهوية وغير صالحة للعمل المدرسي.

وعموماً فنحن في الصيف نبكر دائماً في بدء اليوم الدراسي ثم ننتهي مبكرين أيضاً في الظهر. فعند الساعة الواحدة ظهراً نأمر الطالبات بالانصراف و الذهاب إلى بيوتهن.

فالحر في العراق شيء رهيب و مروع ولا يطاق و خاصة في أوقات الظهر. و عادة ما تستغل بنات المدرسة فترة الظهيرة للنوم بعد جبة الغداء لمدة ساعة أو أكثر، ثم ينهضن لأداء واجباتهن المدرسية لليوم التالي. لكن الواقع أن لا أشهر الشتاء الباردة ولا أشهر الصيف الحارة كانت تمنع

من إعطاء نتائج دراسية جيدة، فالأداء الدراسي يمضي فـي كثير من الأحيان ولا يتأثر بأية معوقات تذكر.

وعندنا في المدرسة بنات من جميع الطبقات الاجتماعية في العراق و ينعكس ذلك على بيوتهن التي حضرن منها.

فبعضن البنات جئن من بيوت لا يمكن تصور فخامتها، بيوت جدرانها مغطاة بالمرايا الفاخرة و مملوءة بالكراسي و الأرائك الغالية في معظم الغرف، و تشبه البيوت الأوروبية الفاخرة. و هناك بنات من بيوت فقيرة مكونـة مـن غرفـة واحدة فقط.

و لكن في المدرسة تتوارى الطبقات الاجتماعية، فابنـة المسئول الحكومي الكبير تجاور البنت الفقيرة التي تنام بقرب الأبقار في بيتها، و هنا في المدرسة ينسي المستوى المعيشي للفتاة، فالبنت التي تدفع عشـرة دولارات كقسـط للفصـل الدراسي تتساوى مع الفتاة الأخرى الأقل مسـتوى، حيـث يشتركن جميعا في الأكل و الدراسة واهتمام المعلمة لا فرق.

غير أنه يمكن القول بوجود فارق وحيد وهو أن المعلمة تضطر أن تعطى الفتيات الأكثر فقراً و المشردات اهتمامـاً أكثر و انتباهاً ورعاية و ذلك لمساعدتهن على الاسـتيعاب و الفهم و متابعة الدروس.

إننا نتساءل أحياناً في مدرسة الإرسالية في بغداد عمـا يخبئه المستقبل للبنات ذوات المقدرات الفائقة و الإبداعيـة و المتفوقات دراسياً، علاوة على إخلاصهن و عشقهن للمدرسة و الحياة داخلها.

إن تساؤلاتنا في محلها. فالكثير من الفتيات الموهوبـات لا نعرف إمكانية حصولهن على تدريب و لو بسيط للعمـل بعد المدرسة.

وفي مقابل هؤلاء الفتيات نجد مجموعة بنات يئسنا نحن من محاولات مضنية لإصلاحهن و جعلهن يشعرن بأهميـة المدرسة و التعليم عموماً.

ومعظم فتيات مدرسة الإرسالية الأمريكية هنا في بغداد هن فتيات فقيرات جداً وينحدرن من عوائل معدمـة. و فـي العادة يتم تزويجهن وهن صغيرات في السن. ورغم رثـائي لهن لتلك الحياة البائية التي تنتظرهن، إلا أن هنـاك علـى الأقل بضع سنوات يقضينها في المدرسة يجدن فيها شيئاً من الطهارة و النقاء و النزاهة و الاحترام وغيرها.

لكن سن الزواج بالنسبة للفتيات اللواتي ينحـدرن مـن طبقات اجتماعية متوسطة أو عالية هو أكبر بالتأكيد. فأولئك الفتيات يبقين سنوات أكثر فـي المدرسـة مـن زمـيلاتهن الفقيرات.

و لتأكيد هذا، فمن بين ثماني عشرة فتاة تخـرجن مـن مدرستنا الإعدادية، ذهبت اثنتا عشرة فتاة منهن إلى مدارس عليا في بغداد لمواصـلة دراسـتهن، و بعضـهن واصـلن دراستهن في مدينة بيروت بلبنان حيث درسن في المدرسـة الأمريكية للبنات. وقد تزوجت أربع مـنهن، ثـلاث مـنهن تزوجن موظفين وواحدة رجل أعمال.

وخارج عالم البنات، فقدنا قبل سـنة إحـدى أفضـل معلمات المدرسة التي عملت معنـا لمـدة ثمـاني سـنوات متواصلة وكانت مسئولة عن المدرسة الإعدادية.

وقد تركت هذه المعلمة العمل رغم أنها احتلت لها مكانة كبيرة في قلوب التلميذات و المعلمات معاً.

غير أننا استطعنا تعويض هذه المعلمة بتوظيف معلمـة جديدة هي خريجة كلية البنات في بيروت. وقد بدأت الآنسـة عملها بهمة، وهي تبدو ذات كفاءة و حاصلة علـى تـدريب جميل، ومن المؤكد أنها مسرورة بمشاركتنا بأعمال التبشير.

ولعل من المثير للاهتمام رؤية تفاعل المعلمين الجدد في المدرسة فلدينا الآن مجموعـة معلمـين سـوريين و هـم مسيحيون بالطبع، وهؤلاء عندما جاءوا لأول مـرة فوجئـوا كثيراً بمعرفة أن ثلث تلميذاتنا في المدرسة هن من عوائـل غير مسيحية، إلا أنهن متفاعلات جداً مع الرسالة النصرانية و التعاليم المسيحية. كما يستغرب الكثير من المعلمين الجدد من تجاوب الطالبات غير العادي في دروس الكتاب المقدس وغيره.

وليس هذا التفاعل الجميل هو وحده الذي يثير تفاؤلنا فقط، بل إن تطور مدرسة الإرسالية كان يظهر للجميع بوضوح كل عام.

وهذا التطور كان يأتي في كثير من الأحيان من إصرارنا على النجاح. فقد كانت هناك فتيات كسولات وكن على وشك أن يطردن من المدرسة لخوفنا أن يؤثرن على زميلاتهن. لكننا قمنا بدلاً من طردهن بمساعدتهن بكل الطرق، و نجحن لاحقاً و تمت مكافأتهن على ذلك. و استطاعت بعض الطالبات المجتهدات الأكبر سناً مساعدة هؤلاء الفتيات في الدراسة و الاجتهاد و احترام الأنظمة و قد نجحن في ذلك، وقد قدمن كل ذلك لإحساسهن بالمسئولية تجاه أخواتهن الطالبات الأخريات ذوات الحظ القليل من الاجتهاد.

المبشر الأمريكي "جي. بينيغر" يعود إلى العراق عام ١٩٣٤م بعد غيبة طويلة:

كم تغيرت البصرة!

"كم تغيرت البصرة" هكذا صاح المبشر الأمريكي "جي. بينيغر" لأول مرة عندما رأى البصرة بعد خمسة وعشرين عاماً من رحيله عنها.

فقد قضى المبشر "بينيغر" بعض سنوات شبابه الأولى بالمدينة في أوائل القرن العشرين، و عندما عاد إليها في بدايات عام ١٩٣٤م لم يجد أمامه شيئاً يكتبه سوى الذكريات و مقارنة البصرة القديمة و الجديدة... فكتب يقول:

"كم تغيرت البصرة" هكذا وجدت السنوات الخمس و العشرين الماضية قد غابت عن ذكرياتي مؤقتاً و لكنها بقيت في وجداني، وجزءاً من حياتي الشخصية.

جئت إلى البصرة لأول مرة عام ١٩٠٩م لتعلم اللغة العربية و من ثم الاشتراك في أعمال الإرسالية الأمريكية المنتشرة في منطقة الخليج و الجزيرة العربية ، ثم رحلنا عنها بعد فترة قصيرة.

و الآن بعد هذه السنوات الطويلة عدنا إلى البصرة للإقامة فيها للعمل التبشيري المسيحي.

و أظن أن من أصعب الأشياء اليوم عقد مقارنة بين البصرة القديمة والبصرة اليوم، فهذه المقارنة تعني باختصار

أن نقارن مع أنفسنا، فإذا تغيرت المدينة فقد تغيرنـا نحـن أيضاً. إنني أتذكر تلك الأوقات عندما جئت إلى شرق العشار جنوب العراق. حيث لا تزال تقع البيوت القديمة و القديمـة جداً، و التي هي حتى الآن موجودة، حيث يعـيش الـدكتور بينت و الدكتور فان أيس و أنا، و عدد غيـر محـدود مـن الحيوانات المدللة و الكلاب و الببغاوات.

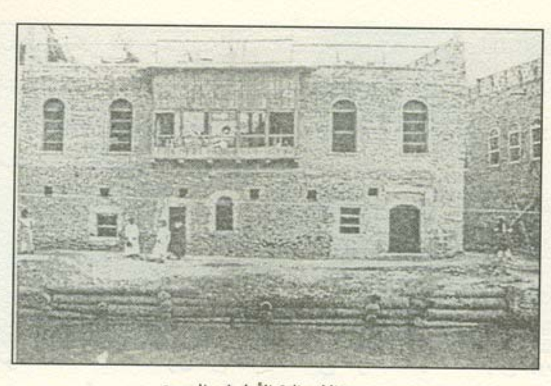
وعندما نجد الشارع الضيق سوف نجد المعمل الطبـي، وهنا غرف للدكتور وورال وعائلته، و بيت للاستراحة تعيش فيه السيدة فوجيل الممرضة المسـئولة فـي المستشـفى. و المنزل المجاور للمبنى هو المستشفى المشـهور الـذي بـدأ بواسطة الدكتور وورال ثم واصل العمل فيه و بنجاح كبيـر الدكتور بينت.

و يمكن القول إن البيت القديم للإرسالية شارك في جميع التغيرات التي حدثت في السنوات الماضية. فخلال الحـرب أصبح مقر قيادة "جمعية الشبان المسيحيين"، وبعـدها بفتـرة قصيرة أصبح فندقاً، و الآن أصبح مدرسة للبنـات. و هـذا البيت يذكرنا ببدايات الحرب، ثم بالتطور التجاري السريع و

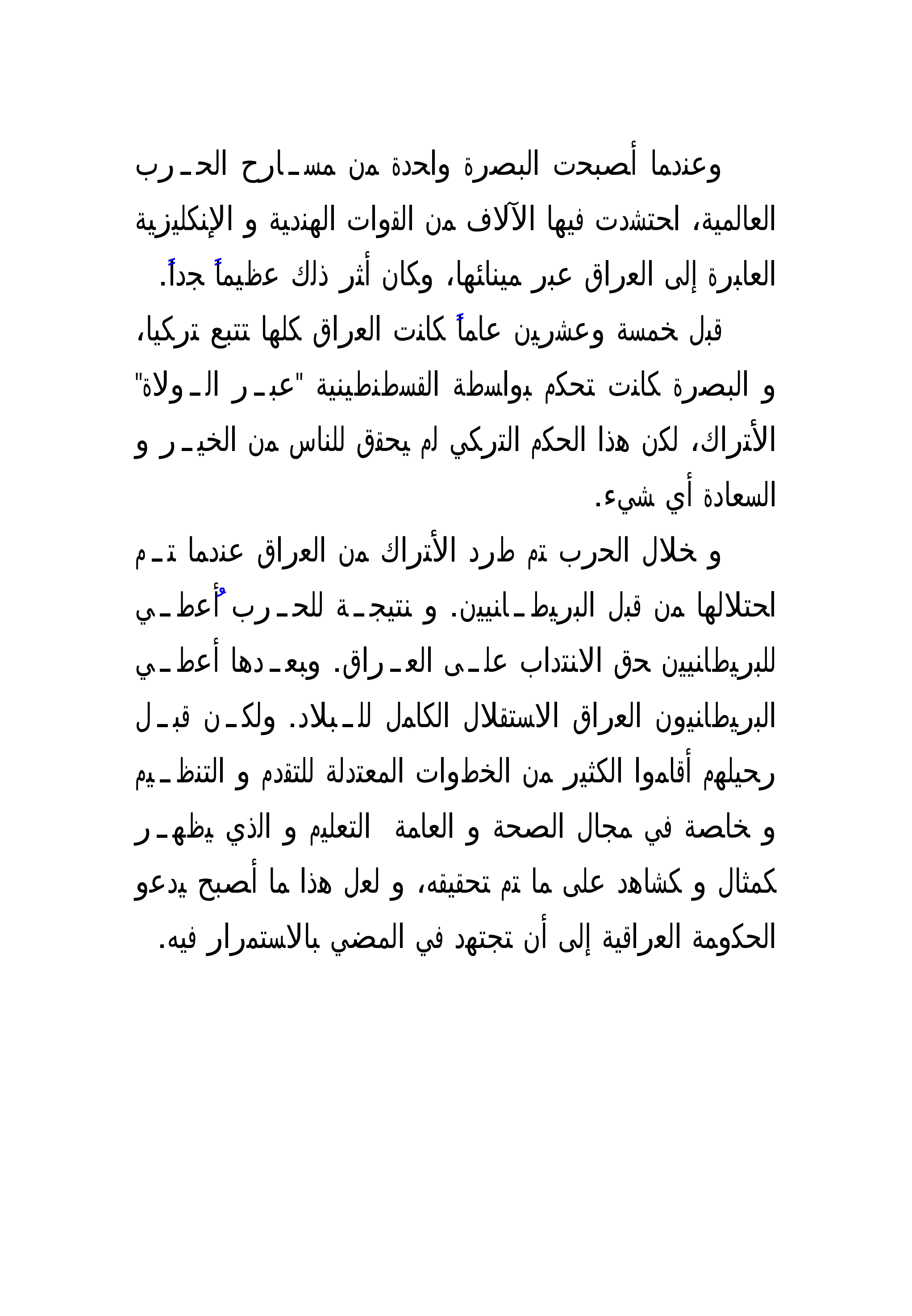
الزوار و العابرين الكثيرين، وثالثاً و أخيراً فإنـه يـذكرنا بمجيء التعليم الحديث.

لقد أصبحت البصرة هي مكان الماضي، و التاريخ الذي لا ينسى، و موقعها على الخارطة يدل على ذلك ، فالمدينـة تبدو من الغرب إلى الشمال صحراء منفصلة عن الحياة ، و من الجنوب تبعد أكثر من ألف وخمسمائة ميل عن الهند عند السفر عبر الخليج "الفارسي".

وللذهاب إلى البصرة من أمريكا، فإن على الإنسـان أن يذهب إلى بومبي في الهند ثم يأتي إلى الخليج غيـر السـفن الأسبوعية.



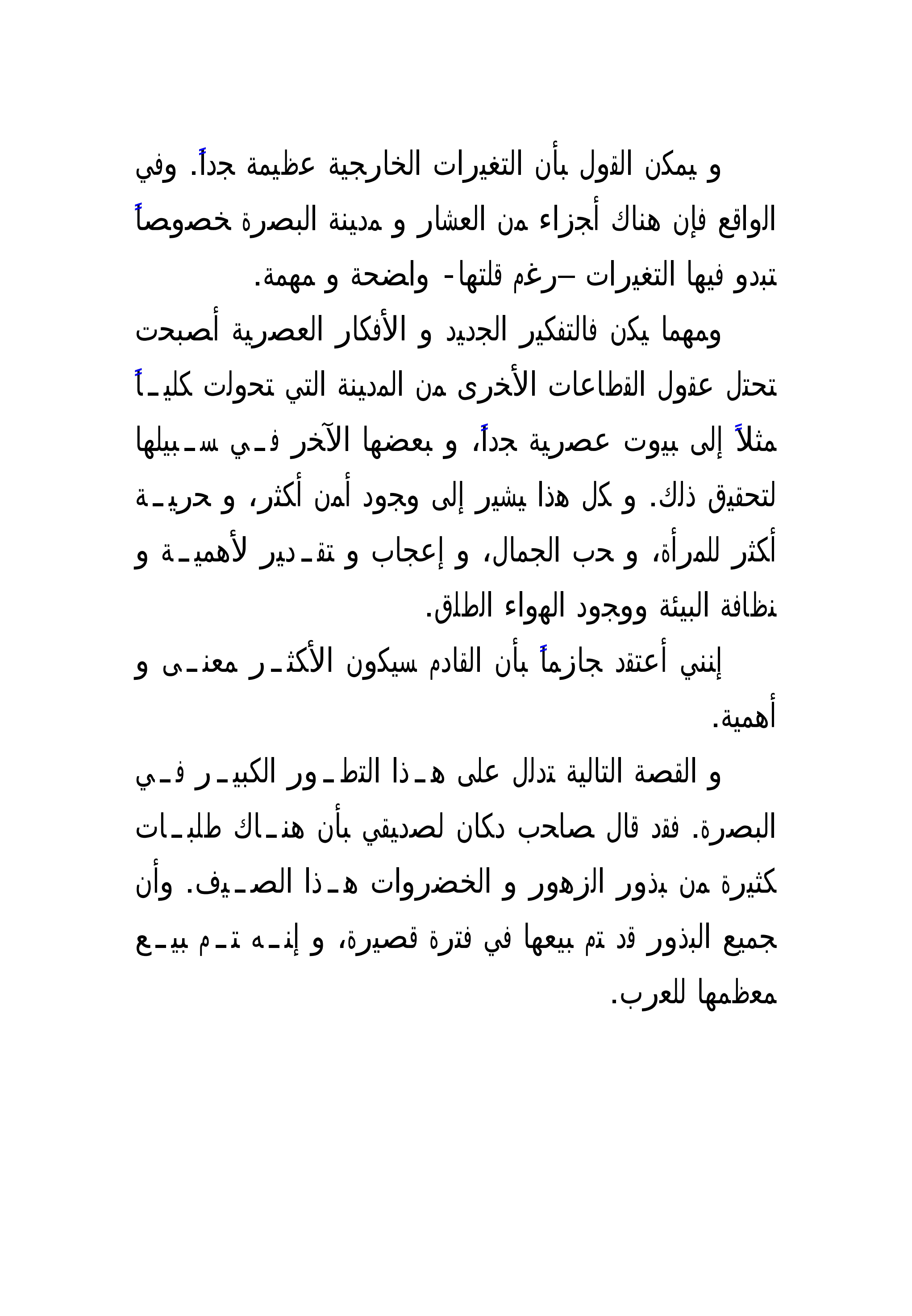
مبنى الإرسالية الأول في البصرة



وعندما أصبحت البصرة واحدة من مسـارح الحـرب العالمية، احتشدت فيها الآلاف من القوات الهندية و الإنكليزية العابرة إلى العراق عبر مينائها، وكان أثر ذلك عظيماً جداً.

قبل خمسة وعشرين عاماً كانت العراق كلها تتبع تركيا، و البصرة كانت تحكم بواسطة القسطنطينية "عبـر الـولاة" الأتراك، لكن هذا الحكم التركي لم يحقق للناس من الخيـر و السعادة أي شيء.

و خلال الحرب تم طرد الأتراك من العراق عندما تـم احتلالها من قبل البريطـانيين. و نتيجـة للحـرب أُعطـي للبريطانيين حق الانتداب علـى العـراق. وبعـدها أعطـي البريطانيون العراق الاستقلال الكامل للـبلاد. ولكـن قبـل رحيلهم أقاموا الكثير من الخطوات المعتدلة للتقدم و التنظـيم و خاصة في مجال الصحة و العامة التعليم و الذي يظهـر كمثال و كشاهد على ما تم تحقيقه، و لعل هذا ما أصبح يدعو الحكومة العراقية إلى أن تجتهد في المضي بالاستمرار فيه.



و يمكن القول بأن التغيرات الخارجية عظيمة جداً. وفي الواقع فإن هناك أجزاء من العشار و مدينة البصرة خصوصاً تبدو فيها التغيرات –رغم قلتها- واضحة و مهمة.

ومهما يكن فالتفكير الجديد و الأفكار العصرية أصبحت تحتل عقول القطاعات الأخرى من المدينة التي تحولت كلياً مثلاً إلى بيوت عصرية جداً، و بعضها الآخر في سبيلها لتحقيق ذلك. و كل هذا يشير إلى وجود أمن أكثر، و حرية أكثر للمرأة، و حب الجمال، و إعجاب و تقدير لأهمية و نظافة البيئة ووجود الهواء الطلق.

إنني أعتقد جازماً بأن القادم سيكون الأكثر معنى و أهمية.

و القصة التالية تدلل على هذا التطور الكبير في البصرة. فقد قال صاحب دكان لصديقي بأن هناك طلبات كثيرة من بذور الزهور و الخضروات هذا الصيف. وأن جميع البذور قد تم بيعها في فترة قصيرة، و إنه تم بيع معظمها للعرب.

و بينما كانت مصابيح الزيت القليلة المدخنة هي التـي تنير الشوارع في البصرة لـيلاً، فـإن المدينـة الآن تتـألق بالمصابيح الكهربائية في الليل.


تلميذات مدرسة البصرة

وفي الماضي كانت مصادر المياه الرئيسية تـأتي مـن جدول البصرة، وعندما يأتي المد فإنه يقوم بتزويـد المـاء، وعندما يهطل المطر تكون هناك البلاعات. وهنا تقوم النساء بغسل ثياب العائلة و يقوم حمالو المياه بجلب المـاء الحلـو للبيوت. و لكن الآن هناك وفرة في المياه النظيفة التي تزود

بها البصرة بواسطة نظام مياه وهو متوفر في جميع أجـزاء المدينة.

ولعل هذا التقدم الكبير بالنسبة للبصرة هو شيء عظـيم لا يمكن إخفاؤه.

وفي بدايات القرن كانت هناك مدارس تستحق بصعوبة تسميتها مدرسة . لن الآن هناك نظام منتظم للتعليم مع وجود عدد من المدارس الممتازة في مناطق مختلفة مـن المدينـة. وقد اختفت الأمية بسرعة و تعلمت الكثير من الفتيات، بل إن المدارس هنا تطورت لمصـلحتهن، و الحكومـة وضـعت خطوات هامة لتقديم التعليم لهن.

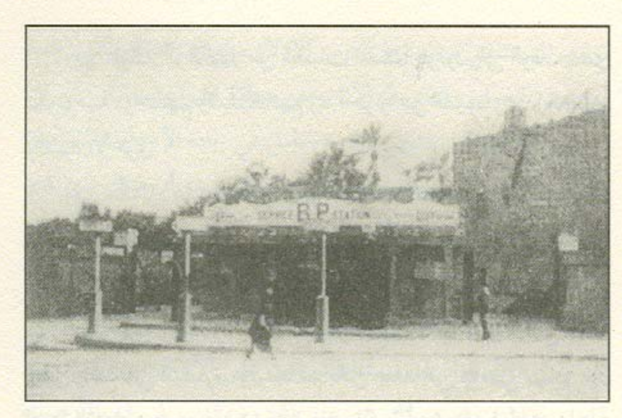
ولكن ما أثر فيّ خاصة هو الحرية الكبيرة التي صارت تتمتع بها النساء بشكل عام.

لقد كان الشال الحريري الثقيل الذي يغطي كل أجـزاء جسم المرأة و التي كانت حتى النساء المسيحيات مضطرات إلى أن يتهادين به في مشيتهن على جانب الشـارع عنـدما يخرجن مفروضاً عليهن و مقيداً من قبل الحكومة الإسلامية. إن هذا الشال و تلك القيود كلها قد اختفت الآن.

فالنساء الآن أصبحن يخرجن للشارع بملابس أوروبيـة محافظة، وغير مباليات و غير منزعجات بأية انتقادات يمكن أن تصادفهن.

بل حتى حجاب النساء المسلمات أصبح أقل صـرامة، فالمرء يستطيع الآن أن يرى النساء يتسوقن في الشـوارع و يمشين أحياناً بدون خمار أو أحياناً يظهرن وجوههن عنـدما يتحدثن مع أصحاب المحلات المسيحيين، وهو شيء كان لا يسمح به عندما جئت إلى البصرة للمرة الأولى.

وفي إحدى الليالي أقامـت مدرسـة الإرسـالية العليـا برنامجاً في حديقتنا الخاصة. وقد كان الشباب الصغار هـم لجنة القيادة، وهم الذين ينظمون. و كان هنا بعض الشـيوخ الكبار في السن و لكـنهم كـانوا يجلسـون مـع جمهـور المشاهدين.



محطة وقود في البصرة

لقد كان البرنامج منظماً جداً و مثالياً، ولكن معظم ما تم ملاحظته هو وجود ثلاث فتيات فقط في البرنـامج، واعتقـد الجميع أن معظم المشاهدين هم من المسلمين، ولكن الفتيـات تحدثن بقوة و تواضع و ثقة و بشكل مؤثر جداً و نلن إعجاب الجميع.

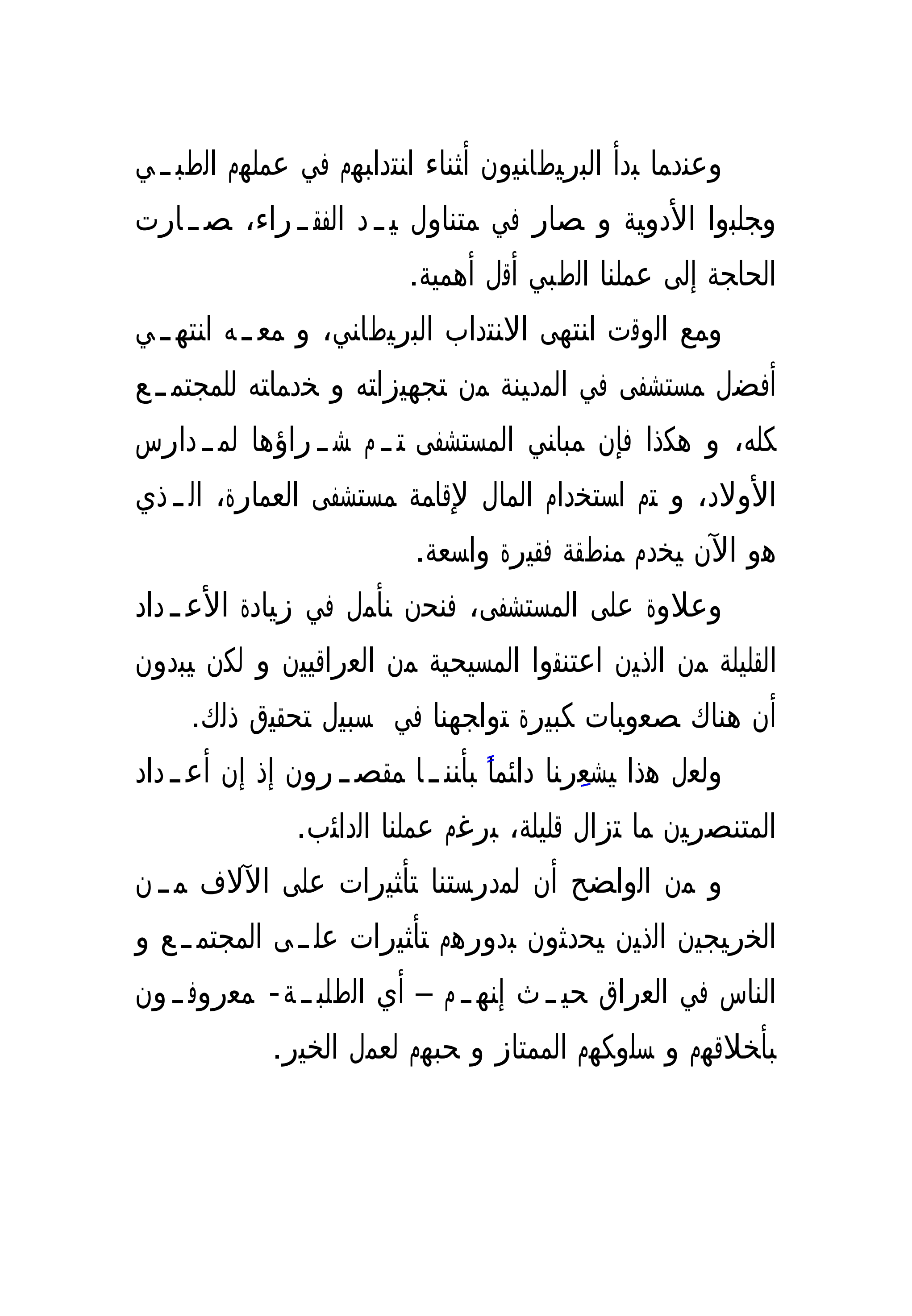
ولابد من القول إن تلك الفتيات قد تحررن من الأوهـام الكثيرة في عقولهن حول الأفكار المتخلفة عن النسـاء التـي تتصور أنهن أشخاص أدنى من غيرهن.

و من المؤكد أن الكثير من الشباب المسلم يتوقون إلى الوقت الذي تكون فيه زوجاتهم و شقيقاتهم ربما أحراراً من القيود و من الحجاب و القيود الأخرى.

وفي مقابل هذه التغيرات الكثيرة و المدهشة في البصرة فقد حدثت عندنا تغيرات في الإرسالية أيضا. فبينما كنا أيام زمان لا نمتلك أرضاً خاصة، فتحن الآن نمتلك أرضين، واحدة منهما أرض ممتازة عند جدول البصرة. فوق العشار مباشرة، أما الثانية فهي قطعة أرض رائعة في البصرة. و بينما لم يكن عندنا في الماضي مبانٍ فإن لدينا الآن بيتين و مبنى مدرسة في ملكية أرض العشار. و بنايتين ممتازتين، واحدة بنيت للسيدات و الأخرى مدرسة للبنات في مدينة البصرة.

لكن عملنا الطبي في البصرة انقطع خلال تلك السنوات، و لم يكن منتظماً.

فخلال الحرب توقف العمل بسبب فقدان الأطباء الذين يمكن أن يمارسوا العمل.



وعندما بدأ البريطانيون أثناء انتدابهم في عملهم الطبـي وجلبوا الأدوية و صار في متناول يـد الفقـراء، صـارت الحاجة إلى عملنا الطبي أقل أهمية.

ومع الوقت انتهى الانتداب البريطاني، و معـه انتهـي أفضل مستشفى في المدينة من تجهيزاته و خدماته للمجتمـع كله، و هكذا فإن مباني المستشفى تـم شـراؤها لمـدارس الأولاد، و تم استخدام المال لإقامة مستشفى العمارة، الـذي هو الآن يخدم منطقة فقيرة واسعة.

وعلاوة على المستشفى، فنحن نأمل في زيادة الأعـداد القليلة من الذين اعتنقوا المسيحية من العراقيين و لكن يبدون أن هناك صعوبات كبيرة تواجهنا في سبيل تحقيق ذلك.

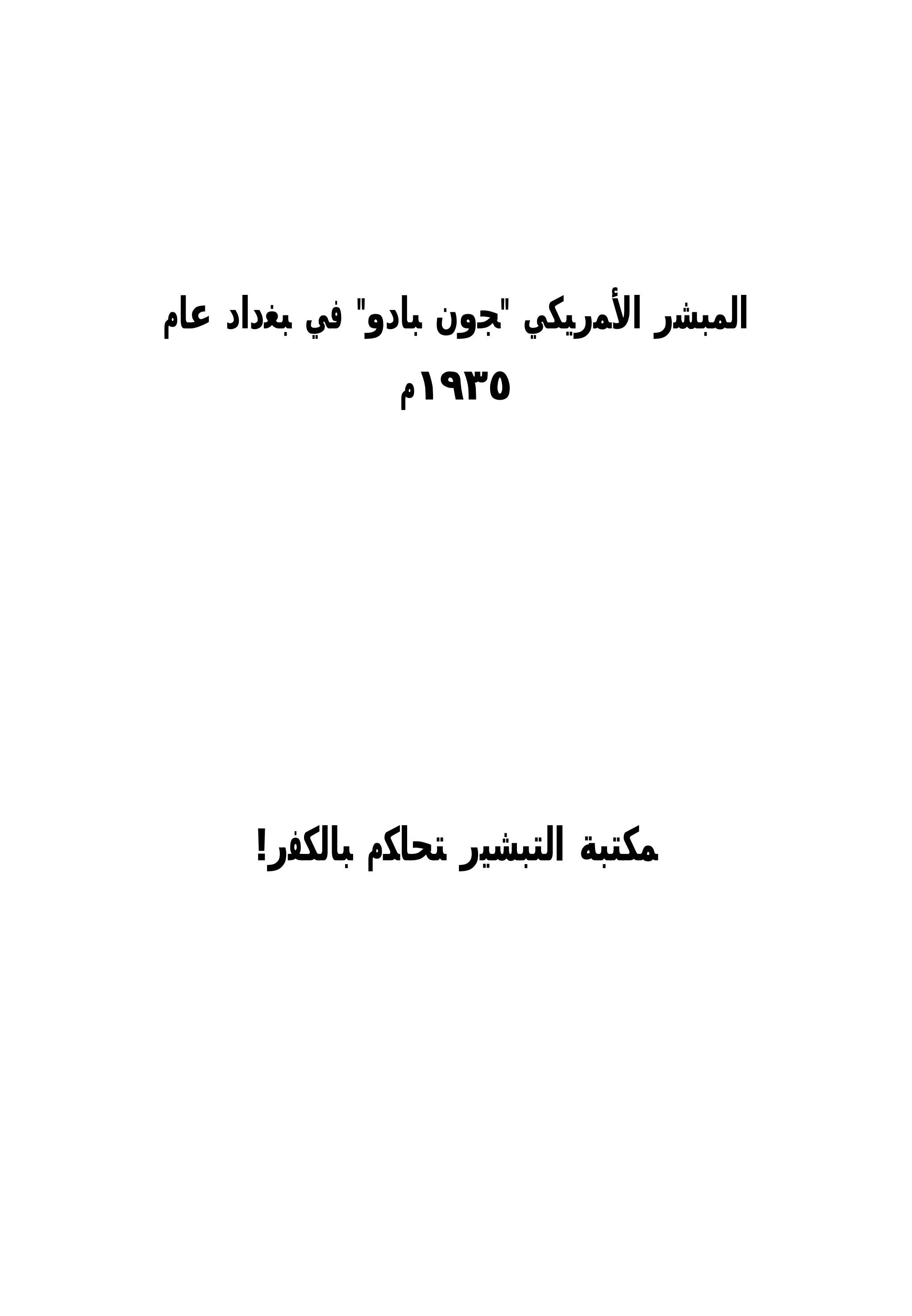
ولعل هذا يشعِرنا دائماً بأننـا مقصـرون إذ إن أعـداد المتنصرين ما تزال قليلة، برغم عملنا الدائب.

و من الواضح أن لمدرستنا تأثيرات على الآلاف مـن الخريجين الذين يحدثون بدورهم تأثيرات علـى المجتمـع و الناس في العراق حيـث إنهـم – أي الطلبـة- معروفـون بأخلاقهم و سلوكهم الممتاز و حبهم لعمل الخير.

وحتى لو كانوا ليسوا مسيحيين، فإن عقـول هـؤلاء مفتوحة وهم أصدقاؤنا في هذه البلاد. و الآن وقـد تحققـت إرادة العراق و الوطنية، و انسحبت جميع الإدارات الأجنبية من العراق سريعاً، فإن الكثير هنا أدرك أن الحرية لوحـدها لا تكفي ، ولكن السلوك مطلوب للحفاظ على الحرية من أن يساء استعمالها ، فالحرية شيء ثمين مع إننا نلاحظ أنه فـي كل العراق لا يوجد أحد يسئ إلى هذه الحرية.

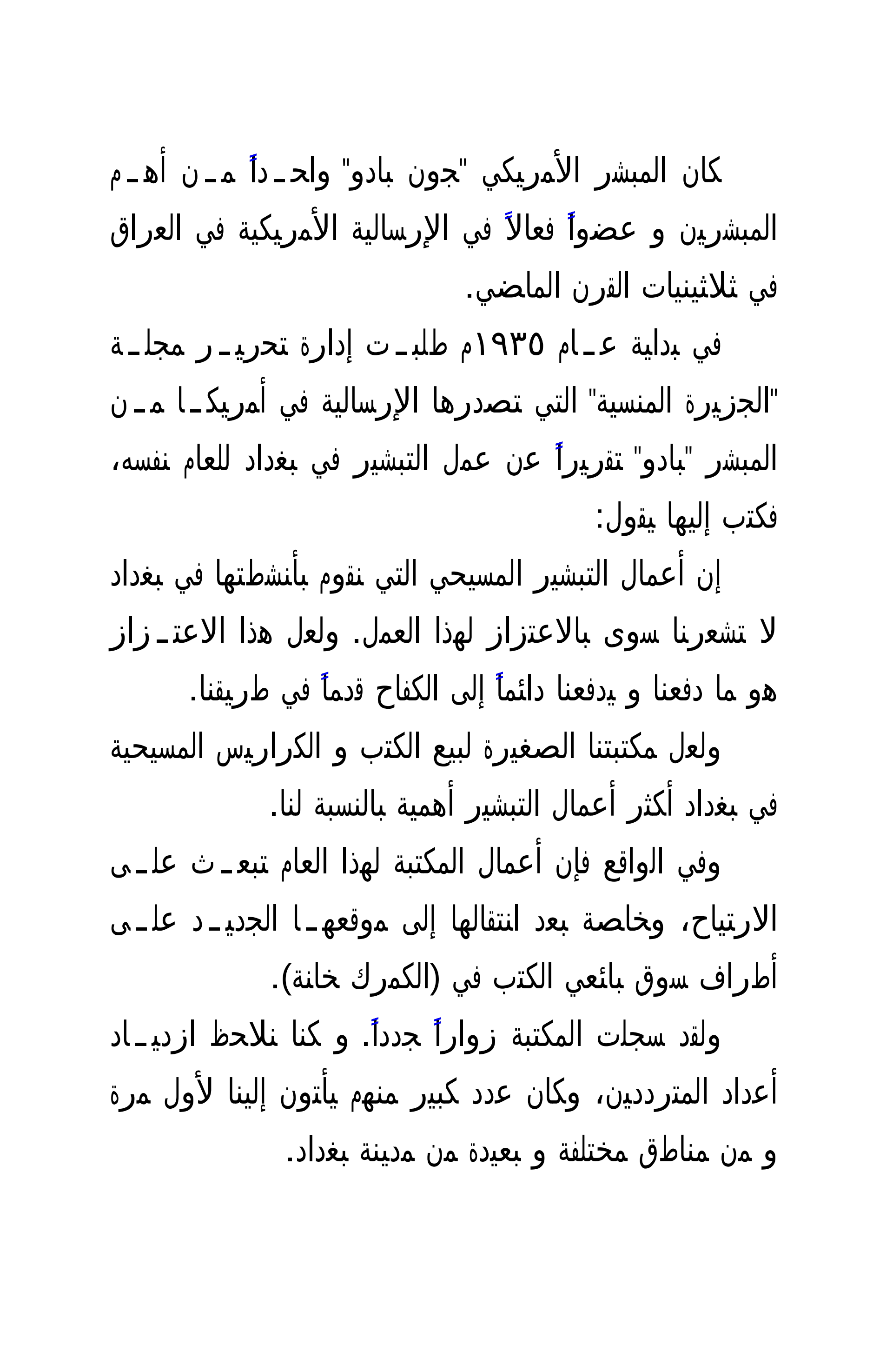
تغيرت البصرة، لكن عملنا لم يتغير وصار يكلف الكثير من التضحيات.

وفي المقبرة التي يلفها سكون الموتى و التي تبعد مسافة قليلة عن شمال المدينة، تقع قبور طبيب الإرسالية كريسـتن بينت، و بينكليرت، وري دي يونغ، وجميع أعضاء الإرسالية الأمريكية الذين ماتوا في ومن أجل الجزيرة العربية خـلال السنوات الخمس و العشرين الماضية.



المبشر الأمريكي "جون بادو" في بغداد عام ١٩٣٥م

مكتبة التبشير تحاكم بالكفر!



كان المبشر الأمريكي "جون بادو" واحداً من أهم المبشرين و عضواً فعالاً في الإرسالية الأمريكية في العراق في ثلاثينيات القرن الماضي.

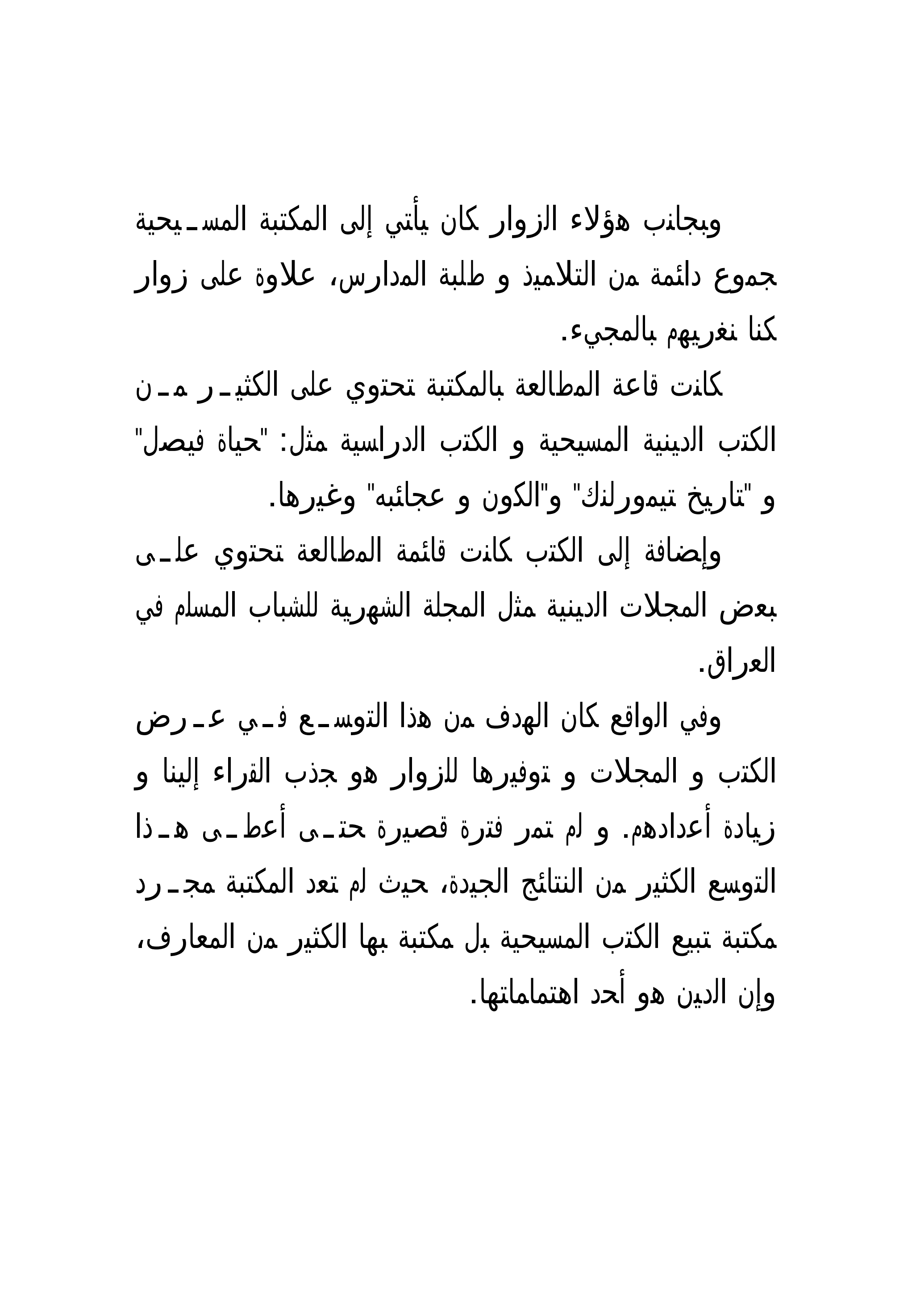
في بداية عام ١٩٣٥م طلبت إدارة تحرير مجلة "الجزيرة المنسية" التي تصدرها الإرسالية في أمريكا من المبشر "بادو" تقريراً عن عمل التبشير في بغداد للعام نفسه، فكتب إليها يقول:

إن أعمال التبشير المسيحي التي نقوم بأنشطتها في بغداد لا تشعرنا سوى بالاعتزاز لهذا العمل. ولعل هذا الاعتزاز هو ما دفعنا و يدفعنا دائماً إلى الكفاح قدماً في طريقنا.

ولعل مكتبتنا الصغيرة لبيع الكتب و الكراريس المسيحية في بغداد أكثر أعمال التبشير أهمية بالنسبة لنا.

وفي الواقع فإن أعمال المكتبة لهذا العام تبعث على الارتياح، وخاصة بعد انتقالها إلى موقعها الجديد على أطراف سوق بائعي الكتب في (الكمرك خانة).

ولقد سجلت المكتبة زواراً جدداً. و كنا نلاحظ ازدياد أعداد المترددين، وكان عدد كبير منهم يأتون إلينا لأول مرة و من مناطق مختلفة و بعيدة من مدينة بغداد.



وبجانب هؤلاء الزوار كان يأتي إلى المكتبة المسـيحية جموع دائمة من التلاميذ و طلبة المدارس، علاوة على زوار كنا نغريهم بالمجيء.

كانت قاعة المطالعة بالمكتبة تحتوي على الكثيـر مـن الكتب الدينية المسيحية و الكتب الدراسية مثل: "حياة فيصل" و "تاريخ تيمورلنك" و"الكون و عجائبه" وغيرها.

وإضافة إلى الكتب كانت قائمة المطالعة تحتوي علـى بعض المجلات الدينية مثل المجلة الشهرية للشباب المسلم في العراق.

وفي الواقع كان الهدف من هذا التوسـع فـي عـرض الكتب و المجلات و توفيرها للزوار هو جذب القراء إلينا و زيادة أعدادهم. و لم تمر فترة قصيرة حتـى أعطـى هـذا التوسع الكثير من النتائج الجيدة، حيث لم تعد المكتبة مجـرد مكتبة تبيع الكتب المسيحية بل مكتبة بها الكثير من المعارف، وإن الدين هو أحد اهتماماتها.

كانت الصعوبة الحقيقية الوحيدة التي واجهـت المكتبـة هذا العام هي حادث اعتقـال بـائع المكتبـة "قـد هـوري" ومحاكمته بتهمة الكفر و ازدراء الدين.

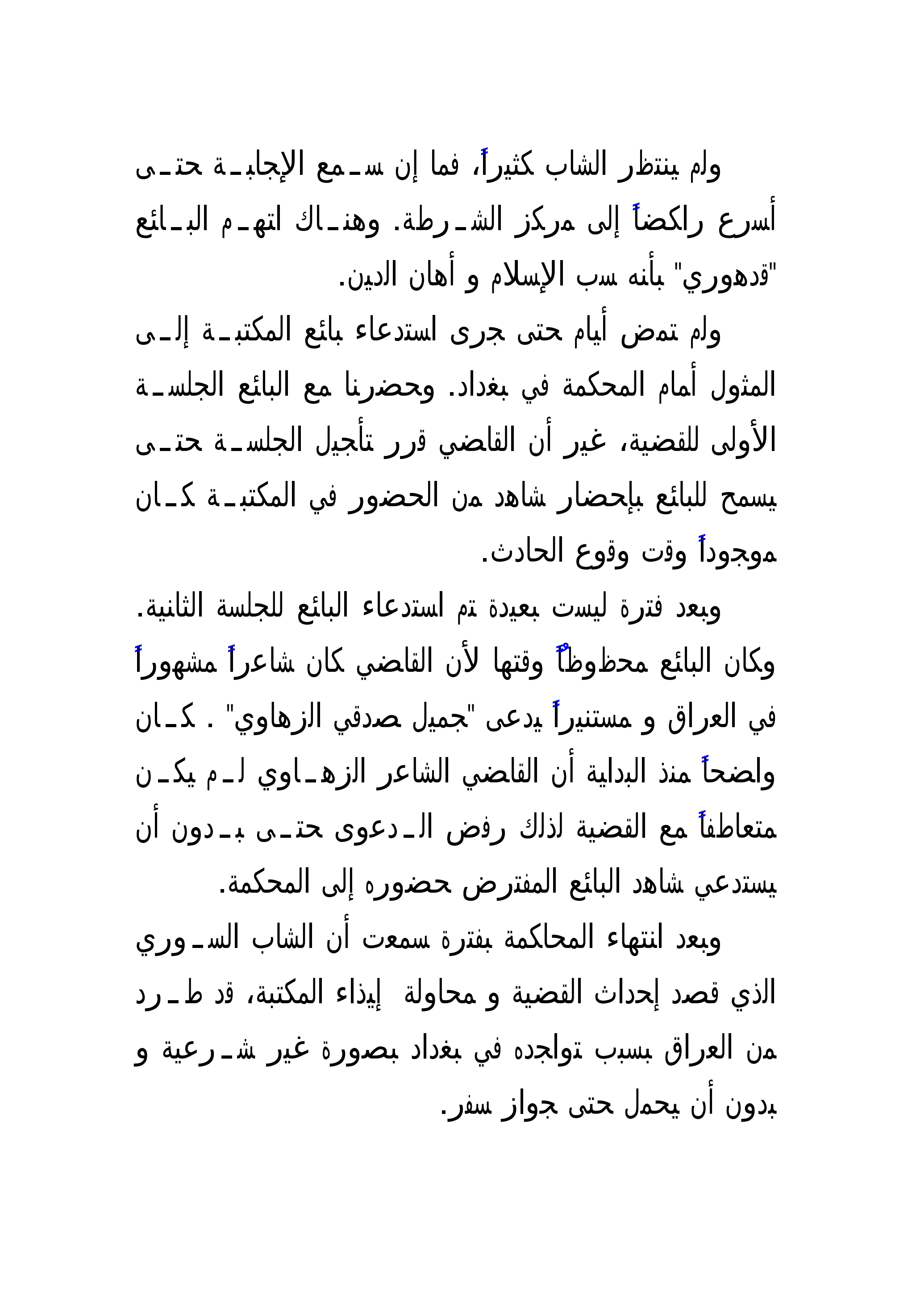
بالطبع كانت تلك الحادثة امتحاناً كبيراً و صعباً للمكتبة بل وللإرسالية و عملها التبشيري كله في بغداد.

وقعت هذه الحادثة في بداية الصيف عندما جاء شـاب سوري صغير السن إلى المكتبة. وقد شك البائع بعد لحظات من مجيئه بأنه ينوي إحداث مشاكل أو في نيته شر، خاصـة بعد أن لاحظ سلوكه.

وقبل خروجه من المكتبة قام هذا الشاب بطرح سـؤال خبيث قاصداً إيقاعه بشـرك، وكـان السـؤال هـو: هـل المسيحيون يؤمنون بأن القرآن قد نزل من عند ا ؟ فرد عليه البائع بجواب كان التالي: إذا كنا نؤمن بـذلك فإننـا جميعـاً سنكون مسلمين!



رواد مقهى عراقي

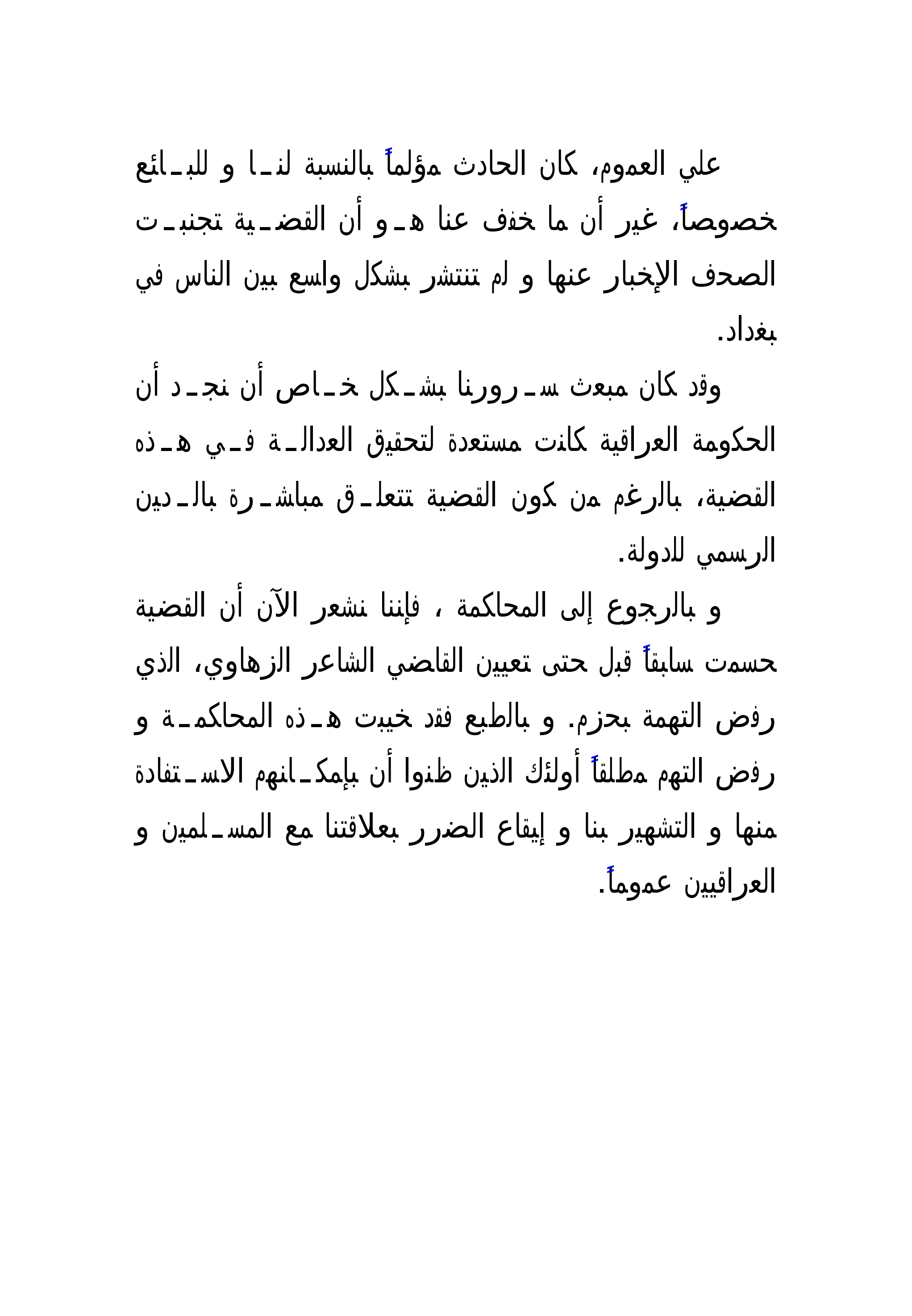


ولم ينتظر الشاب كثيراً، فما إن سمع الإجابة حتى أسرع راكضاً إلى مركز الشرطة. وهناك اتهم البائع "قدهوري" بأنه سب الإسلام و أهان الدين.

ولم تمض أيام حتى جرى استدعاء بائع المكتبة إلى المثول أمام المحكمة في بغداد. وحضرنا مع البائع الجلسة الأولى للقضية، غير أن القاضي قرر تأجيل الجلسة حتى يسمح للبائع بإحضار شاهد من الحضور في المكتبة كان موجوداً وقت وقوع الحادث.

وبعد فترة ليست بعيدة تم استدعاء البائع للجلسة الثانية. وكان البائع محظوظاً وقتها لأن القاضي كان شاعراً مشهوراً في العراق و مستنيراً يدعى "جميل صدقي الزهاوي" . كان واضحاً منذ البداية أن القاضي الشاعر الزهاوي لم يكن متعاطفاً مع القضية لذلك رفض الدعوى حتى بدون أن يستدعي شاهد البائع المفترض حضوره إلى المحكمة.

وبعد انتهاء المحاكمة بفترة سمعت أن الشاب السوري الذي قصد إحداث القضية و محاولة إيذاء المكتبة، قد طرد من العراق بسبب تواجده في بغداد بصورة غير شرعية و بدون أن يحمل حتى جواز سفر.



علي العموم، كان الحادث مؤلماً بالنسبة لنـا و للبـائع خصوصاً، غير أن ما خفف عنا هـو أن القضـية تجنبـت الصحف الإخبار عنها و لم تنتشر بشكل واسع بين الناس في بغداد.

وقد كان مبعث سـرورنا بشـكل خـاص أن نجـد أن الحكومة العراقية كانت مستعدة لتحقيق العدالـة فـي هـذه القضية، بالرغم من كون القضية تتعلـق مباشـرة بالـدين الرسمي للدولة.

و بالرجوع إلى المحاكمة ، فإننا نشعر الآن أن القضية حسمت سابقاً قبل حتى تعيين القاضي الشاعر الزهاوي، الذي رفض التهمة بحزم. و بالطبع فقد خيبت هـذه المحاكمـة و رفض التهم مطلقاً أولئك الذين ظنوا أن بإمكـانهم الاسـتفادة منها و التشهير بنا و إيقاع الضرر بعلاقتنا مع المسـلمين و العراقيين عموماً.



تلاميذ مدرسة البصرة

وخارج قضية المكتبة، كانت الاجتماعات فـي مركـز التبشير في بغداد تسير بشكل جيد. أما الحضور فكان جيـداً أيضا و أفضل من الفترات السابقة. لاحظت أن أعداد الزوار في تزايد، والمسلمون يأتون إلى المركز بشكل أكثـر مـن السابق.

ورغم ذلك، فإنه من الصعوبة الحصول علـى أعـداد منتظمة تحضر اجتماعات مركز التبشير فهناك أشـخاص و

طلاب يحضرون لأسابيع ثم يختفون بدون أسباب معروفة، و أعرف أن بعضهم مهتم كثيراً بالروحانيات في الحياة.

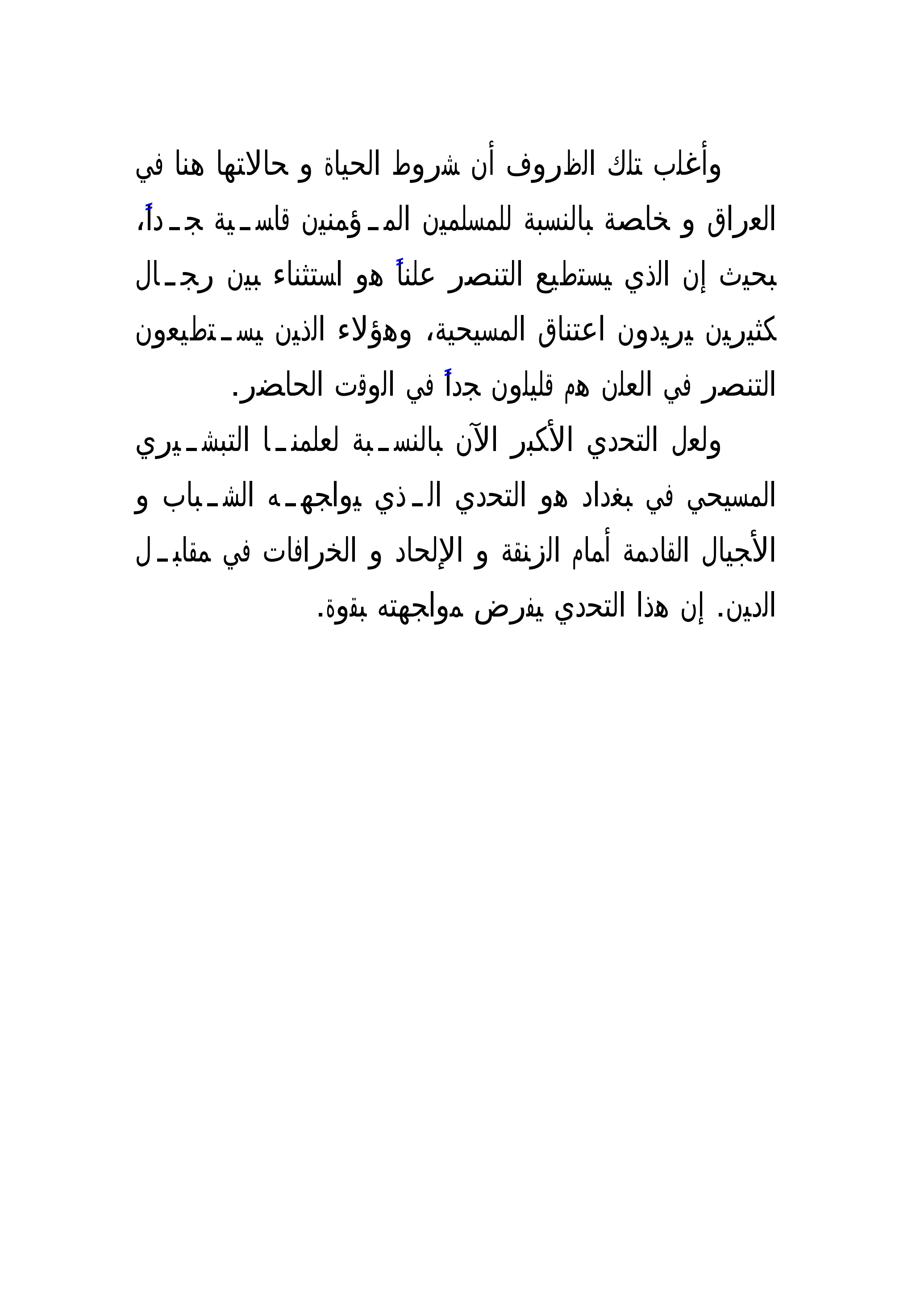
و بالطبع لدي خطط كثيـرة لجـذب جمهـور أكبـر لاجتماعاتنا ، كما أنني ما زلت أؤمن بأهمية تدبير اجتماعات لغير المسيحيين في العراق.

و بجانب ذلك فإننا نستطيع إنشاء و تعزيز مجموعـات مساندة لنا في المركز و الإرسالية عبر دعوة كل المسيحيين هنا لحضور الاجتماعات.

و أستطيع تسجيل أن المجموعة القليلة من المتنصـرين العراقيين قد عاشوا سنة اعتيادية و لم تسجل ضدهم حوادث تذكر.

فلا يوجد أحد من الموظفين الذين تنصروا قـد فقـدوا وظائفهم بسبب هذا، ولكـن يبـدو أن هنـاك اثنـين مـن المتنصرين لديهما مشكلة ما.

و أستطيع التأكيد أن الإرسالية و مركز التبشير لـديهما بعض الطلبات للعمودية. لكن لظروف مختلفة تتغير رغبات هؤلاء.



وأغلب تلك الظروف أن شروط الحياة و حالاتها هنا في العراق و خاصة بالنسبة للمسلمين المـؤمنين قاسـية جـداً، بحيث إن الذي يستطيع التنصر علناً هو استثناء بين رجـال كثيرين يريدون اعتناق المسيحية، وهؤلاء الذين يسـتطيعون التنصر في العلن هم قليلون جداً في الوقت الحاضر.

ولعل التحدي الأكبر الآن بالنسـبة لعلمنـا التبشـيري المسيحي في بغداد هو التحدي الـذي يواجهـه الشـباب و الأجيال القادمة أمام الزندقة و الإلحاد و الخرافات في مقابـل الدين. إن هذا التحدي يفرض مواجهته بقوة.

مؤلفات الكاتب خالد البسّام

١- تلك الأيام، حكايات و صور من بدايات البحرين الطبعة الأولى: مطبوعات بانوراما- البحرين ١٩٨٦. الطبعة الثانية: مطبوعات بانوراما- البحرين ١٩٨٧.

٢- رجال في جزائر اللؤلؤ، الطبعة الأولى، البحرين ١٩٩١.

٣- القوافل، رحلات الإرسالية الأمريكية إلى مدن وقرى الخليج والجزيرة العربية ١٩٠١-١٩٢٦ ، الطبعة الأولى : البحرين ١٩٩٣، الطبعة الثانية: دار قرطاس – الكويت ٢٠٠٠.

٤- خليج الحكايات، الطبعة الأولى: رياض الريس للكتب و النشر، لندن، ١٩٩٣.

٥- مرفأ الذكريات، رحلات إلى الكويت القديمة، الطبعة الأولى: دار قرطاس للنشر- الكويت، ١٩٩٥.

٦- صدمة الاحتكاك، حكايات الإرسالية الأمريكية في الخليج و الجزيرة العربية ١٨٢٩-١٩٥٢.

٧- بريد القلب، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ٢٠٠٠.
٨- بساتين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.
٩- عزف على السطور، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ٢٠٠٠.
١٠- حكايات من البحرين، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ٢٠٠١ .
١١- نسوان زمان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٢.
١٢- يا زمان الخليج، دار الساقي، لندن، ٢٠٠٢.